63

الجزء الثالث

من

تفسير القرآن الكريم

مقاصد الاسرار والخفى

وجواهر المرضية والكاملة فى نهاية الاخفى



لعلامة الزمان قطب مركز دائرة العرفان
ابى علي مولانا الحاج الاحسن بن محمد بن ابي جماعة البعقيلي السوسي
اصلاً البيضاوي وطناً متع الله بحياته الاسلام والمسلمين
آمين

طبع بالمطبعة العربية بدرب غلف بالدار البيضاء (المغرب)
المملوكة لمؤلفه اعزه الله

سنة ١٣٥٤ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وعلى جميع من سبق في علم الله انه مومن صلاة وسلاماً بدوام ملك الله . ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله :

(76) (وإذا لقوا) منافقوا اليهود (الذين آمنوا قالوا آمنا) بأنكم على الحق وأن نبيكم هو المبشر به في التوراة (وإذا خلا) رجع (بعضهم إلى بعض قالوا) رؤساءهم الذين لم ينافقوا ككعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب ابن يهوذا لمن نافق (أتحدثونهم) المومنين (بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم) يخاصموكم (به عند ربكم) بما أنزل ربكم في كتابه ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ليقطعوكم بالحجة ويبكتوكم بين يدى الله وبين يدي رسوله عند الله كذا يعني في كتابه (أفلا تعقلون) أنهم يحاجونكم ويحجونكم ويحتمل أفلا تعقلون من كلام الرب أضالة حالهم وأنه لا مطمع لكم في إيمانهم [قلت:] فهذا الخطاب كقوله لنوح « لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » فاله اجلاهم رسوله وقتل مقاتلة طائفة فطهر منهم جزيرة العرب واجلاهم عمر بالاذن من خيبر فأيس الشيطان أن يعبد غير الله في جزيرة العرب أبداً

77
ولا يجتمع فيها دينان إلى قيام الساعة فلله الحمد على تمام فضله (أفلا يعقلون)
طوائفهم الأربع (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) من اسرارهم الكفر
78
واعلان الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم أي حكم له (ومنهم اميون لا
يعلمون) يجهلون (الكتاب) التوراة ليطالعوها وهم عوام منسوبون الى
امة العرب الذين لا كتاب لهم واطلق على كل من لا يكتب وان كان له
كتاب (الا اماني) لكن اكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها جمع امنية
فهو الشهوات الباطلة بالنسبة لهم وهي المفتريات من تغيير صفة محمد وانهم
لا يعذبون في النار إلا اياما معدودات وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
وان الله لا يؤاخذهم بخطاياهم ويرحمهم ولا حجة لهم في ذلك فمذهب اهل
السنة والحق ان من عصى الله بغير الكفر في مشيئة الله ان شاء عفى وان شاء
عاقب وان التوبة من الكفر وغيره مقطوعة القبول بشروطها وان سخط
الله في معصيته وكل من استحسن معصية الله فهو شيطان بنفسه مستقل
(ان هم) ما هم (الا يظنون) ظنا لا يعلمون هم وقد يطلق الظن بازاء علم على
كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان الجزم به صاحبه كاعتقاد المقلد وكالزائغ
عن الحق لشبهة عنده فما هم الا وقصارى امرهم الظن والتقليد من غير علم
79
فأنى يرتضى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين (فويل) شدة عذاب كلمة
يقولها كل هالك دعاء منه على نفسه متندما بحسرة ما تقدم وقال صلى الله عليه
وسلم : الويل واد في جهنم يهوى الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره .
لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من حره (للذين يكتبون الكتاب)

المحرف بالتاويلات الزائغة فالفرق الاربع فى الضلال سواء، فعلى العالم أن يعمل بعلمه وعلى المقلد أن لا يقلد بحيث يبحث في قواعد دينه فلا يرضى بالتقليد والظن إن امكنه العلم لاسيما فى اصول العلم والدين [قلت] مثاله من اشترى سلعة وهو لا يحسب وانما يحسب له البائع فهو على ظن وزن في السلعة حيث لم يعرف ثمنها وفي الثمن حيث لم يدر الحساب فلا علم عنده ولا وثوق بالبائع فإن علم الحساب وادى على علمه علم انه ادى ما وجد فالمقلد دائماً لا علم عنده وانما ربما يكون عنده حسن الظن بالمقلد بالفتح لا غير فلا يرض عاقل ان يحسب له غيره (بأيديهم) تاكيد كقولك كتبت بيدي (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا) من الدنيا وهم اليهود غيروا الكتاب والنصارى حرفوا الانجيل باخبار النبي صلى الله عليه وسلم فما ياخذه المحرف من الرشوة حرام لا بركة فيه فحكم الله صفة ذاته فمن غيره غير ذات الله فهو كافر بذات الله «ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون» فبين الحق أنه يحرم على المفتي أن يفتي إن كان امياً ليس له إلا الاماني الباطلة وهو الجاهل كالمقلد الذي لم يبن امره الا على ظن وقد تقدم لنا أن ما عليه المجتهدون علم لا ظن فإنهم يحكمون بالقواعد الشرعية لا بالرأي فلا رأي فى الاسلام البتة فما عند المسلمين الا العلم فالاجتهاد فى مظنون حيث لم يثبت بنص واجماع قبل أن يحكم امام بالقواعد وإلا فهى تفيد العلم لا الظن فهو الاستصواب بعد الدور الاول فإياك يا أخى ان تفهم غير ما بينته فإنه ظن «إن يتبعون إلا الظن» أي

فمن قال إن الاحكام الاجتهاديات ظن لزمه الذم وكون عبادته على تخمين
فكتاب الله عندنا فلا نقبل غيره (فويل) عقوبة عظيمة (لهم) ثابتة (مما
كتبت أيديهم) من المحرف (وويل لهم مما يكسبون) من الرشى وهي اخذ
مال هنا على باطل او دفع مال لاثبات باطل فأصل الكسب بجر
نفع او دفع ضر فلا يوصف به الله ففي كلامه تعالى اشارات أن علم الرجل
ويقينه ومعرفته ومكالمته مع الله لا يفيده الايمان الحقيقي ان لم تدركه
رحمة الله « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابداً » فإنه
تعالى كلم ابليس وخاطبه « ياابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي»
فلم ينفعه لانه لم يؤيد في علمه برحمته وفضله ولم يبق على الايمان بعد
العيان فكيف يومن بالبرهان والثانية العالم المعاند والعامي المقلد سواء في
الضلال فلا يحل الظن الذي هو التقليد كتقليد القلادة في العنق من غير
علم. فالدين ليس بالتمني فمن ركن إلى تقليد محض واغتر بظنون فاسدة
وتخمينات مبهمة فهم الذين لا نصيب لهم في قراءتهم الا قراءة مجردة عن
المعاني معرفة [قلت] فمن قلد القرآن وفهمه وعمل بمقتضاه ولم يخلطه
بأباطل الفلاسفة فهو مؤمن حقاً عالم حقاً فكل من بدل في دين الله وغير
وابتدع ما لم تقبله القواعد والاصول الشرعية بأي وجه وقصد مخالفة
الشرع فهو داخل في الوعيد وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم امته
وان علم عصمتها من الكفر فرجع التحذير الى امم الكفر بعد بعثته فإن
كل من وجد من بعثته امته الى قيام الساعة فالايام ايامه : ألا ان من قبلكم

من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق إلى ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة. [قلت] يعني خلوداً وهم المستنكفون أن يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ظاهراً وباطنا احتسابا فهم ملل الكفر فلو اردت لعددتهم فلا فائدة في ذكرهم فالواحدة هم المسلمون لله تعالى مع النبي الكريم فهذه لا تزيغ أبداً بالكفر فإن الله تعالى كره لها الكفر والفسوق والعصيان فلا يتصور فيمن انعقد في سلك الرسول صلى الله عليه وسلم الارتداد أبداً فعليك يا أخي بما بينته فهو الحق فالواحدة المجيبة هي السعيدة فقط وغير المجيبة هي الشقية لا غير فاحفظه فما لم يقبله أصل شرعي هو البدعة وما قبله هو السنة وان فقد في الزمن الاول فكل من يقف عند الحديث فهو سني فالاشعرية والماتريدية يعومون في بحر الادلة العقلية والشرعية فالغالب عليهم الشرعية والمعتزلة يعومون فيهما والغالب عليهم العقلية فبها نشأت منهم شبه عقلية عندهم بترك ما أنزله الله من الحجج القرآنية لكن عمتهم الرحمة فإنهم ما طلبوا الا الحق لا غير فيشملهم ازالتها باشراق شموس الوحي «قل انما يوحى إلي انما إلهكم اله واحد» فالمحدثون اهملوا العقل بالكلية استغناء عنه بما فهموه من الشريعة فحصلت لهم لوازم الاقوال من التشبيه فلا تعد قولا فإن التشبيه عندهم تشبيه شرعي وهو الوقوف عند ما حده الشرع واطلاق ما أطلقه عليه من غير تاويل لاختصاص الله بتاويله وهو التسبيح وأهل الادلة العقلية ان سمعوا تشبيهاً انقبضوا فان عقلهم يقول التشبيه

العقلى وهو الذى يعرفونه وأهل الحديث لا يقصدونه لامحاق العقل بأنوار الشرع فالفرق الثلاثة تحت حيطة الشريعة إلا ان الشبه ينفخ فيها كير الشرع فيفنيها فى حيطة الاهمال فالطوائف الخارجة المتنوعة إلى اثنين وسبعين مثل الفلاسفة يطلبون الحق بالعقل فقط فلا يجدونه ابداً مادامو لم يستضيئوا بأنوار الوحى فكما حصل المعتزلة كغيرهم من اهل الشبه العقلية انما جاءهم من وطب الفلاسفة فإن العقل يسرق بقواعدهم وتدقيقاتهم كالاتحاد والحلول فطبع العربية وطبع اهل الاسلام لا يفهمهما أبداً فهما مرتبتا جهل فطريقة الصوفية بأنواعهم « اهدنا الصراط المستقيم » فكل من خرج عنها لا يسمى عامياً فضلا ان يسمى عارفاً وحرم على الامة أن يستقسموا بالازلام من كل طريقة خرجت عن الوحي الشرعى فكل من انحاز إلى التصوف ولم يتقن الارادة عيله إلى اهل الغفلات وارتكاب حظوظ نفسه ولم يتقن الطريقة على أيدى الاجلة الاثبات أهل الحق فليس له فى التصوف إلا الادعاء فلا يغتر بمن فسق عن الطريق القويم « صراط الذين انعمت عليهم » من النبيئين لخ فالادعاء بلا بينة دعوى لا غير مقصودنا من لم يقصد طريقة الحق من الملحدين عن دين الاسلام وأما من صلحت نياتهم فى طلب الحق فإن الله يوفقهم ويهديهم سبله وإنما نتكلم فى الاجانب عن الاسلام يظهرون انهم أشياخ في الطرق وهم برءاء من الدين بل هم كفار فلا يترك الانسان يقين ما عاينه من نفسه ويتكل على شهادة الغير فالمكاتب عبد ما بقى عليه درهم فاطلب الحق تعالى واترك الموهوم

الباطل فطريقة الله ادق الاشياء واياك من الدعوى فالمعيار مساوات
المقبل واللاطم فإن المقبل جمال الله وغيره جلاله فأنت بين جماله وجلاله
فلولا ان العارف بالله سمع قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر ما رآ نفسه أهلا للدلالة على الله فإنه لا يعلم فاجراً غير نفسه
80 (وقالوا لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة) قليلة قالوا نعذب أربعين يوماً على
عدد عبادة العجل (قل) لهم (أتخذتم عند الله عهداً) ميثاقاً منه بذلك
(فلن يخلف الله عهده) إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده
(أم) بل (تقولون على الله ما لا تعلمون) تقرير وتقريع روي انه اذا مضت
تلك المدة يقال لهم يا أعداء الله ذهب الاجل وبقي الابد فايقنوا بالخلود
81 (بلى) ايجاب لنفى سابق من مساس النار لهم هم فيها خالدون (من كسب
كل من اكتسب (سيئة) قبيحة (وأحاطت به خطيئاته) بالجمع برواية نافع
والافراد عند غيره اشتملت عليه حتى صار كالمحاط به فلا يتصور الا في
الكافر فإن كل مومن له حسنات وأعظمها التصديق واقرار لسانه فهى
عليه الكفر لا غير فالكبيرة ان اصر عليها تجر إلى سوء الخاتمة ان لم تدركه
عناية الله بالمومنين فلابد فضلا من الله أن تدركه فإن استحسن معصية صار
شيطاناً معنوياً ولا يستحسنها مومن لعناية الله بأمر الايمان فإن عصاه فقد
أطاعه فى أعز الاشياء اليه الايمان به وحبه فلا يحب من استحسنها من
ينصحه «ولكن لا تحبون الناصحين» فى حق الكافرين وأما المومن فهو
فى عذاب الندم ابداً «ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوء أن كذبوا بآيات

الله » فالفرق بين سيئة وخطيئة أن السيئة ربما تقصد بالذات والخطيئة
بالعرض فإنها من الخطا فخطوات الشيطان ما تقدم لنا بأن ابليس القاه
على الملائكة شبهاً فتلك الشبه هي اصول الكفر ومن بحر نحسها تستمد ملل
الكفر والزنادقة (فاولئك اصحاب النار) ملازمو اسبابها في الدنيا وملازمو
مسببات الاسباب التي هي ذات النار في الآخرة فأسبابها تحريف الكتب
والكفر (هم فيها خالدون) دائمون فلا يخلد في النار الا الكافر بالله فالآية
حجة على خلود الكافر فقط فإنها فيهم ومحط الحجة «وأحاطت به خطيئاته»
وفي الآية دليل على أن القول بغير دليل سمعي باطل وان كان ماجاز
وجوده وعدمه عقلا فلا يحل الا بسمع ولا حجة فيهـا لمنكري القياس
فإنه لما وجب العمـل عند حصول الظن المستند إلى القيـاس اوإلى خبر
الواحد كان وجوب العمل معلوماً فكان القول به قولا بالمعلوم وفي مثل
ضلال اليهود ضلال الفلاسفة القائلين بأن الارواح وان صارت مكدرة
بالقبائح من افعال الاشباح إلا أنها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها
تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شيء من نتـائج الاعمـال « الا أياماً
معدودة » بقدر فطام الارواح عن لبان التمتعات الحيوانيـة ثم تتخلص
من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفـاء اللذات
الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي
وكل هذا خيال هوس فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد
من نفسه كيف تتدنس وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيميـة والسبعية

وكيف تتصفى وتتحلى بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فعمر بصداء
مرآة القلب بحيث لا يبقي فيه شيء من الصفاء الفطرى « كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون » فلا يجلوها الا مرور الدهور وكرور
الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالداً مخلداً في النار
في ليل طويل وزفير وعويل نعوذ بالله من الشرور ومن مقاحمة السيئات
فأصل السيئة سيوئة اجتمعت الواو والياء فسبقت احداهما بالسكون
فوجب قلب الواو ياء كسيد وتمسكت المعتزلة بمثل هذه الآية في اثبات
الوعيد فالآية وان نزلت عندهم هنا لسبب خاص عمت فتوسعوا حتى
اوجبوا الخلود في النار على صاحب كبيرة لم يتب [قلت] وهى شبهة فلسفية
كفرية يجب عليهم التوبة منها ويحتمل أن الله أطلعهم على الخلود فى دار
العصاة فقط « لابثين فيها أحقابا » زمنا يعلمه الله ثم يخرجون بالشفاعة
فتضرب الجرجير الريح فيها وتصفق أبوابها فالمومن يخلد فى الجنة والكافر
يخلد في النار والخطايا تغفر بالتوبة وبالحسنات وهو الذي عليه أكثر
الصحابة وأهل السنة والامامية بيد أنهم قطعوا بأنه سبحانه يعفو عن بعض
العصاة وأنه اذا عذب احداً منهم لا يعذبه أبداً فتوقفوا فى البعض المعفو
عنه والمعذب على التعيين فاستدلت المعتزلة بعمومات وردت في وعيد
الفساق كقوله « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله ناراً خالداً
فيها ، ان الفجار لفي جحيم ، ان الذين ياكلون أموال اليتامي ظلماً انما ياكلون
في بطونهم ناراً » ومن قوله صلي الله عليه وسلم : من شرب الخمر في الدنيا ولم

يتب لم يشرب منها فى الآخرة ، ومن قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة
الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم والذى
نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا دخل النار فبقتلهم اولى | قلت |
كل ذلك لم يلزم فإن الاكثر يطلق عليه لفظ الكل فإنه خصصته المخصصات
ومقاتل بن سليمان المفسر جزم بأنه لا وعيد على المومن كالمرجئة ودليل
من نفى العقاب عن أهل الكبائر « ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم ، لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى » .
وعمومات فى الوعد « والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون »
وعورض بعمومات الوعيد فدليل أهل السنة كاكثر الصحابة الذين ذهبوا
إلى أنه يعفو لمن اراد ويعذب من يشاء بما شاء من غير خلود « إن الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فمحط نظرهم لمن يشاء
قاله ابقاء لربوبيته فلم يعين ابقاء خوف عباده فى الجرائم كلها فانظر من
تعامل ولا تنظر ما عملت فمعصية الملوك ليست بهين الا اننا ندرك ان
اخلاف الوعيد حسن ليس كذباً كما تخاله المعتزلة

وإنى وان اوعدته أو وعدته ❀ لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

فالمخالفة من حيث هى سم فليلطف ربنا بملكه فهو اللطيف الكريم فاما
تعارضت عمومات الوعد والوعيد فلابد فضلا من ترجيح الوعد فافهمه

فإن اخلاف الوعد قبيح

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ✿ فإن نعم فرض على الحر واجب

هذا عند كرماء العرب فكيف بمن اوجدنا مع استغنائه عنا فالقرآن مملوء غفور رحيم كريم فالاحاديث فيه تكاد تبلغ حد التواتر وأيضاً فصاحب الكبيرة أتى بما هو أعظم من الكبيرة وهو الايمان بالله وهو شجرة طوبى عندنا فهو الذى تجسد و تشاجر باعتبار العقائد فالجنة المحاطة بسورها كم واحد من اكمامها والابنية والحلل وجميع ما فيها من النبق اعمال نشأت عن الايمان فالنبوة والولاية والقطبية والصديقية إلى آخر مراتب المومنين اكمامها كالنظر فى وجه الله وفي عز الايمان يقول « سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون » المنافقون إلى التعلق بشجرتكم شجرة الكفر المسماة بالزقوم وهى الملعونة فى القرآن فمن علق بشجرة الجنة نالها أبداً ومن علق بشجرة النار نالها أبد لاغين فمن ظلم نفسه تاب وتيب عليه إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها « ان الحسنات يذهبن السيئات » وطيها ان السيئة لا تذهب بالحسنات فاذا كان ايمان ساعة يهدم و يبطل ذنوب ما يزيد على مائة الف سنة فكيف بايمان ستين سنة . فتنة الرجل فى ماله وأهله تكفرها الصلاة . فكما أن الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كذا عدلا . الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي الغير المتقنة فالمتقنة هى الكفر فقط فغير المتقنة تنجبر فلله الحمد فإن وصل العبد إلى دار الثواب فلا يخرج ابداً وإن وصل إلى دار العقاب وخرج بالعفو والرحمة الي دار

الجنة لا يخرج أبداً فمذهب أهل السنة أقرب الى الادب فإنهم وصفوا الله بصفات الجمال من عفو ومغفرة وبصفات الجلال بقهر وانتقام فيبقى العبد بين الرجاء والخوف فلا يستحق على ربه شيئاً ولا يقطع لنفسه بشيء ابداً فإنهم لا يوجبون على الله ثواباً ولا عقاباً بل يفعل ما يشاء ويختار فلم يعينوا معذباً بالكبائر ولا معفوا بل فى مشيئته ففعله تعالى منزه عن التعالل بلواحق الغايات وسوابق البواعث فمذهب المعتزلة احوط باعتبار الخوف فإن من خوفك جلال الملك خير ممن امنك حتى تنكشف الحقائق فرضي الله عنهم فالله أراد ان يتفجر العلم من سائر اوعية عباده لكن الرسالة قسمان تبشير للمومنين وانذار للكافرين وأيضاً: ان الله يرزق العبد على قدر نهمته فالنهمة على حسب نيته فإن اعتقد مذهب السنة افيض عليه بحسب نيته ابتغاءً: انما الاعمال بالنيات . وإلا فلا لكن الله يعلم نيتهم فإن قصد المعتزلة الزجر والانذار فنعم ما فعلوا وان قصدوا التحكم على الله فلا وان قصدوا فهماً من السنة لا من العقل عاملناهم بما بيناه فلا برهان بعد القرآن فالذى يظهر من كلام طوائف المسلمين الاستسلام لله والدلالة عليه بما امكن من تبشير او انذار او زجر او تخويف فكلهم يحتاط وبعضهم يحتاط للامة وبعضهم للحكم فالاشعرى جوز ألا يدخل أحد من هذه الامة النار والماتريدي على أنه لا بد من طائفة تدخل النار وتخرج بالشفاعة ولو واحداً من كل جنس فالاشعري احتاط للامة المختارة وغيره احتاط للحكم للظواهر (والذين آمنوا) وصدقوا بمحمد بقلوبهم (وعملوا الصالحات)

ادوا الفرائض وانتهوا عما نهوا (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً، فعادة الله تعالى الترغيب والترهيب فيشفع الوعد بالوعيد لترجى رحمته ويخاف عذابه وعطف بالواو اشعاراً هنا بأن الايمان غير العمل فباللطف والقهر يترقى الانسان إلى اوج الكمال ويفوز بجنة الجمال والجلال فالعارف يعتبر بأن كل ما على وجه الدنيا تراب وأن أصل الانسان ماء مهين وهو عزه وأن جميع النعم الدنيوية والاخروية انما المقصود بها الاستروح والاستمداد من صولة التجلي وأن ما يصيبه انما هو اسمائه تعالى فله يتمنى البلاء الذى هو فعل ربه وكل ما فعل المحبوب محبوب فلا يدعى بل ولا يطلب شذوف رتبته عن ذرة واحدة من ذرات وجوده تعالى ولا يدعى أن فيه خاصية ومنفعة لخلق الله وإلا ادعى الربوبية فإنه لا تاثير لمخلوق بأي وجه وانما له المباشرة «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، ليس لك من الامر شيء» في الحقيقة وانما لك كسب فى بساط الشريعة وعليه فلا يتصور فيه اعجاب البتة ولا يرى عمن يمونه او يربيه أو يعلمه او يرشده منة عليه وابو ولده لأن المن على العيال من محبطات الاعمال «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى» فكيف يتصور ممن تأمل قوله تعالى «فلينظر الانسان مم خلق» الخ وعليه فلا يغتر مومن بتعظيم الناس له وتقبيل يده فلا ينظر أولاده وأتباعه بعين الازدراء فإنهم عبيد الله أنعم عليهم بأعز الاشياء الايمان والعمل فمن فعل اخسر الميزان وبخس حق نفسه وعملوا على قانون

الشريعة باشارة شيخ الطريقة الدال عليها بلسانه ومقاله وهي «اهدنا الصراط المستقيم» لاغير 83 (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) في التوراة وقلنا لهم (لا تعبدون إلا الله) اخبار بمعنى النهي وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من الايهام بأن المنهي مسارع إلى الانتهاء وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وغيرهم بالتاء فالميثاق العهد الشديد وهو قسمان عهد فطرة وخلقة وعهد نبوة ورسالة وذكره قطعاً للطمع في اسلامهم لتخلقهم بأخلاق اسلافهم فلا يلد الحية إلا الحية ويحتمل أن الخطاب ليهود زمنه صلى الله عليه وسلم واذكروا ما فعله اسلافكم من القبائح فلا تتبعوهم وآمنوا بمحمد نبيي صلى الله عليه وسلم (و) تحسنون (بالوالدين احساناً) براً كثيراً وعطفاً عليهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله (و) تحسنون إلى (ذي القربى واليتامى) فاليتيم من مات ابوه قبل البلوغ ومن الحيوانات الصغير الذي ماتت امه بحسن التربية وحفظهم من الضياع (والمساكين) مفعيل من السكون اسكنه الفقر عن التحرك بحسن القول وايصال الصدقة اليهم (و) قلنا لهم (قولوا للناس حسناً) قولاً حسناً مبالغة لفرط حسنه بالمال كالوالدين والاقرباء واليتامى والمساكين فلما كان المال لا يسع الناس جميعاً امرهم بالقول: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فلتسعوهم بأخلاقكم. (وقولوا للناس) العرب إن سألوكم صدقاً في شأن محمد وحقاً فاصدقوهم وبينوا صفته ولا تكتموا أمره ويعلم من هنا أنه يجب على من استشارك أن تشير بحق إن علمته وإلا دللته على من هو اعلم منك أو انتسب إلى الحصن الاحمى

لا أدري ولينوا في القول وأحسنوا المعاشرة والمعاملة وقرأ الكسائي بفتح الحاء والسين صفة وغيره مصدراً (و) قلنا لكم (اقيموا الصلاة) التي فرضت عليكم (وآتوا الزكاة) فقبلتم واقبلتم عليه (ثم توليتم) من بعد ذلك اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه (إلا) فريقاً (قليلا منكم) وهم من اقام اليهودية على وجهها إلى عيسى فمن تبع عيسى ونزع يده مما لم يامره به عيسى نبي الله نجى ودخل في القليل ايضاً فمن كفر بعيسى حبط عمله فمن استقام من ملة عيسى اسرائليين أو النصارى بأجناسهم الى زمن خاتم النبيئين وآمن به واتبعه ونصره وامتثل امره ونزع يده مما نهاه عنه فهو الناجي من كل طائفة الى قيام الساعة ومن أبى واستكبر صار كابليس في الاباء والكفر والعتو فحبط عمله فمن دخل بعد محمد صلى الله عليه وسلم في دين عيسى أو موسى او أي نبي لم ينفعه « ان الدين عند الله الاسلام » [قلت] فهذا التكليف يتضمن اشياء لابد منها في الدين فإن الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته تعالى الحكم على الشيء فرع تصوره وبجميع ما يجب له ويستحيل ويجوز في حقه فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده والجائز ما يتصور في العقل وجوده وعدمه على حد سواء فالواجب الوجود دليله حاجة الحادث المحدث فلا تتكون الأشياء بنفسها لاستلزام التساوى والرجحان وهو محال فهو صفة لا تعقل الذات إلا بها وخمس انسلب بها في العقل اتصافه بالنقص وهن صفات التقديس القدم والبقاء والغنى التام ومخالفته

للحادث ووحدة الذات والصفة والفعل فدليله لو لم يقدم لحدث لو لم يبق لفني لو لم يستغن لافتقر لغيره لو لم يخالف لماثل وحدث لو لم يتحد لتعدد فالجواب محال شرعي وعقلي فلو حدث لافتقر إلى اله غيره او فني لما خلق المشاهد لو افتقر لنقص واحتاج إلى من يكمله او تعدد لاضمحل الملك وسبع معان القدرة والارادة وسمع وحياة وكلام وبصر وعلم فلو لم يقدر لعجز وبطل الملك المشاهد لو لم يرد لما اوجد الملك او لم يسمع لنقص او لم يحي لمات وبطل الملك المشاهد لو لم يتكلم لنقص لو لم يبصر لنقص لو لم يعلم لما خلق فالجواب باطل محال والسبع المعنويات المثبتات بالسمع سميعاً بصيراً وكلم كليماً مريداً مقتدراً هو الحى فجاز في حقه إيجاد الممكن واعدامه على حد سواء فلو لم يجز لوجب ولزم دخوله تحت حكم غيره وهو باطل او استحال فلو استحال لبطل الملك وتفرع من القدرة حدوث العالم ما منتواه كان الله ولاشي معه ومن وحدة الفعل علم تاثير غيره بالطبع والقوة ومن الغنى عدم الاغراض له تعالى وهى خمسة وعشرون ويستحيل أضدادها بخمسين صفة يجب اعتقادها فى الله فوجوده ضروري لكل خليقة وهو الذي تقول المعتزلة يعرف بالعقل استقلالا ضرورة كالماتريدى عند الاستدلال لجماعة المسلمين « أفى الله شك » لا وجود له في الله عند جميع أفراد المفعول من حيث هو فوجوده تعالى فطرة لكل مخلوق وهو ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فإدراك وحدته تعالى إنما يكون بالشرع ذاتياً وصفة وفعلا باجماع

انعام الله السابق كل انعام انعام الرسل الينا فلا يشبه انعامهما انعام الله البتة
لا من كل وجه ولا من وجه واحد فإنهما سببان فقط فالله موجد فعال
ومنها انه تعالى لا يمل فهما يملان غالباً وان أتى بأعظم الجرائم فالله لا
يقطع رفده عن عبده ولو كفر به. فالاب يستربح مال ولده فإن الولد
كسبه فالله يأخذ حبة صدقة فيربيها حتى تعظم السماوات والارضين فالمحبة
بينهما ذاتية بيد ان الاب يحبه محبة الاصل للفرع فلا تغنج فيها والولد محبة
الفرع للاصل بتغنج واظهار غيرها كأنه منفصل عنه فالاب ينظر الاتصال أبداً
والوالد يشاهد الانفصال عنه فقط كالزوج مع زوجه فعمت جميع الحيوانات
فالمناسبة بين الواجب تعالى والممكن ذاتية لا عرضية وهنا اسرار لا
تفشى أومأ اليها: فلو خلقته لرحمته، لا يبني بيتي من يسفك دماء عبيدي،
المرء مقتول بما قتل به — ولو قتل شرعاً فله سفكت دماء الصحابة المجاهدين
غالباً — فإن خنجراً فخنجراً . فهو كلام برز من بساط الحقيقة فترتبت عليه
الحدود الشرعية: بروا آباءكم تبركم ابناؤكم عفوا عن نساء الناس تعف
نساءكم، كما تدين تدان «ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم» نعمى الحقيقية
«وآمنتم» بي وبأنبياءي وبما جاءوا به ومنها فلا كمال يطلبه الولد ويمكن
أن يدركه الا ويطلبه الوالد لولده فلا خير يمكن للعبد إلا ويريده الله
عليه فله ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة فلا
يحسدان على ولدهما ابداً إذا كان خيراً منهما بل يحبان أن يكون اكمل
منهما فتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل

المقول بالله ولو كفاراً قال صلى الله عليه وسلم: اطع الوالدين ولو كانا كافرين. نهى صلى الله عليه وسلم حنظلة بن ابى عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا فله اطلق الله احسانهما وقد تلطف ابراهيم عليه السلام بعمه المنزل منزلة ابيه «يا أبت لا تعبد الشيطان» فالاحسان حبهما من صميم القلب مع مراعاة دقائق الادب والخدمة والشفقة وبذل وسعه فى رضاهما ما لم يامر الا بمعصية قولا وفعلا فلا يمنع اعز اوقاته وكرائم امواله عنهما وينفذ وصاياهما ويدعو لهما بصالح الادعية «فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما» الآية. والتكليف الثالث الاحسان لذوى القرابة اصولا وفروعاً وحاشية وهو صلة الرحم قال صلى الله عليه وسلم: الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته. فالشجنة الاشتباك فالرحم من الرحمان فهي قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق فالسبب العقلي في تاكيد هذا الحق ان القرابة مظنة الالفة والرعاية والنصرة فصار كالتابع لحق الوالدين فإنه انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين فالحكم ان اوصى للقرابة تابع للعرف فالعرب لا تطلق قرابة الام على القرابة فلا تشملها وصيتهم فإنها لا تفتخر بهم فإن اوصى لذي رحم دخل جهة الام عند العرب والعجم واطلق أبو حنيفة القرابة على جهة الام فى وصية العرب والعجم وهو حسن فالفارق غير ظاهر قال صلى الله عليه وسلم: سعد خالي فليرني احد خاله فليجتهد فى رضاهم فإنهم كالوالدين فى بعض الاوجه عرفاً وشرعاً وينفق عليهم بالمعروف ان اعسروا قال صلى الله

المسلمين فهو علم الشرع فقط وهو الايمان فقط فلو كان فطرة لزال الايمان بالعيان فالتوحيد آمن الرسل أنه لا يدرك الا بالشرع فهم فيه وغيرهم سواء «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه» وأعظم ما انزل واصله التوحيد الله احد الله الصمد الله لم يلد الله لم يولد الله لم يكن له كفؤاً احد فهو نسب الله لما سئله امسك حتى انزل عليه «قل إنما يوحى الي أنما إلهكم إله واحد، وإلهكم إله واحد» واحد في ذاته أحد في صفته واما علم العقائد فبعلم العقلاء والعلماء تعقلوها بالله من القواعد الشرعية فهي علوم شرعية فلا يكفر من علم وجود الله ووحدته ووحد عمله له تعالى ان جهل بعض المعتقد فمعرفته واجب كمالا فيه لاغير ليثبت قلبه من التقلب فيما يهويه ويمرضه فكل من بايع الرب تعالى على طاعته ووحده بتوحيد الشرع ووحد عمله فهو مومن لايشوش عليه فى دينه فإذا فهمته علمت أنه لا خلاف البتة بين طوائف الاسلام لاجماعهم على أن وجود الحق فطرى والتوحيد شرعى لا سبيل اليه الا من الشرع فالكمالات الالهية بعده لا تحصى إنما اوجبوا معرفة الخمسين صفة كمالا ثم إن الله بعد علام على الدوام عبده بما لا ينضبط فيتجلى لكل واحد بما لا يتجلى لغيره ابداً فهذا شأنه أنه إن تجلى في حقيقة فى اسم مستلزم للعلم لا يتجلى به أبداً في الدنيا والآخرة لاتساع الكمال الالهي فالله علم على المعبود بالحق وهو الوجود ولا يعبد إلا الكامل من كل وجه الله الصمد ولا يكمل الا المتقدس من كل نقص لم يلد ولم يولد فاعلمه وعليه فما تقوله

أهل السنة هو عين ما تقوله المعتزلة ولا خلاف الا في حال فلا اجتهاد الا في المعتقدات ومعه قد بينت في الشرع الا صفات المعاني السبع فمستنبطة من المعنوية فإنها اصل اشتقاق المعنويات عند اهل السنة واكتفت المعتزلة بالوارد المعنوية وقالوا فهي اصلية لا نفسها غير معللة بالمعاني فالخطب سهل والخلاف هل هى معللة ام مستقلة بالمفهومية من غير اشتقاق فنحاة البصرة على التعليل والنحاة العلويون الكوفيون على عدم الاشتقاق من المصدر فمقصودى اجتماع اهل لا اله الا الله على كلمة واحدة ومعتقد واحد وانما يقلد الشرع فما استحسنه فهو حسن وما استقبحه فهو قبيح فالوجود لعباده فضل والانابة فضل والفضل عدل وهو بروز الاشياء على ما علمت ومن جملة ما علم ان علق الثواب على الاعمال والعقاب على الاعمال فكل عمل صدر من الكفر كفر لا يعبا به وكل ما صدر من المومن إيمان بأنه مامور به او منهى فإن نهى عنه ترك والا عوتب عليه بما أراد تعالى «لا يسئل عما يفعل» ومسبوق ايضاً بعلم كيفية العبادة من الشرع فلا تعرف إلا منه اجماعاً من الوحى والنبوة والرسالة فبعثة الرسل من الله فضل عدل لانه أراده فبرزت البعثة على نحو ما علمت ورحمة وحكمة بالغة فلاسبيل الى كيفية العبادة الا منهم فالله يصلي لنا عليهم صلاة تكافئهم عن احسانهم الينا آمين فالتكليف الثانى وجوب الاحسان الى الوالدين تالياً لعبادته تعالى لوجوه تبينها منها انهما سبب وجود الولد وسبب التربية فغيرهما ربما يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله اكمل من الوالدين ومن

عليه وسلم: ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فلا يقرب قصعتهم الشيطان وآخر من ضم يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل غفرت له ذنوبه البتة إلا ان يعمل عملا لا يغفر ومن اذهب الله كريمته فصبر واحتسب غفرت له ذنوبه عيناه ومن كانت له ثلاث بنات او ثلاث اخوات فأنفق عليهن واحسن اليهن حتى يكبرن او يمتن غفرت له ذنوبه البتة الا أن يعمل عملا لا يغفر فناداه اعرابي قال واثنان قال واثنان وقال صلى الله عليه وسلم: كافل اليتيم أنا وهو كهاتين في الجنة. وأشار الى السبابة والوسطى فمشيرته صلى الله عليه وسلم اطول من الوسطى وهي أطول من البنصر ثم هي من الخنصر وقال صلى الله عليه وسلم احشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا بأصابعه الثلاث [قلت] انما أراد ذكر المنازل والاشراف على الخلق لا أن المراتب متقاربة لعلو مرتبته على غيره وقال صلى الله عليه وسلم الساعي على الارملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله فالمسكين احوج من الفقير عند أهل اللغة فتظهر الفائدة في الوصية الى أحد الصنفين «او مسكيناً ذا متربة» وعند الشافعي واحمد الفقير أحوج قال ابن عباس نسخت الزكاة كل حق في المال [قلت] لكن اعانة المضطر واجبة فالتكليف بدني او مالي وكل اما عام او خاص فالبدني العام العبادة المطلقة صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من بدنه في طاعة ربه فلا يرى لنفسه شيئاً من التصرف كالعبد الماثل بين يدي مولاه «لا تعبدون الا الله» والبدني الخاص الصلاة «وأقيموا الصلاة» والمالي الخاص «الزكاة»

والمالي العام لتعلقه بالقدرة والامكان اما نسب أولا فالنسب اما سابق او
مقارن أو لاحق فالسابق الوالدان والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى
84 فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة (وإذ أخذنا ميثاقكم) وقلنا (لا
تسفكون دماءكم) تريقونها بقتل بعضكم بعضا فيترتب عليه القصاص لقد
قتل نفسه كمن اشتد عليه الامر فيجب قتل نفسه ليستريح وكطائفة من
الهند يستحلون قتل نفوسهم لينتقلوا من عالم البلاء والمحن الى عالم النور
عندهم فنهى الله عن مثله (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) بأن يفعل ما
يخرجه من بلده فهي أمكن الاجهار بالدين فيجب عليه ألا يتسبب في
ما يخرجه أو يقتل به كأن غلب فينظر رحمة الله والفرج «الا ان تتقوا منهم
تقاتاه» فالحيلة انفع من القبائل ولا يخرج بعضكم بعضاً لاجتماعكم في نسب
اودين ولا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فهو القتل
حقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به من الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي
(وأنتم تشهدون) على أنفسكم وهو توكيد كقولك أقر فلان شاهداً عن
نفسه أو انتم تشهدون على اقرار اسلافكم واعترفتم به واستحسنتموه
85 فلزمكم ما فعلوه فإنكم لم تذكروه بقلوبكم فكأنكم الفاعلون حقيقة (ثم
أنتم) يا (هؤلاء تقتلون أنفسكم) ثم الاستعباد مافعلوه بأنفسهم بعد الميثاق
والشهادة عليه فقتل بعضكم بعضاً (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم
تظاهرون) بتشديد الظاء وتخفيفها تتعاونون (عليهم بالاثم) المعصية
(والعدوان) الظلم فالمعاون للظالم ظالم فإن المعين عليه مغريه عليه ومستحسن

له فالله تعالى بخلافه فإنه نهى عبده على الظلم واستقبحه له وأوعده عليه فإن مكنه بعد فله حجة على العبد «لا يسئل عما يفعل». (وان يأتوكم اسارى) بضم الهمزة والالف واسرى بفتحها وسكون السين (تفادوهم) بضم التاء وفتح الفاء والالف بعدها وتفدوهم بفتح التاء وسكون الفاء من الاسر بالمال وغيره (وهو) الشأن (محرم عليكم اخراجهم) وهو متعلق بـ «وتخرجون فريقاً» وما بينهما اعتراض أخذ الله فى التوراة العهد ألا يقتل بعضهم بعضاً والا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وترك المظاهرة عليهم مع اعدائهم وأيما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حالفوا الاوس وحالفت النضير الخزرج فيقاتل كل فريق مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا اسروا فدوهم وان سئلوا لم تقتلونهم وتفدونهم قالو امرنا بالفداء فلم تقتلونهم قالوا حياء ان يستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى اخذ منهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهر على عدوهم وفداء اسراهم فتركوها إلا افداء فقط (أفتؤمنون ببعض الكتاب) الفداء (وتكفرون ببعض) هو بقية العهود فالايمان إنما يكون بجميع ما انزله الله فلا يتصور الايمان ببعض الآيات دون بعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي) هوان وعذاب (فى الحياة الدنيا) فأخزى قريظة بالقتل والسبي وبني النضير بالجلاء والنفى إلى أذرعات واريحاء من الشام خزى يخزي خزياً بالكسر ذل خزى يخزى خزاية استحيا فهو خزيان اخزاه الله اوقفه فيما يستحيا منه (ويوم القيامة

يردون إلى أشد العذاب) جهنم فإن عصيانه أشد فإنهم علموا وجحدوا
(وما الله بغافل عما يعملون) بالتاء والياء تهديد للعاصين وتبشير للمطيعين
فالقدرة مع عدم الغفلة تدل على وصول الحقوق لاهلها (اولئك)
الموصوفون بالقبائح (الذين اشتروا) استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة)
آثروها عليها بالاعراض عن الآخرة فانما تعلقوا بخلفائهم لاغراض
الدنيا (فلا يخفف عنهم العذاب) الدنيوى والاخروى كالجزية (ولاهم
ينصرون) بدفعها عنهم فلذة الدنيا على وفق الهوى لا تجتمع مع لذة
الآخرة فان كانت بمقتضى الشرع كلذة الصحابة كعثمان وابن عوف رضي
الله عنهم ومن تبعهم في الاهتداء بسنة الشرع بحيث يعطى لكل ذى حق
حقه على قدر الوسع البشر اجتمعتا وركبتا تركيب مزج بلا انفكاك
فلذة الدنيا هي عين لذة الآخرة فهما عين ما يستروح به المومن بين يدي
ربه فاللذة الحقيقية فى معرفة الله فقط فمن صالح للدنيا خدمها ومن صالح
للاخرة خدمها ومن لم يصلح لها صالح لخدمة ربه فالدنيا والآخرة مطيتان
المومن ابداً يقف بها وعليها بحضرة انس ربه فعلى العاقل أن يتاجر ربه
بأنواع طاعته بسبب محبة ذاته تعالى واستحقاق لان يعبد ويتذلل اليه
ويقصد ويشكر لنعمه وامتثال لامره مع تفويض أمر نفسه لربه فهو
خالقها القائم بأمرها العالم بها قبل وجود الكون إجمالاً وتفصيلاً فالله
أولى بالعبد من نفسه فلا ينبغي له أن يهتم بأمر نفسه وإنما تكون همته
في الاخلاص الكامل وهو افراد الوجهة والعمل لربه من غير غرض

يحمله على أنواع الطاعات وإنما يشاهد أغراضه من فيض بحر كرم ربه « واسئلوا الله من فضله » فلا يقرب من الله إلا الادب وهو حضوره بين يدى ربه مفوضاً مستسلماً لله في حال التلبس بعمله فالسبب شرعى فلا بد منه والرزق الحسي والمعنوي بيد الرب تعالى فخير الطرق طريقة أداء الحقوق لاهلها فاعط لكل ذى حق حقه . عزم نفر من الصحابة على التبتل والترهب والانقطاع عن حضرة الاسباب والشهوات الدنيوية فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على امته فقال إنى اصلى وأنام واصوم وافطر واغشى النساء وآوى الى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني . فرجعوا عما عزموا قال تعالى وآت كل ذى حق حقه فالعارف لا يرى غير الله فى المظاهر كلها فمن أي شيء يفر والى شيء يفر فالكون مصنوع كسفينة فى بحر الاقدار فإن أحببت الركوب فامض الى ربها وأد ما أوجبه على المريدين الوصول بها ويعطيك اذناً وسجلا فلا يتعرض لك احد بعده احببت السفينة أم كرهت فيعطيك على حسب نهمتك ونفقتك فتبقى فيها دائماً فثمن النعمة الحمد لله ومفتاحها بسم الله وسجلها الذى لا يدخل الا به لا إله إلا الله فالواسطة رسول الله وهو الكبير عليها ليس لاحد أياً كان أن يدخلها على غير يده والكتاب الاقطاب والمشائخ والدرج والصراط لها الشريعة والراد اليها عزرائيل والباحث على بطاقات الملك نكير ومنكر والكل مسخر لك ومحب لك إن استعملت ما أمره الملك والا مقتت وخسرت

فمن أحب الدنيا أو الآخرة صار كمن عشق سفينة ولم يلتزم الضوابط ولم يؤد ما وجب ولم يهتد بسنة المكلفين بها فهو حمق وخور فالذي يحب في الدارين هو الله فقط فتحب رسله ونعمه له تعالى وتكره مساخطه له فقط « فأينما تولوا فثم وجه الله » ذاته وصفاته وأسماؤه فإن شهدت الكون فاشهد أثر محبوبك الله فقط فلا يشغلك مفعول من حيث هو عن حضرة فاعل الاشياء فلا تر أفضل من طاعة ربك فاسير الهوى شفاؤه الدلالة على الهدى وأسير حب الدنيا شفاؤه ذكر الموت واسير الوساويس شفاؤه الادلة والبراهين المخلصة من الظنون والشكوك والتخمين ومن ربقة التقليد واسير هواجس النفس والزلات شفاؤه الاقلاع فأسير صفاته وحبس وجوده شفاؤه الدلالة على الحق فيما يحل عنه وثاق الكون واما اسير قبضة الحق فليس له فداء ولا لقتيله قود ولا لربيطه خلاص ولا منه بدل ولا معه جدل ولا اليه لغيره سبيل ولا لديه إلا به دليل ولا به فرار ولا معه قرار وهو مقام الكمال فهذا سبيل المقربين فهو المتخلص من خزى الدنيا والآخرة وهو عمى القلب عن مشاهدة الحق والعمه في تيه الباطل في الدنيا والآخرة اللهم لا تحجبنا بالمفعول من حيث هو عن جمالك وعنك واكرمنا بنوال وصالك منك (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة جملة واحدة (وقفينا) اتبعنا (من بعده بالرسل) واحداً بعد واحد « ثم ارسلنا رسلنا تترا » يوشع وشمويل وداوود وسليمان وشمعون وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكرياء ويحيي وغيرهم

عليهم السلام وهم مجددون ما اندرس من احكام التوراة كعلماء امتنا قال صلى الله عليه وسلم : علماء امتي كانبياء بني إسرائيل. إن الله سيبعث لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها إلى عيسى . فهو جاء بشريعة جديدة ناسخة لاكثر شرع موسى فكل واحد منهم يعمل بالتوراة بإذن من الله لا بتقليد موسى فاجتمع عدد رسل فى زمن واحد قتلوا صبيحة يوم سبعين نبياً وقاموا آخر النهار بسوق بقالهم فقيل عدة الرسل بين موسى وعيسى سبعون الفاً وقيل اربعة آلاف فالعلم عند الله لم يبينه لنا رسولنا فلا سبيل لنا إلى العلم إلا بما صح عن رسولنا صلى الله عليه وسلم (وآتينا عيسى بن مريم البينات) فمعناه بالعربية المبارك ومعنى مريم الخادمة والعابدة فلكمال عبادتها سماها الله مع الانبياء سبع مرات وخاطبها خطاب الانبياء « يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » (البينات) المعجزات الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل (وأيدناه) قويناه (بروح القدس) بالروح المقدسة وهو النور المقدس من الذات المقدسة المفاض على قلب وروح وسر وخفى واخفى مراتب المقربين وهو الانوار الاقدسيات التي تقدس العبد مما سوى ربه وتقويه على إعطاء كل ذى حق حقه حتى لا يشغله الحق بالفناء عن الخلق ولا الخلق بالحجاب عن الحق. فهو الهدية من الله فالجسد بلا روح خشبة والروح بلا روح القدس خشبة باعتبار الحقائق وهو الذي ايده فشمل جبريل وروح نفسه وكل سر وكل نور فالقدس

هو الطهارة من التعلق بالفضول فإن تجلى الله باسمه القدوس فى العبد تقدس مماسوى ربه فلا يرى إلا ربه ولا يسمع غيره وإن كان فى وسط الكون والجلبات لاشتغاله بصواعق الجلال وشموس الجمال وهو مقام الاسم الاعظم الذى تنفعل به الحقائق . كن أبا ذر فكانه قال صلى الله عليه وسلم لحسان : أيدك الله بروح القدس . وهو مقام ذوقى لايعلمه إلا أهله فبه تقدس عيسى فى بطن امه وبعده فلم ينخسه الشيطان كغيره فبه يحيي الموتى فكل من افيض عليه احيا الموتى بإذن الله فإذن الله هو عين اعطائه روح القدس فهو نبي يعجز بروح القدس غيره ممن لم يتصف به فمن لم يكن نبيـاً استحيا من مثله إن كان من المقربين الذين يكاون أمر التصريف للرب تعالى ومنه نشأ «آنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين» وعنه كنى «تعلم مافى نفسى» من روح القدس «إن كنت قلته فقد علمته» فما انقادت الاكوان إلا لروح القدس وهو من الله لا من العبد يامعشر اليهود (افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى) تحب (انفسكم) من الحق (استكبرتم) تكبرتم عن اتباعه (ففريقاً كذبتم) كموسى حيث لم تتبعوا هديه وهو اتباع محمد وعيسى (وفريقاً تقتلون) صممتم على قتله فقتلتموه «وكأين من نبيء قتل» وكارادتهم قتل سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم فعصمه الله فسحرتموه على يد لبيد بن الاعصم وسممتم له شاة حتي قتل بها شهيداً فهو سيد الشهداء قال : ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهرى ، وقال إنى سائلكم عن شيء فهل صادقى فيه فهل جعلتم فى

هذه الشاة سماً قالوا نعم فما حملكم على ذلك قالوا أردنا إن كنت كاذباً استرحنا منك وان كنت صادقاً فلا يضرك فاليهود أنفت نفوسهم أن يكونوا أتباعاً للرسول لمقام الرياسة فكل قلب لم يتجرد من الرياسة لم يكمل إيمانه بالله وبرسله فللنفس دعوى سبع صفات مذمومة : عجب كبر رياء غضب حسد حب مال وحب جاه على عدد ابواب جهنم فمن تزكى منها انغلقت عنه ابواب جهنم 88 (وقالوا قلوبنا غلف) جمع اغلف مغشاة بأغطية لا يصله ما جئت به يعنون هم أوعية العلم فلا يقبلون إلا العلم فما جئت به ليس بعلم فنحن أغنياء عن ما جئت به فرد الله عليهم بأن قلوبهم خلقت على الفطرة تقبل العلم ولكن منعهم الاستكبار (بل لعنهم الله بكفرهم) خذلهم الله فأبطل استعدادهم فأصمهم واعمى أبصارهم فهم كفرة من اين يأتيهم العلم والاستغناء عنك (فقليلا ما يومنون) أي فبسبب لعن الله إياهم ما يومنون إيماناً معتداً به قليلا ولا كثيراً فما حرف نفي البتة فضلا عن الكثير فإن ايمانهم بالتوراة اظهر عدمه جحودهم بمحمد صلى الله عليه وسلم 89 (ولما جاءهم كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما) للكتاب الذى (معهم) التوراة والانجيل (وكانوا) اليهود (يستفتحون) يستنصرون على الاوس والخزرج (الذين كفروا) أشركوا اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث الموجود بنعته وصفته في التوراة قد أظل زمان يخرج فيه النبي بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق وهو بعثة الرسول فعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم

من غير شبهة يمكن أن تكون عذراً لهم فلا يقبل منهم العذر «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» فأفاد القرآن أنهم كفار قطعاً فزال ريب السحر وغيره فلم يبق فيهم إلا صفة العلم مع قيام التكبر فيهم على ربهم (كفروا به) حسداً وحرصاً على الرياسة وغيروا صفته (ف) ترتب عليهم (لعنة الله) إبعاده وإقناطه من رحمته من الايمان ونتائجه كالجنة (على الكافرين) عليهم اظهر ليظهر أنها على صفة كفرهم فاللام فى الكافرين للعهد وهو كل ما علم أنه كافر فى الازل فلعنة المومن من الدرجات بأن يتنزل بفسق إلى منزلة سفلى مما كان فيه مع بقائه فى ساق الايمان قال صلى الله عليه وسلم: من احتكر فهو ملعون. يعني من اشترى طعاماً وقت الغلاء يبيعه بأغلى طرد من حضرة الابرار إلى حضرة عامة المومنين وقس عليه كل ما ورد فى مومن فالاسباب التي تستدعى اللعن ثلاثة: الكفر والبدعة والفسق فلكل ثلاثة مراتب اللعن بالوصف لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفاسقين الثانية اللعن بالوصف وأخص منه لعنة الله على اليهود والقدرية والخوارج والروافض والزناة والظلمة وآكل الربى فهو جائز الثالثة اللعن على الشخص وجاز إن ثبت كفره شرعاً ولا يثبت إلا بالنص ولم يكن فيه أذى على مسلم لعنة الله على أبى جهل وابليس وإن لم يثبت ففيه خطر فإن خاتمته مغيبة وربما يسلم الكافر فلا مانع منه ظاهراً أو يتوب فلا يحكم عليه بأنه ملعون فانظر قضية وحشي وابي سفيان وخالد بن الوليد اسد الله في ارضه جاهلية واسلاماً

كيزيد بن معاوية فمن لعنه استحضر وصفه فلعنه لوصفه ومن لا قال وما يدريك على اي حالة مات فاحتملت توبته فسقط لعنه فلا تغلط باتباع من الصدر منه من العارفين فإنهم ماشهدوا إلا وصف فعله فلم يات وحى بأنه مات كافراً فلا تحل غيبته ولا سبابه : سباب المسلم فسوق . فقد قتل وحشي حمزة وبشره الرسول بالجنة فلا تدرى ماضمنه ليزيد فإنه يصلي وفتح الامصار فأول من يشفع فيه العارفون من آذاهم

فإن رحمة ربي حين يقسمها ❀ تاتى على حسب العصيان في القسم

فلا تغلط بما يحكى في التواريخ والكتب الغير المنقحة بالحقائق العرفانية فخالد بن الوليد هو الذى طحن رؤوس شهداء احد وبه فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة «كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا» ولا سيما من كان في قرون الفضل كحجاج فإن الله غفار لغير الشرك . وهو الذى قال اللهم اغفرلي فإنهم يقولون لا يغفر له . وإنما قلنا ماقلنا فتحاً لباب حسن الظن بالمومنين فإن الله تواب فلا تدرى عاقبة الامور وإن فرضنا أنه كفر بقتل أحباب رسول الله وآذاه فلعله تاب بعده كوحشي وما نقل من شعره في الخمر يحتاج إلى إثبات وزعما كان تجاهلا والله أعلم بعاقبة الامور فلعن المومن كقتله فإذا لعن الانسان دابته انتزعت منها بركة فلا يحل لعن حيوان غير كافر ولا جامد ولا زمان ولا مكان ولا قضية فإعاده قال صلى الله عليه وسلم : إذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه | قلت | فهى ام اشفقت أن تلعنه ككل أصل مع فرعه فالذكر

والتسبيح والتحميد لله اولى للعبد من فضول الكلام قال صلى الله عليه وسلم : اريت النار وأكثر أهلها النساء فإنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير فلو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ثم إذا رات منك شيئاً قالت مارايت منك خيراً قط . قال علي كرم الله وجهه من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والارض . فكل فتوى تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيسما) شيئاً تمييز لفاعله بيس الشيء شيئاً (اشتروا به) باعوا به (أنفسهم أن يكفروا) كفرهم وهو مخصوص بالذم فاطلقت الانفس على الايمان لانها ماخلقت إلا له وللعمل فلما تركت ماخلقت له وبدلوا الايمان بتكاليفه بالكفر صاروا كأنهم بدلوا الانفس به فالكفر حاصل تعلق نفوسهم بأبدانهم كالثمن حاصل ملك المالك كما ان العبد ان خاف من الملك فأتى بأعمال يظن أنها تخلصه منه فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال . ثم بين ان وجه كفرهم انما هو بغى وظلم لا شبهة معه (بما أنزل الله) من القرآن (بغياً) حسداً وطلباً لما ليس لهم علة الكفر لا الشراء حسداً على (أن ينزل الله من فضله) الوحي (على من يشاء من عباده) الرسالة بضم حرف المضارعة مع السكون من انزل وفتح النون من نزل وهو محمد صلى الله عليه وسلم تعتقد اليهود انه منهم فلما جاء من بني اسماعيل حسدوه وكرهوا أن يخرج إلا من بني اسحاق فيكون لغيرهم فانظر ثمرة الحسد وهي الغضب الدائم (ف) بسبب حسدهم (باءوا) رجعوا متلبسين (بغضب) من الله (على غضب) فالاول كفرهم بعيسى والانجيل فلا ايمان لنبي

(مقاصد) ات

اسرائيل بعد كفرهم بعيسى فهم كفار باجماع «يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم» فكذبوا فاتفقوا على قتله كغيره من الانبياء فعصمه الله منهم برفعه إلى السماء فكل عارف كذبه قومه رفع الله سره اليه ولا يبقى لهم الا خياله فعيسى خلصه منهم فتوفاه بتمام جسده وروحه اليه فهو صريح الكفر فكل من استحسن رد شريعته وقتله فهو كافر إلى قيام الساعة فمن تاب تاب الله عليه بينه وبين محمد فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم فمن تبعه نجى والا باء بغضب الله بسبب عيسى وبغضب بسبب محمد صلى الله عليه وسلم فاستحقوا لعنة اثر لعنة فإنهم بغوا على الله وعلى أنبيائه (وللكافرين) فقط (عذاب مهين) ذو إهانة بخلاف المومن العاصى فما قصد بعذابه إلا طهرة لذنوبه فمن طهر نفسه فى الدنيا بالتوبة دخل حضرة القدس والا طهره الله تشريفا بالنار فإن ادخل مومناً ما ادخله إلا على وجه التطهير فتزفر اليه النار زفرة واحدة فتحرقه كالفحمة فلا يحس بعدها البته إلا بمثل الحمام فى الدنيا قبل اماتته بالنوم والسكرة والصعقة فيبقى لا يحس حتى يخرج بالشفاعة من غير احساس رحمة من الله لمقام ايمانه فالايمان أعظم أنواع الطاعات فالله غفار ستار عفو ذو الرحمة رحيم حنان منان بالمومنين فأظهر موضع الاضمار إشعاراً بعلية كفرهم (٩١) (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) من القرآن وغيره (قالوا نومن بما انزل علينا) التوراة فقط والحالة أنهم يكفرون (بما وراءه) بما سواه من الكتب أو بما بعده من القرآن (وهو الحق) من ربهم جملة حالية (مصدقاً لما معهم) فلما كفروا بما يوافق التوراة كفروا

بها فبين الله كفرهم بالتوراة وغيرها بقوله (قل فلم تقتلون أنبئاء الله من قبل)
قتلهم اسلافكم ليعظم الله مراتبهم عنده فاستحسنتم فعلهم فكفرتم فكانكم
قتلتم بأنفسكم فالراضي بالقتل احد القاتلين فأنتم عباد العجل لما رضيتم
به وقتلة عيسى لما رضيتم به (قل) يا اكرم خلق الله (فلم تقتلون) اى
تحبون (قتل انبئاء الله من قبل) من قبلكم قتلهم اسلافكم واستحسنتموه
فعمكم ما عمهم (ان كنتم مومنين) بالتوراة فقد نهتكم التوراة عن قتلهم
وامرتكم باتباعهم فتمالئوا على قتل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم.
نافع انبئاء بالهمز فى جميع القرآن وغيره بالياء فأقيمت عليهم الحجة مرتين
كفرهم بالقرآن والانجيل فالكفر ببعض الكتب كفر بالكل وباستحلال
قتل الانبياء فمن استحل ما حرمه الله كفر فمن رضي بالكفر كفر وهم
جميع من كفر بالقرآن (ولقد جاءكم موسى بالبينات) وهى مبينة فى قوله
تعالى «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» كالعصى واليد وفلق البحر
ونحوه (ثم اتخذتم العجل من بعده) ذهابه للميقات (وانتم ظالمون) برضاكم
بما فعله سفهاء اسلافكم فالعاقل لا يقلد إلا الله فبكلامه يهتدى فانظر
إلى الموبقات التي ترتبت على ظلام التقليد لغير الله اللهم انا نشهدك بأننا
ما قلدنا وما جعلنا فى اعناقنا قلادة متابعة الاتباع لغير كلامك المنزل المبين
تمامه بلسان رسولك صلى الله عليه وسلم فلا يحل لاحد ان يتقدم بين يدي
حكم الله ورسوله فالقرآن لجام العقل وهو الحجة بيننا وبين ربنا فمن تتبع
شبه افكار الناس ولو اسلافه هالك لا محالة فكل فرد من افراد الامة توجه

اليه القرآن كله وارسل اليه نبيه المخبر به عن الله من وجد او سيوجد فلم
تبق قضية للعقل يحكم فيها «جاء الحق» كلام الله المقبول «وزهق الباطل»
زخاريف شبه العقول فاما استعظم بنو اسرائيل آباءهم من غير الانبياء
واستنقصوا كل نبي ارسل اليهم حتى استنقصوا جبريل الذى هو قوت
الارواح وامين الوحي تبعاً للانبياء أهلكهم التقليد فكفرو بالانجيل
قبل و بالقرآن بعد وهو الخسران (93) (واذ أخذنا ميثاقكم) على العمل بما فى التوراة
ككل كتاب توجه اليكم واعظم العمل اتباع رسولنا محمد الذى عمت
ولايته ورسالته إلى قيام الساعة فى كمال استقامة (ورفعنا فوقكم الطور)
حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم [قلت] فإن قبلوها فإنما هو تقية وربما
يكون كالسيف فيثبت بعد حين وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد
واجتهاد (واسمعوا) ما فى التوراة سماع قبول (قالوا سمعنا) بالاذان
(وعصينا) بالقلوب امرك اولا مخافة الجبل ماقبلنا في الظاهر فلما جمدوا
على اتباع اسلافهم فأنى يتصور منهم الايمان قالوه بالالسنة و القلوب فلا
يحول النص عن ظاهره (واشربوا في قلوبهم العجل) امتزج حبه بقلوبهم
امتزاج شراب بالعروق «انما ياكلون فى بطونهم ناراً» فالماء مطية الاغذية
والادوية فاطلق الحب على الماء فبرده موسى بالمبرد وذر في الوادى
وامرهم بالشراب فمن شرب منه وبقى منه حبه ظهر الذهب والفضة على
شاربه وهو الامر تتوب إلى الله وهو يستر نا باسمه الستار فى الدنيا والآخرة
فما قيل في النبوة يقال فى الولاية فالمطالون المشبهون بالطالبين للحق

يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحسنته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه فيكذبون فريقاً فراراً من تحمل مشاق الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالجسد «والفتنة أشد من القتل» فإن فتر المريد عن العمل في طريقه لم يضر ان تمسك بالارادة فيرجى عوده باذن الله ثم بهمة الاستاذ فإن زلت قدمه عن جادة الارادة وظل ينكر ويعترض فلا يرجى فلاحه. فكل أهل زمن يتمنى أن يدرك احداً من الاجلة ويتوسل به الى الله عند حوائجه ويظهر محبته عند الناس فلما وجدوا واحداً منهم ولم يعرفوا قدره حسدوه واظهروا عداوته فما انصفوه «فباءوا بغضب» من رد ولايته فمن رد ولاية واحد رد ولاية الجميع «على غضب» من الله لاوليائه: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وانما أنا اغضب لاوليائى كما يغضب الليث لجروه. فالاشراب فعل الشيطان وليهم (قل بئس ما يامركم به إيمانكم ان كنتم مومنين) بئس شيئاً وهو سمعنا وعصينا وعبادة العجل واستحسانهما من المخاطبين بالقرآن واسند الامر للايمان تهكما فإن الايمان لا يامر بالكفر لانه ضده كقوله «أصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا» (ان كنتم مومنين) بالتوراة معناه لستم مومنين إذ من آمن بالله وكتبه لا يفعل تلك القبائح وأضاف الايمان لهم اشعاراً أنهم كافرون بالتوراة وآمنوا بعبادة العجل فالمومن يصدق فعله قوله والا لم يومن فالتوحيد الخاص افراد القدم من الحدوث والخروج عن الاوطان وقطع المحاب وترك ما علم وما جهل بكون الحق سبحانه مكان الجمع ..لما يثمر

يعقوب مبشر يوسف بحياته وملكه قال له على أي دين هو قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة على يعقوب فالتوحيد اصل الاصول وماحق الخطايا وجالب للعطايا كان صلى الله عليه وسلم يحب اسلام دحية الكلبي وتحت يده سبعمائة من آل بيته يسلمون باسلامه ويقول اللهم ارزق دحية الاسلام فلما وفق أوحى الله اليه أنه يدخل عليك الآن فلما دخل المسجد رفع صلى الله عليه وسلم رداءه وبسطه بين يديه فأمره أن يجلس عليه فبكى من كرمه صلى الله عليه وسلم فرفعه وقبله وجعله على رأسه وعينيه وقال ما شرائط الاسلام فقال أن تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقالها فبكى فقال له عليه الصلاة والسلام ما هذا البكاء وقد رزقت الاسلام قال ارتكبت خطيئة فما كفارتها ان امرني ربك أن اقتل نفسي قتلتها فإني كنت رجلا من ملوك العرب فاستنكفت أن تكون بناتي تحت غيري فقتلت سبعين من بناتي بيدي فتحير صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل وقال ان الله يقرؤك السلام ويقول لك وعزتي وجلالي إنك لما قلت لا اله إلا الله غفرت لك كفر ستين سنة وسيئات ستين سنة فكيف لا اغفر لك قتل البنات فبكى عليه الصلاة والسلام واصحابه فقال عليه السلام إلهي غفرت لدحية قتل بناته بشهادة لا اله إلا الله مرة واحدة فكيف لا تغفر للمومنين بشهادات كثيرة وبقول صادق وبفعل خالص (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) سالمة خاصة بكم (من دون الناس) وأل للعهد محمد وامته وهي كلمة الاختصاص تقول هذا لي من دون

الناس (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) احبوه واسئلوه بالقلب والاسان
وأن اليهود ادعوا الاماني الباطلة « لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة ، لن
يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، نحن أبناء الله وأحباؤه » فكذبهم
الله والزمهم الحجة فلا يتمنى لقاء الملوك أهل الجرائم وإنما يتمنى الموت أهل
المحبة السالمون من الاستكبار والمخالفة فمن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق
لها كالمبشرين بها . كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يطوف بين
الصفين في غلالة فأنكر عليه الحسن فقال لا يبالي ابوك على الموت سقط
ام عليه سقط الموت فكان حذيفة يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيبي
الموت جاء على فاقة اليه يعني احتجت له لا أفلح من ندم وقال عمار
بصفين الآن الاقى الاحبة محمداً وحزبه فكل واحد من اكابر المومنين
يحب الموت ويحن اليه فالموت الرجوع الكلى إلى الله يفعل ما يشاء فيه
95 (ولن يتمنوه ابداً بما قدمت ايديهم) من موجبات النار بالكفر بالانجيل
والقرآن وبعض الانبياء والخير واهله مطلقاً من كل مومن اطاق الايدى
على الانفس فإنها محل تظهر فيها قوة النفس في الجلب والدفع والحرف
فاليد آلة لقدرة النفس « يد الله فوق ايديهم » تعني به المؤولون قدرة
الله فوق قدرتهم فالسلف فوضوا أمر التاويل إلى الله وهو ان نصفه بما
وصف به نفسه فقط وهو الايمان بالغيب فاعلمنا الله انهم لا يتمنون
الموت ابداً فإن العبد العاصي الآبق لا يحب لقاء سيده للخوف والمطيع
يحبه فالرسول كلف بتبليغ الشريعة ولا تبلغ إلا بحياته فلا يتمني الموت

له فلما بلغ قال له « فسبح بحمد ربك واستغفره » فقد تم مرادي فيك نعياً له من ربه فليست حجة للكافرين ان يقولوا دعنا نقتلكم فتتصلوا بدار الكرامة فإن الله قال « خذوا حذركم » فلا يخلوا مومن من الشوق الى الله فلطلب لقاء الله جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وبذلوا الارواح « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » قال صلى الله عليه وسلم : من أحب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . قالت عائشة انا نكره الموت قال ليس ذلك ولكن المومن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب مما امامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وبين الله انتفاء اللازم وقال (ولن يتمنوه أبداً) فلا يتصور منهم حب الموت بالنص وبرهن عليه (بما قدمت ايديهم) وهو من المعجزات وهو الأخبار بالغيب فالتمني قول الانسان تمنيت وليس عمل القلب فقط فله تحدى به ولا يتحدى بما في القلوب فلم ينقل عن احد منهم انه تمنى الموت ولا يكون ابداً فلا تكون الدار الآخرة خالصة لهم قال صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وإن كان ولا بد فليقل الهي احيني ما كانت الحياة خيراً لي وأمتني ما كانت الوفاة خيراً . وهو محمول على تمن ترتب على عدم الصبر من ضر ونكد العيش فإنه نوع من عدم الرضى بالقضاء ويدل على الجزع وضيق

العطن فنافي التوكل والتسليم أو على من سببه الجزم بدخول الجنة فإنه اخبار بالمغيبات فكره الا للاولياء فقط فالرجل يخبر عن نفسه بالايمان القلبي مع امكان الكذب فيصدق (والله عليم) لاغيره (بالظالمين) قولاً وهو حجة على انهم كفار لاينفعهم مايزعمون «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» وحكمة الله في عدم تمنيهم الموت أنه لو تمنوه لغص كل يهودي بالموت من ساعته. عن نافع تمنى يهودي الموت عناداً فقال مالي لم أمت وفي كتابكم ولن يتمنوه أبداً فاخترط عبد الله بن عمر سفيه فهرب فقال أما والله لو أدركته لضربت عنقه تمنى هذا الجاهل وظن أنه لكل اليهود في كل وقت وإنما لمن يجحدون نبوته فالمومن لم يجعل لنفسه من المرتبة والشرف ما جعلته اليهود لانفسهم فإنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه فالمومن إنما يطلب عفو الله وفضله فلا يرى لنفسه أمراً زائداً عن العبودية وأن الله يفعل فيه ما يشاء إن عذبه عذب عبده وإن رحمه رحم عبده فمن المومن الانتساب إلى الله والاستسلام له تعالى راضياً بما قدر له او عليه فلا يقال للمومن «فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» حجة عليهم مع اجماعهم أن الجنة للمومن فقط ولا نصيب فيها للكافر فلا يحب الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت أو رجل يفر من اقدار الله عليه او مشتاق يحب لقاء الله فقدوم المطيع كقدوم الغائب الى اهله وقدوم العاصي كقدوم الآبق الى سيده الغضبان فالموت اعظم مصيبة واعظم منها الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وقلة الفكر فيه وترك العمل

له وفي الموت وحده لعبرة كفى بالموت واعظاً قال عليه الصلاة والسلام: اكثروا ذكر هاذم اللذات. « قال تعالى كل نفس ذائقة الموت » وهو يكفي السامع ويشغل الناظر فيه فوجب على العاقل أن يسعى للموت بالاختيار قبل الموت بالاضطرار ويزكي نفسه عن سفساف الاخلاق (96) (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) من الوجدان العقلي فاللام للقسم والتنوين لنوع حياتهم فإنها نوع من مطلق الحياة (و) أحرص (من الذين أشركوا) افردهم فإنهم أحرص الخلق بعد اليهود وهو توبيخ عظيم فإن المشركين لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا حياتهم فلا يستبعد حرصهم فاليهود علموا بالعقبى ومعه فهم اخش من المشركين فإنما اشتد حرصهم عليهم لعلمهم انهم صائرون الى النار بخلاف المشركين فإنهم جاهلون بالعقبى (يود) يريد ويحب (احدهم) اليهود ومن انضم لهم من المشركين (لو) حرف تمن ومصدر (يعمر) يتمنى التعمير (الف سنة) فتحية المجوس عش الف سنة والف نوروز الف مهرجان فالمجوس يقولون بالنور والظلمة (وما هو) احدهم (بمزحزحه من العذاب) مبعده (ان يعمر) تعميره فاعل لمزحزحه (والله بصير) العالم بكل الشيء الخبير العالم بخفيات الامور من المعصية والطاعة والكفر فيجازي كلاً فالحياة الدنيا تنقضي سريعة ولو عاش الف الف الف يصير كلمحة فمن احب طول العمر للطاعة فاز قال صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله. وللفساد خسر فالموت يجيء بغتة فليس له اجل معلوم ولا سن معلوم ولا مرض معلوم ليكون

المرء على احبته منه دائماً فنادى الموت يقول الرحيل الرحيل فينزل بنفس راضية او كارهة فالموت للموقن المومن الكامل كالذ نومة ياتيه الملك الكريم في صفة لم ير الناظرون مثلها على حسب عمله واخلاصه فينظر الى حسن صورته فيبهت ويتحير من جماله لم ير مثله فيغشى عليه من حسنه ويصعق كما صعق موسى فلولا ان موسى بقيت ايام تبليغ الرسالة مارجع لحسن ما شاهد فلو قلت للمحتضر المومن ازل بصرك من وجه عزرائيل اعطك كما احببت من الدنيا والجنة ما ازاغه عنه لكمال صورته التي تجسد عليها فإنه يتجسد على حسب صفاء الاخلاص والتوحيد والعمل كنكير ومنكر ملكي السؤال فإنهما ياتيانه على صورة نيته وعمله واخلاصه فيبعث النائم على مانام عليه والميت على مامات عليه فإن مات على ذكر يبعث فى قبره وفى كل موطن من مواطن الآخرة ذاكراً لربه فيراه الملكان الكريمان ذاكراً لربه فلا يسئلانه فإن منشور الله على فمه ولسانه وانما يبحثان عن علامة الله فهي الذكر فمن ادام سورة الملك او السجدة او الاخلاص فى مرض موته أو مات يوم الجمعة كغيره من كل وارد لا يسئلانه فلا فائدة للسؤال لانه ناطق بالمنشور فلم يعرض الله تعالى عرصات الآخرة إلا لمن أراد ان يدخل الجنة بعمله أو أراد أن ياخذ من الناس مظالمه فلا بد له أن توزن اعماله وكتابته وصورته وصور اعمالـ ويناقش حتى يعلم أنه لا يدخل الجنة أحد بعمله فلا تدخل الا بالفضـ وتقسم على حسب الاعمال وتصفو على قدر الاخلاص نعمها من ا

ومأكل ومشارب ومناكح والسماع والنظرة لربه كله إنما يكون على حسب الاخلاص فمن وزن بالاخلاص وزن له ثمه بالاخلاص فمن اراد الانتصاف من الناس ذهب الى مواضع الجرائم فيشكو بعباد ربه وهو سوء ادب فيسمع ويقبل وينصف من ظالمه ظاهراً ثم كاف بأداء حقوق كل فرد من أفراد المظلومين من نفسه وغيرها فلا يسامح له في شيء لتعديه مرتبة الادب حيث لم يستحى من ربه في عباده ولم يسامحهم لوجه ربهم فلو نظر بعين الحقيقة والادب لرآ الفضل كله من الله وانهم عبيده لا يحبهم ويحب من يسترهم ويعفو عنهم فإذا قال يارب إن فلاناً ظلمني وسامحته لوجهك قال له انه ظلمك في ظاهر الشريعة وسامحته في مرتبة الطريقة فقد اعتقته في مرتبة الحقيقة وحررتك من النار واسبابها وارضيت عنك اهل الخصوم والمظالم بفضلي من جودي وكرمي بأدبك وعلمك وان قال إنه ظلمني ياربي فخذ لي حقي منه قال له انه ظلمك واستوجب عقابي فقد أهلكته وعاقبته ثم ان فلاناً وفلانة الى آخر من ظلمتهم من كل حيوان عاقل وغيره يشتكون بك ظلمتهم فقد اهلكتك وعاقبتك جزاء وفاقاً « وما ربك بظلام للعبيد » فهذا الاديب من قبره إظل عرش الرحمن فلا يرى موقفاً بل ياكل ويشرب ويسمع حتى يقال له قوموا الى شرب من الحوض الى جنة ربكم على أجنحة حبيبكم جبريل عليه السلام . فأول راحة للمومن الموت فما بعده اهون وأهون لان في الدنيا رحمة وفي الآخرة تسعة وتسعين مع هذه فلا يرى المومن في الآخرة إلا ما يسره فالناس

فى ما بين الدنيا والجنة اربعة ناس من قبورهم إلى قصورهم ثم ناس تأتى
لهم الملائكة باذن ربهم النجائب ويركبون كالملوك والملائكة آخذون
بازمتهم وركابهم تعظيماً الى المحشر وناس يدبون على أقدامهم عراة حفاة اليه
وناس تجرهم الملائكة على وجوههم فنعوذ بوجه الله فيأتى الموت وملكه
الكافر والمنافق بأنواع الكفر أشدما يكون وأفظع على صورة قبح وأقبح
نياتهم واعمالهم واخلاصهم الكفر فكل ما يراه بعد انما يأتى على صورة
عمله واخلاص كفره فغلات شجرة الكفر تأتيهم على حسب اتقان الكفر
فكلما ورد من الشدة والتنكيل في شأن الموت وما بعده انما هو للكافر
فقط فالرسالة ابتداءً للانذار فقط ثم قسمت إلى قسمين تبشير المؤمنين
وانذار للكافرين فكل واعظ يغلظ ويشدد على المومن بما ورد في الكافر
فقد اخسر الميزان وظلم نفسه وشدد عليه «فقولا له قولا ليناً ، فبما رحمة
من الله لنت لهم ، عزيز عليه ما عنتم » فلا يحب من يشق على امته فهو
متسبب فى كراهة الموت وكراهة لقاء الله فيذكر صواعق عرصات
الآخرة على الكافرين افزاعاً للمومنين . فالله كريم غفار لمن اناب فلا ينفع
المومن الا رحمة الله وفضله « فبذلك فليفرحوا » أنا عند ظن عبدى بى فليظن
بي خيراً . فلا ينبغى للمومن ان يظن بربه إلا خيراً فتمنية المومن العاصي
برضى ربه ورحمته خير من ايأسه من رحمته جاه الله ياوعاظ الامة فارفقوا
بأحباب الله فمما ورد في حق أجناس الكافرين قول كعب الاحبار الموت
كشجرة شوك ادخلت في جوف ابن آدم فاخذت كل شوكة بعرق ثم

اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقي ما أبقي . وفى الحديث: لو أن شعرة من وجع الميت وضعت على أهل السماوات والارضين لماتوا أجمعين وان فى يوم القيامة لسبعين هولا وان ادنى هول ليضعف على الموت بسبعين ضعفاً (قل من كان عدواً لجبريل) ٩٧ كان لعمر رضي الله عنه مزارع بأعلى المدينة فيمر على مدارس اليهود فيجلس لهم حتى طمعوا فيه فقالوا انا نحبك ونحبنا فنطمع أن تتبعنا فقال لهم والله ما احبكم ولا أنا شاك فى دينى وانما اردت ان ازيد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم فسألهم عن جبريل قالوا له هو عدو لنا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب خسف وعذاب وميكائل صاحب الخصب والسلامة فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال فإن كان كما تقولون فليس بعدوين لقربهما ولانتم اكفر من الحمير يعنى اجهل فالكفر نتيجة الجهل والبلادة فمن عادى احدهما فهو عدو الله فرجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال له صلى الله عليه وسلم : لقد وافقك ربك ياعمر . قال عمر لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله اصلب من الحجر وقالت اليهود ان جبريل امره ان يضع الرسالة فينا فخالف الله فأنزلها فى اولاد اسماعيل نجب عبد وإيل الله فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من اليهود يسكن فدك فقال كيف نومك فإنا اخبرنا عن نوم النبى الذى يجيء من بعد فى آخر الزمان فقال تنام عيناي وقلبي يقظان قال صدقت فأخبرني

عن الولد أيكون من الرجل او من المرأة فقال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل وأما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة قال صدقت فما بال الولد يشبه اعمامه فقط او اخواله فقط قال ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال ما الطعام الذى حرمه اسرائيل على نفسه قال إن يعقوب مرض مرضاً شديداً فنذر ان شفاه الله حرم على نفسه احب الطعام اليه وهو لحم الابل وأحب الشراب اليه وهو البانها قال صدقت قال ما أول نزل الجنة قال الحوت قال صدقت وبقيت خصلة إن قلتها آمنت بك أي ملك يأتيك بما تقول من الله قال جبريل قال ذاك عدونا فهو ملك العذاب يأتى بالقتال وكسر السفن والشدائد فملكنا ميكائيل فهو ملك الرحمة المطر والرحمة فقال له عمر ما بدى عداوتكم له قال عادانا مراراً ومنه انزل على موسى أن بيت المقدس سيخرب على يد بختنصر فلما ولد ارسلوا رجلا ليقتله فدافع عنه جبريل وهو مسكين لا قوة له فقال لصاحبنا ان كان سبب هلاككم فلا تسلط عليه وان لم يكن هذا فعلى أي ذنب تقتلونه فصدقه صاحبنا وتركه فلما كبر غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا فميكائيل عدو جبريل فقال عمر فأنتم اكفر من الحمير (فإنه) جبريل (نزله) القرآن اظهره لكمال شهرته (على قلبك) فقل لهم كما قلت لك فهو القابل الاول حفظه اياك وفهمكه فالقرآن انزل على الرسول وانما خص القلب بالذكر لان السبب فى تمكنه صلى الله عليه وسلم من الاداء ثباته فى قلبه فجعل الله قلبك متصفاً بالقرآن ومتأدباً بآدابه كان

خلقه القرآن (باذن الله) بأمره (مصدقاً) حال موافقاً (لما بين يديه) لما قبله من الكتب في التوحيد (و) بعض الشرائع (هدى) حال كونه هادياً إلى دين الحق (وبشرى) حال بالجنة (للمومنين) فلا وجه لمعاداته فلو انصفوا لاحبوه وشكروا صنيعه نوفن عاداه لم ينصف وكفر بما معه من الكتاب فالسبب في عداوته انه نزل عليك الكتاب فليمت غيظاً فانه عدو لي وأنا عدوه وهو (98) (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين) بالله وملائكته أفردهما تشريفاً لهما فكانهما من غير جنس الملائكة فهما من اكرمهم فالعداوة المخالفة عناداً له والمقربين من اصفيائه فعداوتهم نتيجة عداوة الله لهم فى الازل فصفة الله قديمة: هؤلاء في النار ولا ابالي. فمحبة المومن نتيجة محبة الله له فى الازل «يحبهم ويحبونه» فالتغاير فى الوصف ينزل منزلة التغير فى الذات فلما نزلت الآية بسببهما حسن افرادهما فتقديم جبريل يشير إلى افضليته فجبريل ينزل بالعلم سبب بقاء الارواح و الاديان وميكائيل ينزل بالخصب وهو سبب بقاء الابدان فالبدن مطية الارواح وهما مطية الاديان والخير كله فمن عادى احدهما عادى الآخر وعادى الله (99) (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام فهى واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله (وما يكفر بها إلا الفاسقون) المتمردون فان اطلق الفسق على المعاصي دل على افحشها وهو خروج الانسان عما حد له من فسق الطريق زاغ عنه فلا يوصف صاحب

لصغيرة بالفسق كمن ثقب النهر ثقباً صغاراً فلا يقال فيه لغة فجر النهر
القرآن نور مثاله كاناس دخلوا الحمام في ظلام وفيهم أهل العاهات والاصحاء
يدخل واحد بالمصباح فلا يقوم لاطفائه الا أهل العيوب والعاهات فهم
اليهود كانوا يستفتحون به على الاوس والخزرج فلما أتى بما يفضح سرائرهم
أنكروه فالله متم نوره ولو كره المفضوحون الكافرون (أو كلما) فالهمزة 100
للانكار والواو للعطف اكفروا بالآيات وكلما (عاهدوا) لله على الايمان
(نبذه) طرحه (فريق) طائفة (منهم) ومنهم من لم ينبذه فقد اخذ الله العهد
منهم ومن أنبيائهم (بل اكثرهم لا يومنون) بالتوراة فلا عبرة بهم فلا
يعدون نقض المواثيق ذنباً لتمام كفرهم بأنبيائهم فأكثرهم هم النابذون فهم
أصالة موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله من اسلافهم العهود
فنقضوه (ولما جاءهم رسول) محمد (من عند الله مصدق لما معهم) من 101
التوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله) التوراة فإن
كفرهم بالرسول الذى امرتهم التوراة باتباعه كفر به وكفروا بالقرآن
بعد ما ألزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) لم يعلموا بما فيها من الآيات
فهو مثل لاعراضهم عن الرسل بالكلية لعدم مبالاتهم بهم وبكتبهم
(كأنهم لا يعلمون) لم يتصفوا بصفة العلم من انه نبي حق فعلمهم به حاصل
ولكنهم كابروا وعاندوا فقد ادرجوه فى الديباج وحلوه بالذهب فلم
يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه. فأصل اليهود اربع فرق فرقة قاموا بحقوق
التوراة كمومني أهل الكتاب. وهم الاقلون تحت طي بل اكثرهم لا يومنون

وفرقة جاهروا بنبذ العهود والفسوق وهم المعنيون بقوله « نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها بل نبذوها لجهلهم وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهراً ونبذوها خفية وهم المتجاهلون فالمتجاهل الذي يعمل عمل الجاهل والجاهل سواء فكما ان الجاهل لايجيء منه شيء كذلك العالم الذي لا يعمل به قال صلى الله عليه وسلم واعظ اللسان ضائع كلامه وواعظ القلب نافذ سهامه . فالاول عالم غير عامل والثانى عالم عامل . فالندامة اربع ندامة يوم أن يخرج قبل ان يتغدى وندامة سنة وهو تارك الزراعة وندامة عمر وهو تزوج امرأة غير موافقة وندامة الابد ترك امر الله ومجرد قراءة الكتاب فلا بد من العمل وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فالعلم الظاهر لا ينفع إلا بمعرفة المراتب الاربع أن حكم الزنى مثلا الرجم والجلد ففى الانسان محل يقتضي السفاح والوقاع فأهل الارشاد يقمعون المقتضى فالمتبحر فى العلم إن لم يتزك بالعمل لا يعبا به فجهله اغلب . دخل بعض المتبحرين على ولي الله فقالوا له هذا عالم الدنيا فقال ما علمه قالوا علم النجوم فقال الحمار الابيض اعلم منه فسافر العالم إلى بلد فقال له الطحان ادخل فإن الليلة مطيرة فإن لم تدخل حمل بك السيل فقال من أين عرفت قال هذا الحمار الابيض إن حرك ذنبه إلى السماء ثلاثاً لم تمطر وان حركه إلى جانب الارض امطرت فاعترف بعجزه وصدق الولي . قال ولي لابن سيناء افنيت عمرك فيما لا فائدة فيه وأي فائدة حصلت علمها قال اطلعت علي ليلة او ساعة يكون فيها الجديد

كالعجين فقال اعلمني بها فلما وصلت ادخل اصبعه في الحديد فدخلت
كالعجين فجاءه الولي في ساعة اخرى فقال له اعمل قال مضت ساعته فادخل
الولي اصبعه في الحديد كالعجين فقال فلا تفن عمرك فيما يزول ويفنى
فابن سينا تابعاً للفلاسفة ادعى الوصول بالعقل فخسر وضل كذلك اليهود
أنفوا من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فخسروا وضلوا وأضلوا فبقوا
في ظلمة الجهل والكفر (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) فالعرب تضع المستقبل
موضع الماضي ما كانت تتلوا تقرا (على ملك سليمان) من السحر ودفنته
تحت كرسيه لما نزع ملكه على قول الكلبي والراجح ان نزع الملك مع
الاراجيف عليه كذب فالحق ان الشياطين يسترقون سمع الملائكة فياتون
بكلمة ويضيفون لها مائة كذبة فيلقون ذلك لفسقة بني إسرائيل الساحرين
فاكتتبوا ذلك وكثر وفشى أن الجن يعلمون الغيب فبلغ سليمان فجمع ما
عندهم وكنزه تحت كرسيه ونهاهم ان يعتقدوا أن الجن تعلم الغيب فراضهم
وهذبهم فلما مات سليمان جاءهم شيطان في صورة رجل يقول يابني إسرائيل
هل ادلكم على كنز لا يفنى وهو ان ادلكم على ما يحكم به سليمان الحيوان
كله فاحفروا هنا تحت موضع الكرسي فإن لم تجدوه فاقتلوني فلا يقربه
شيطان الا احترق فحفروا فوجدوا كتب السحر وقال لهم الشيطان بهذا
غلب أهل زمانه فاعملوا به ثم طار بين اظهرهم فاستعملوه فضح فاعتقدوا
أن سليمان انما هو ساحر لا نبي ففشى السحر في بني اسرائيل فأكثر ما
توجد عندهم كتب السحر عند اليهود فاعتقدوا أنه بساحر وأن عيسى

ابن فاعلة وأن محمداً ارسل إلى العرب فقط ففسقوه لما توجه لهم بقله قتلهم واجلاهم (وما كفر سليمان) لم يستعمل السحر فالساحر كافر ومدونه (ولكن الشياطين كفروا) باستعمال السحر وتدوينه حال كونهم (يعلمون الناس السحر) بقصد اغوائهم واضلالهم سحره صرفه عن وجهه ما سحرك ما صرفك وشرعاً مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال يترتب عليها امور خارقة للعادة فالمعتزلة هو تخييل «يخيل اليه من سحرهم انها تسعى» والاشعرية حقيقة فقد ياتي بفعل او قول يمرض منه او يموت المسحور ويفرق به بين المرء وزوجه وهو حرام تعلما وتعليما فلا يظهر إلا على يد فاسق فلا كرامة على يد فاسق وحرم تعليم وتعلم الكهانة والتنجيم والضرب بالرمل والحصى والشعير والشعبذة ويحرم إعطاء العوض واخذها عنها بالنص الصريح فى حلوان الكاهن والباقى بمعناه فالكاهن من يخبر بواسطة النجم عن المغيبات فى المستقبل فالعراف هو يخبر عن المغيبات فى الماضي كعين السارق ومكان المسروق والضالة فلا تغتر بجهالة من يتعاطى الرمل وإن نسب إلى علم كان نبي يخط فمن وافق خطه فذلك معناه لا يمكن ان يعرفوه إلا بالشرع فالشرع ينزل به فالذى يخبر به من غير الشرع هو الفاسق المحرف للتوراة فلا يوثق به فلا يجوز لنا ذلك فالعلم كله من الشرع بالرواة عنه فلا رواية فما يتعجب منه كأهل الحيل بمعونة الآلات كالادوية او يريه صاحب خفة اليد مذموم حرام فلا تغتر بالبيضاوى هنا فإنه غلط فاحش بل هو حرام كما صرح النووى الذى قل سقطه فالسحر استخرجه

الجن لدقة أفهامهم ولطافة أبدانهم (وما) يعلمون الناس الذى (انزل على الملكين) بفتح اللام وبكسرها وهما ملكان كريمان معصومان كلفهما الله لما فشى السحر فى زمن النبوات واختلطت الكرامة بالمعجزات وكثرت اقتراحات على الانبياء فساعدهم الانبياء فانقطعت المعاذير على خلق الله عند تحدى الانبياء وكثرت الانبياء فى كل زمن وكثرت المعجزات فافضى الحال الى ان لا يبقى واحد في الدنيا أنزل الله الملكين بتعليم السحر ابقاءً لعباده المعذرة عند فيض بحر الرسل بالمعجزات وهو مشتق من السحر فله وجه إلى الباطل وهو الذى تعنيه المعتزلة ووجه الى الحق وهو الذى تعنيه أهل السنة وانت عرفت أنه مركب منهما كالسحر له وجه لليل وللنهار فاذا اظهر النبي المعجزة امكن للضعفة الذين لم تصل الرسالة إلى قلوبهم قولهم سحرنا محمد وسحر السماء ويعذر عليه حتى تصله ادلة الرسالة كالعباس وأبي سفيان وخالد بن الوليد وسهيل لما لم تصلهم بقوا على حالتهم من الجهالة فلما وصلتهم اسلموا كاهل كل زمن فلولا السحر وشبهته وإن كان باطلا لاستاصل العذاب كل من كفر بالنبي فمن ثم لاجل هذا كثيرة من الفوائد وهى كثرة السحرة فى بعض الازمان حتى لا يعرف المحق من المبطل فادعى المبطلون النبوات فوقع الالتباس علم الملكان الكريمان السحر أصلا وفرعاً لترد بمعرفته اباطيلهم فيجب تعلمه لابطال عقده وإفساد ما اعتقدوه ديناً فانزل على الملكين لئلا يكون شرعاً فالشرع ماجاء رسولنا فقط وما جاء عن ملائكة الالهام ضعيف فإن وافق النص عمل

وإلا ترك فالعلم ما أتى عن الرسول فقط وغيره ان جانبه طرح وحكم بأنه باطل فكل كشف يناقض الشرع باطل فلا يمكن أن يناقض الحق الحق ابداً فكلما نقل هنا من الحكايات المناقضة للعقل والشرع فانما هو منقول عن كفار اليهود واراجيف الملحدين فلم يصح عن الشرع شيء وإن رفعها احمد والبيهقي وابن حبان فمما لا طائل تحته لتقدم من لا يوثق به في الاستناد فالقواعد ترده والذوق يأباه والكشف والوجدان يدفعه فالملائكة كلهم معصومون في أي ناحية كانوا اصالة وغيرها فمن قال انا نزلوا تصورت منهم المعصية فباطل فابليس ليس من الملائكة بل من الجن بنسب الله فرضي الله عن البيضاوي فقد بين هنا نهاية المرام وإن صحح ابن حجر الحديث فالكمال لله فانما نظر إلى السند وخفي عنه ان السند صحيح لكن باعتبار نظمه وخفي عنه انه زوره الاجنبيون من الدين لاضلال الامة فلو تطرق مثله إلى الملائكة لتطرق إلى جبريل أمير الوحي فاضمحل الدين من أصله وهو خور وإياك من مثله فان الملك خلق معصوماً لا يتصور منه الاستكبار ولا طلب المراتب فكل واحد له حد يحده « وما منا إلا له مقام معلوم » كالانبياء معصومون وإلا لتطرقت المعصية الى التبليغ وفسد نظام الدين وهو غير معقول بكل اعتبار فلا تصغ لمثله فانه رجس جاء من أعداء الانبياء والدين يؤلفون كتباً على شرط البخاري ومسلم والموطى وغيرهم وينسبونه لامام فاذا نظرت إلى متنه وصحة سنده اغتررت بصحته فالقرآن سالم وإنما نزل لتعظيم خاصة الانبياء والملائكة ثم لنا لا لأنه أنزله لتنقيصهم لعود

بالله من مثله (ببابل) بلد بسواد العراق (هاروت وماروت) بدل أو عطف بيان (وما يعلمان من احد حتى يقولا إنما نحن فتنة) ابتلاء من الله لنمتحنهم بتعليمه (فلا تكفر) بتعلمه و تعليمه وباعتقاد التاثير به فإن الفعل لله فقط فالسحر وغيره إنما هو علامة أجراها الله لانفعال الاشياء عندها لا بها قوة وطبعاً فالله فقط هو الفاعل المختار فالقصة بتمامها عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها والدلائل على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد تعليمهما السحر حال العذاب ولأن الفاجرة كيف يتعقل أنها صعدت الى السماء وجعلها كوكباً مضيئاً امتن الله على المومنين بها او باوتكلما بما باوت بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا ماعصيناك فهو تكذيب لله كقولهم دع الله يخلق فلن يخلق أكمل منا فهو عين الكفر فلم يصدر من ابليس مثله فكله أراجيف الاجانب من الدين يلقونها فى وسط المسلمين كوسوسة ابليس لا غير فتفطن فلا تعتقد حليته فتكفر فان أبى إلا التعليم علماه واشترطا عليه الا يعمله إلا لمصلحة لا لمضرة تعود على الخلق (فيتعلمون منهما ما) شيئاً سحراً (يفرقون به بين المرء وزوجه) ببغض كل الآخر بحيلة أو تموية كنفث في العقد مما يحدث الله عنده الفراق ولا أثر للسحر كغيره فان ما سوى الله مفعول لا فاعل وهو (وما هم بضارين به من احد إلا باذن الله) ارادته فالاسباب غير مؤثرة بالذات بل بارادة الله (ويتعلمون مايضرهم) فى الآخرة وعند الله (ولا ينفعهم) إن عملوا به او لان العلم يجر للعمل غالباً (ولقد علموا) اليهود

(لمن اشتراه) اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله تعالى (ماله في الآخرة من خلاق) نصيب في الجنة والسعادة (ولبئس ماشروا) باعوا به أنفسهم حظها في الآخرة أن يتعلموا حيث اوجب لهم النار فأصل انزاله للرحمة فاستبدلوا به الكتب الالهية (لو كانوا يعلمون) حقيقة مايصيرون اليه بسببه وإنما انزل السحر على الملكين لكثرة السحرة فعلما ابواب السحر ليبطلوا سحر الضالين الصائلين كالدجال إذا ظهر فانه انما يفتن بسحره فلو كان من يقاومه لابطل حرفته وهو شر للساحرين وخاتمهم فللجن انواع السحر لا يقدر البشر على مقاومتهم فأنزل الملكين تقوية للبشر كالملائكة المسومين فى بدر وأحد. فاعلم ان السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين فى قديم الدهر قوم يعبدون الكواكب زاعمين أنها هى المدبرة لهذا العالم فنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوة الارضية واليهم بعث ابراهيم الخليل فأبطل مذهبهم فمنها سحر أصحاب الاوهام والنفوس القوية كالجذع في جسر فان النفس تخيل السقوط فيسقط فاجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر إلى الاشياء القوية اللمعان والدوران فالنفس خلقت مطيعة للاوهام فالاجسام تابعة للنفوس فالدعاء مظنة الاجابة فالدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الجدوى. عرض فالج لبعض الملوك فدخل عليه بعض وسبه

فالاصابة بالعين حق فإن النفس وأغضبه بقوة تقام مغتاظاً بالقوة فبري إن استعلت على البدن شديدة الانجذاب الى عالم العلو فكانت كأنها روح سماوي قوية التأثير في مواد هذا العالم فان ضعفت بشدة تعلقها بهذه الذات انعدم تصرفها البتة الا في بدنها فان اراد تأثيرها في بدن آخر صور صورة ذلك الغير ووضعها عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه واقبلت النفس الناطقة بالكلية عليها فقوي التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس فإن ناسبت النفس لهذا الامر عظم التأثير فيها وأما الرقى والعزائم بألفاظ معلومة فأمرها ظاهر فان حس البصر ان اشتغل بالامور المناسبة للغرض تبعه حس السمع فان تطابقت الحواس على الغرض الواحد كان توجه النفس اليه أقوى وان كانت بغير الفاظ معلومة له حصلت للنفس الحيرة والدهش وحصل لها انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال بالكلية فيقوى التأثير النفسي فيحصل الغرض كالدخان فاستقل هذا القدر بالتأثير الكسبي فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تأثيرات الكواكب قوي الاثر جداً وأحرى ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المشابهة لها المفارقة أو من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية اه ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهي المسماة بالعزائم وتسخير الجن اه ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وهي الشعبذة وذلك أن إغلاط البصر كثيرة فراكب السفينة لن نظر الى الشط

(مقاصد)

رآ السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطاً مستقيما والغثة ترى فى الماء كالزجاجة وترى العظيم في البعد صغيراً كالشمس وربما لا تقف على المحسوس الباصرة وقوفاً تاماً إن أدركت محسوساً فى زمن صغير جداً فلا يتميز البعض بالبعض فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوط كثيرة بألوان مختلفة ثم اديرت فإن البصر يرى لوناً واحداً كأنه مركب من كل تلك الالوان فالنفس ان شغلت بشيء فربما حضر بالحس شيء آخر فلا يشعر الحس به البتة كمن دخل على سلطان فربما يلقاه غيره ولا يشعر به ولا يفهمه لشغل قلبه بشيء آخر فالناظر في المرآة فربما قصد أن ينظر سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئاً مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يرى عمل شيء يشغل به أذهان الناس ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استقر بهم الشغل به عمل شيئاً آخر بسرعة بخفاء لتعاون الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانهم بالثانى اه ومنها العجائب التي تظهر من آلة مركبة على نسب هندسية أو لضرورة الخيال كفارسين يقتتلان فيقتل واحدهما الآخر اه ومنها صور يصورها الروم والهند حتى لا تفرق الناظر بينها وبين الانسان فربما تضحك او تبكى وربما يفرق بين ضحك السرور والخجل ومنها تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفاً فإنها لها أسباب معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ادعاء الساحر أنه يعرف الاسم الاعظم وأن الجن

ينقادون له فمن ضعف قلبه تعلق واعتقد أنه حق ورعب قلبه فتضعف القوى الحساسة فتمكن السحر منه فلتعليق القلب أثر عظيم في إخفاء الاسرار وتنفيذ الامور ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع فعند المسلمين كلها مسندة إلى الله والى قدرته فلا يمتنع وقوع هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على أن العلم به ليس بقبيح ولا محظور فالعلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » فبه يمكن الفرق بينه وبين المعجزة فاجتنابه أقرب إلى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر الى الغواية فمن اعتقد أن الكواكب مؤثرة ومدبرة للعالم كفر اجماعاً فهو القسم الاول الذى ارسل ابراهيم لابطاله والثانى وهو اعتقاد أنه تبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يوجد الاجسام ويعدمها ويغير البنية والشكل فالاجماع على كفره أيضاً فان اعتقد أنه يبلغ بالتصفية وقراءة الرقى وتدخين العقاقير الى حيث يخلق الله عقيب أفعاله على سبيل العادة الاجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل فاتفق المعتزلة على كفره إذ لا يعرف صدق الانبياء من الساحرين فرىاه أهل السنة بأن فاسقاً ان ادعى النبوة فالله لا يصدقه بالمعجزة فالمعجزة لمن ادعى النبوة تقوم بالنص منزلة قول الله صدق هذا العبد فلا يتصور أن يصدق الله كاذباً والا لبطلت الاديان والمعتقدات فلا تبطل بالله ابداً فربما يصدقه إن ادعى الربوبية كالدجال فان الله حق لا شك فيه ولا

ظن ولا وهم ولا التباس فالساحر باطل وسحره فلا يلتفت اليه عقل سليم البتة فمن التفت الى تجويز الباطل حقاً كفر فليس ثابت الايمان ابتداءً وانتهاءً فان لم يدع النبوة ولا الربوبية فلا تلبيس بظهور الخوارق على يديه فان استقام مع القرآن بسلامة عقيدته فهو ولي وإلا فهو مستدرج فبالاستقامة يتميز المحق من المبطل وغير هذه الانواع الثلاثة فليس بكفر فمن كفر فكالمرتد به فإن سحر أحداً ومات فإن قال إني سحرته وسحري يقتل غالباً اقتص منه وإن قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه العمد وإن قال سحرت غيره فوافق اسم المقتول اسم المسحور فخطأ. أبو حنيفة يقتل إن ثبت انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل منه إني اتركه وتبت منه فمن اقر انه ساحر حل دمه وان شهد عليه شاهدان او وصفوه بصفة السحر قتل ولا يستتاب وان اقر بأنه كان يسحر ثم تاب منه لم يقتل فعلامة الفرق بين السحر الباطل وبين المعجزة والكرامة الصادقتين ان الحق من المعجزة والكرامة تبقى ابداً والسحر يضمحل فى الحين لبطلانه فالمعجزة يظهرها المحق على رؤوس الاشهاد والشعبذة انما يظهرها المبطل للسفلة والضعفة والجهلة فالسحر في اللغة اراءة الباطل حقاً كالسحر وهو الفجر الكاذب ليس بحق ولا بباطل بكل اعتبار فالشعبذة منسوبة لرجل اسمه شعبان وأصله خفة اليد في تقاليب الاشياء فالسحر ثابت حق ثبوته وانكره المعتزلة والروافض والدهرية نورد عليهم بنطق القرآن فهو الحق فالكهانة الفاظ تجري على لسان الكاهن فربما توافق

وربما تخالف فالنبي لا بد أن يكون كامل الخلق والخلق فالكاهن انما يكون ناقص الخلق مزوراً مختل العقل فإن ادعى بكهانته نبوة ربما يقابله كاهن مثله فلا يوجد الفرق بينهما البتة فالنبي إن قابله كاهن لا يمكن ان يأتي بمثل معجزته لعصمته كمعجزاته «فأتوا بسورة مثله» بالاعجاز إنما يكون بالعصمة فقط فغير النبي ليس بمعصوم فلذا يفحمه غيره فلم يرد ولا يمكن أن يفحم نبي الله ابداً باظهار غيره مثله فمعارضة مسيلمة القرآن يدل على سخافة عقله وانه مختل العقل فعصمة الخوارق على يد الرسل والاولياء أمر مجمع عليه كعصمة ذواتهم وان وردت النصوص باضلال الله من يشاء لكن لا بوجه يؤدي إلى المحال فالمحال الذاتي ليس مقدور الله فتخلف العصمة في ذوات الانبياء والملائكة فيما يعبد به الله ويعرف محال ذاتي اجماعاً فلا عبرة ببعض الاقوال فإنها باطلة كالسحر فشبه المعتزلة والطوائف الغير المرضية من كل وجه كالسحر وكالغيم المانع من الاشراق فإن تكلموا حولنا كلامهم إلى عينية الحق فالغيم مانع من الاشراق فقط لا من النور والضوء ووجود النهار فإنهم يعلمون أنهم في النهار فيكفاهم ذلك لضعفهم عن الاشراق فأهل السنة يشاهدون من الادلة الاشراق والنور والضوء والنهار والشمس فالكل منغمس في رحمة الله مادام يدور على الحق ويحبه فتصديق الله الكاذب من المحال . فأوجه المحال هنا اربعة : وقوع المعلوم على خلاف المعلوم وتناقض الدليل لمدلوله والتباس الدليل بالمدلول وتعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فلا يقع ذلك أبداً كما لا يكون

العلم جهلاً أبداً (ولو انهم آمنوا) بالنبي والقرآن (واتقوا) معاصيه والكفر (103)
من نبذ كتاب الله واتباع السحر لأثيبوا وهو (لمثوبة) لثواب قليل (من
عند الله خير) خبر والجملة جواب لو مما اشتروا به أنفسهم (لو كانوا
يعلمون) لكنهم جهلاء بما فيه صلاحهم فنزل علمهم منزلة العدم « ان شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » يعنى ما ينفعهم فمن ترك التدبر
والعمل بالعلم ضل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) لحبيبي محمد صلى الله عليه (104)
وسلم (راعنا) من المراعاة وهي كلمة عبرانية أو سريانية يسب بها فيما بينهم
كانت المؤمنون يقولون راعنا بمعنى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم
كلامك فافترصها اليهود ويلقونها كثيراً عليه بقصد السب فيقولون كنا
نسبه خفية فالآن نسبه جهاراً فلا تقصد المؤمنون ذلك فنهى الله المؤمنين
عنها وان كانت بلسان العرب لا مغمز فيها غيرة على حرمة نبيه فقطع ألسنة
اليهود من التلبيس وامروا بما هو فى معناها بلا تلبيس فسمعها سعد بن
معاذ ففطن بهم ويعرف لغتهم فقال يا معشر اليهود يا أعداء الله عليكم لعنة
الله لئن سمعتها من احد منكم لاضربن عنقه فقالوا او لستم تقولونها فنزل
النهي عنها (وقولوا انظرنا) انظر الينا واسمعنا ولا تعجل علينا وانتظرنا
(واسمعوا) فكل كلمة فيها ايهام وجب تركها (وللكافرين) اليهود السابين
لرسوله صلى الله عليه وسلم (عذاب اليم) وجيع لما اجترءوا عليه فالتعريض
وهو أن يتكلم بكلمة ويقصد غيرها جائز إذا خاف من الكذب واضطر
اليه خير من الكذب اللازم بالضرورة وحرم بلا ضرورة كالكذب

قال صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" بأن لا يتعرض لهما بما حرم من دمائهم وأعراضهم. فقدم اللسان لانه الى الاذية اسرع وافرد اليد لان معظم الافعال بها واخذ من الآية سد الذرائع فالذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه وقوع في ممنوع «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» منع من سب آلهتهم لئلا يسبوا الله «واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر» منعوا من الصيد يوم السبت فسدوا عليهم يوم السبت فاخذوها يوم الاحد فالسد ذريعة للاصطياد فمسخهم الله قردة وخنازير. ذكرت ام حبيبة وام سلمة كنيسة رأتاها في الحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن اولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله. فعلوا اوائلهم ليستانسوا بها فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت مدة ونسي قصدهم فألقى الشيطان فيهم ان اعبدوها كما عبدها آباؤكم فشدد النكير وسد الذرائع المؤدية للشر فقال "اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد" [قلت] فالنهي منصب على الصور فهى ذريعة للاصنام وعلى كون القبر صنما ووثناً بحيث يسجد له وهو جمع مسجود لا جمع مسجد وأما بناء المسجد قرب القبر لتقرا فيه سورة الاخلاص والقرآن الدال كله على توحيد الله فجائز فهذه الامة معصومة بعصمة نبيها ودعائه لها بالعصمة

فأجاب الله دعاءه بحفظ أمته من عبادة الاصنام فلا تقاس هذه الامة على أوثان اليهود فاما عصمتم قبره عصم من باب أحرى قبور الاولياء والعلماء خدام شريعته فالآن لله الحمد تفرعت شجرة الايمان فى الامة فرست سفينتها فلا يكفر احد من هذه الامة المباركة فبناء الناس على قبور خدام الشريعة والطريقة والحقيقة جائز إجماعاً بنص القرآن « لنتخذن عليهم مسجداً ، وقالوا ابنوا عليهم بنياناً » وبدفنه صلى الله عليه وسلم في قبة عائشة وهي بيت مسقف كصاحبيه باجماع فما جاز فى قبره جاز فى غيره وما جاز في الكعبة جائز في سائر المساجد فلا مغمز فيه وما روي فى مثله ضعيف لم يصحبه عمل المسلمين قاطبة فلا عبرة بالجاهلين المتورعين مما سنه الخلفاء وجرى به عمل العلماء فى كل قرن وجيل قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذراً مما به الباس. [قلت] وهو ما يخاف ان يجره إلى معصية لا أن يترك حكماً شرعياً منصوصاً عليه كالمبتلين ومنع كذا يعني حلالا صرفاً لان العامة تقصد كذا فنبطل حكما لان العامة كذا فالحقائق الشرعية لا يغيرها العرف وإلا لاضمحلت الشريعة فمن عامل معاملة فاسدة واورى خلافها أدب هو فقط ورد إلى الشرع فالكلام فيما يترتب عليه مضرة للغير مثلا أو في الورع فلعن كافر صائل يزداد به اذاية المسلمين حرام ولو لنفسه فقط وقال عليه السلام إن من الكبائر شتم الرجل والديه يسب اباه الرجل فيسب أباه ويسب امه فيسب امه وقال عليه السلام الحلال بين والحرام بين

وبينهما امور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقال صلى الله عليه وسلم إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا الى دينكم. فالعينة بيع سلعة بثمن معلوم لاجل معلوم ثم يشتريها بأقل نضاً ونقداً فالمقصود كل ما يشغل عن الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم حين رآءالة الحرث: ما دخل هذا بيت قوم إلا ذلوا [قلت] فعمارة الدنيا أصل في حق الكفار فالمسلمون يجعلونها وسيلة إلى الآخرة فالكفار يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون. الدنيا سجن المومن يعنى بالنسبة إلى ما اعده الله في الآخرة وجنة الكافر باعتبار ما هيء له في الآخرة فانتسب للعلم والعمل فكل علم تسبق لك فيه الخواطر وتتبعه الصور الكونية وتميل اليه النفوس وتلذ له الطبيعة فارم به وخذ بعلم الله الذى انزل على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين والائمة من الهوى مبرئين ومتابعته تسلم من الظنون والشكوك والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وما ذا عليك أن تكون عبداً لله ولا علم ولا عمل بلا اقتداء وحسبك من العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة فزيادة العلم في الرجل السوء كزيادة ملء في الحنظل فكلما ازداد ازداد مرارة فمثل من اكتسب العلم للدنيا كمن رفع للعذرة ملعقة من الياقوت أشرف بالوسيلة العلم واخسس بالمتوسل

اليه فالسبب إيثار الدنيا على الآخرة «وما عند الله خير وأبقي» فمقامك عند الله ما أقامك فيه فالاعمال علامات والاحوال كرامات وهي دليل والعلوم وسائل وقد جاء من سره أن يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه فإن الله ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه اهـ فالانسان نسخة إلهية قابلة للواردات الالهية فالنصف الاسفل كالملك وهو الناسوت والنصف الاعلى بمنزلة الملكوت فالطبيعة والنفس بمنزلة الملك والروح والسر بمنزلة الملكوت فإذا قطع العلائق بالعبادة تصرف فى عالم الملك والملكوت اللذين فى عالم وجوده وهو باب الملك والملكوت اللذين فى الخارج فوصلة العلماء على قدر علمهم واستدلالهم ووصلة الكمال على قدر مشاهدتهم ومعاينتهم لا على وجه مشاهدة سائر الاشياء فإن الله منزه عن الكيف والاين وانما هو عبارة عن ظهور الوجود الحقيقي عند اضمحلال وجود الرائى وفنائه فأول ما يتجلى للسالك الافعال ثم الصفات وأما تجلي الذات فلا يتيسر الا للاستاذ فإنما هو بمحو الوجود وافنائه فذلك الفناء عين البقاء علم بعض لتلميذه الاخلاص فعلمه تلميذه الفناء . فاعلم أن العلم الحق هو القرآن وما فسره من صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره ضلال وإياك من اعتباره فطريق القرآن طريق الصحابة والتابعين وتابع التابعين القرون الثلاثة فغلب على الصحابة الايمان وعلى التابعين العلم وعلى تابعيهم العمل ثم احدثت طرق آخر يونانية وفلسفية وتعصير ما لا يجب تعصيره ففشت الفتن فظهرت علوم اليهود في وسط الملة من

سحر وغيره وبغض الحق وأهله فهم أشد الناس بغضاً للمؤمنين من الانبياء والمهتدين بهم فأظهر الله طريقة العارفين المقربين فى حدود القرن الرابع وهى طريقة الصحابة وهى طريقة الايمان بما انزل من غير تاويل ولا بحث فسموا صوفية لان الله صافاهم بمحبته واصطفاهم بايراث كتابه إياهم وحرم عليهم غيره فوصلوا الحق تعالى وصولا شرعياً وهو الاهتداء بالقرآن والحديث إذ ما فد لكنه فأكثر من يتعاطى السحر النساء والصبيان والمخنثون والانسان إذا فسدت نفسه او مزاجه يشتهي ما يضره ويتلذذ به فيعشقه عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان خبيث فإذا تقرب صاحب العزائم والاقسام وكتب الروحانيات السحرية وامثال ذلك اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم فيقضون بعض اغراضهم كمن اعطى رجلا مالا ليقتل من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال منه فاحشة ولذلك يكتب السحرة والمعزمون في كثير من الامور كلام الله بالنجاسة والدماء ويتقربون بالقرابين من حيوان ناطق وغير ناطق والبخور وترك الصلاة والصوم واباحات الدماء ونكاح ذوات المحرم والقاء المصحف فى القاذورات وغير ذلك مما ليس لله فيه رضى فإذا قالوا كفراً أو كتبوه او فعلوه اعانتهم الشياطين لاغراضهم أو بعضها اما بتغوير ماء وإما بأن يحمل في الهواء إلى بعض الاماكن واما بأن يأتيه بمال من اموال الناس كما يسرقه الشياطين من اموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله ويأتى به واما غير ذلك من قتل اعدائهم او امراضهم او جلب من يهوونه

وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الساحر ويقف بعرفات ليظن من يعتقد فيه الخير أنه وقف بعرفات وزين لهم الشيطان ان هذه كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فإن الله تعالى لا يعبد إلا بما هو واجب ومستحب وما فعلوه ليس بواجب ولا مستحب بل هو منهي حرام ونعوذ بالله من اعتقاد ما هو حرام عبادة ولأهل الضلال الذين لهم عبادة على غير الوجه الشرعي مكاشفات احياناً وتأثيرات يأوون كثيراً إلى مأوى الشيطان التي نهى عن الصلاة فيها كالحمامات والمزبلة وأعطان الابل من كل مواضع النجاسات لأن الشياطين تنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الامور كما يخاطبون الكفار وكما كانت تدخل في الاصنام وتكلمهم فيها فإن كان يخل شرطاً من شروط الاسلام فهو كفر وإلا فلا وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا يفهم بالعربية فيها ما هو شرك وتعظيم للجن فلهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفهم بالعربية معناها لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك فدليله «لا تقولوا راعنا» فلهذا ذكرت في مضمنه هذه الفذلكة رخص صلى الله عليه وسلم في الرقى مالم تكن شركاً وقال: من استطاع منكم أن ينفع اخاه فليفعل. فحل ان يكتب شيئاً من كتاب الله بطاهر ويغسل ويشرب او يعلق على المصاب وفي الاسماء خاصية قمع الشياطين وإذلالهم ولأنفاس أهل الحق تأثيرات عجيبة فانهم تركوا الشهوات ولزموا العبادات على الوجه الشرعي فظهر لهم حكم قوله تعالى «وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض»

فبطاعة الله يداون الشياطين ويستخدمونهم كما اذلهم سليمان عليه السلام واستعبدهم بتسخير الله واقداره تعالى فله الحمد وتمام الشكر فربما يرسل كتابا إلى سلطان الجن يضرب عنق شيطان كافر صارع لمؤمن لظلمه فيتخلص منه فحكم الساحر الساعي في الافساد القتل ذكراً أو انثى لكفره ولحرابته وإن كفر به فقط قتل الذكر دون الانثى فتضرب وتحابس فالكافرة ليست من أهل الحرب فان تاب الساحر قبل ان يوخذ قبلت توبته وإن اخذ لا تقبل فكل كافر تاب قبلت توبته في الدنيا والآخرة إلا الكافر بسب نبي او احد الشيخين وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة إذا اخذ قبل التوبة فالزنديق هو الذى قال بقدم العالم والدهر واسناد الحوادث اليه مع اعتراف النبوة وإظهار الشرع فتكتب هذه الفذلكة بنور حدقة الابصار . فتعلم علم النجوم حرام إلا ما تمس الحاجة اليه للقبلة وفي الزوال قال صلى الله عليه وسلم : من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر . فلا فائدة فى كتب مؤلفة فيه ولا في فلسفة وغيرها فلا يجوز النظر اليها وعليه فيجب إفراغ ارض المسلمين منها فكفى المسلمين كتاب الله وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (105) (ما) ليس (يود) يحب ولا يحب (الذين كفروا من اهل الكتاب) فمن بيانية (ولا المشركين) من العرب وغيرهم (ان ينزل عليكم) يابني إسماعيل فانهم يعتقدون أنهم أحق بالوحي منكم على نبيكم (من خير) اي كل خير فمن لتوكيد النفي وهو القرآن والنصرة فمن لابتداء الغاية حسداً للعرب وظنوا أنهم احق

بالوحى منهم كما قال إبليس « أنا خير منه » فكفر بالانانية كما كثرت الكفار بها من كل جنس فأما المشركون فإدلالاً بما كان لهم من الجاه والمال زعماً منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة فله قالوا « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وكانوا يتمنون ان تكون الرسالة فى احد رجلين نعيم ابن مسعود الثقفي بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة فأجابهم الله بقوله (والله يختص برحمته من يشاء) خصه واختصه به افرده دون غيره فالرحمة الوحى والحكمة والنصرة باستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب إرادته تعالى فلا تتعداه إلى غيره فلا يجب على الله شيء وليس لاحد عليه حق فمن قال من بعض المشائخ واجب فى الحكمة فمعناه ثابت متحقق لا محالة فى الوجود لا يتصور ألا يكون لأنه يجب ذلك بإيجاب موجب فهو الغالب على أمره، ويختص بالاسلام من يشاء بفضل (والله ذو الفضل العظيم) على من يختاره بالنبوة والوحى لابتدائه بالاحسان بلا علة فالكريم هو الذى يعطى بلا علة ويبذل ماليس عليه وهو حجة على المعتزلة فإن الذى يعطى ما عليه إنما يسمى قاضياً لا مفضلا فالنبوة من الفضل وان حرمان بعض عبيده ليس لضيق فضله بل لمشيئته فمن تعرض لرد مامن الله به على المومنين فقد جهل بحقيقة الامر. فالمخصوصون قسمان قسم لخدمته وهم العباد والزهاد واهل الاعمال والاوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم اهل المحبة والوداد وكل فى خدمته وتحت طاعته فالعبودية صفة العبد

لا تفارقه الدهر . بارز الحاسد ربه فى خمسة اشياء بغضه كل نعمة ظهرت على غيره وتسخطه قسمة الله وقوله لربه لم قسمت هكذا وجحده ان الله يوتى فضله من يشاء وارادته خذلان ولي الله وزوال النعمة عنه واعانته إبليس فحسد الحاسد لا ينفذ على عدوه وإنما ينفذ على نفسه فكأنه يرمى بحجر على عين المحسود فيرجع الى عين الحاسد فيزيد غضباً عليه فكلما رماه رجعت عليه والمحسود يضحك فالحسود سخرية الشياطين . حسد بعض الناس بعض جلساء الملك يسعى الى الملك بأنه يقول ان الملك ابخر وعلامته أنه يضع يده على أنفه إذا قرب منك فاستعظمه الملك ثم إن الحسود دعاه إلى منزله فأطعمه الثوم فتوجه إلى عادته مع الملك فقال له الملك ادن مني فدنى واضعاً يده على فيه فتخيل الملك صدق الحاسد فكتب الملك بخط يده إلى بعض عماله كتاباً فيه بمجرد وصول حامله فاذبحه واسلخه واملأ جلده تبناً فخرج به المحسود فتلقاه الحاسد فاستوهبه الكتاب فأعطاه له بعد دخيل عظيم فأوصله إلى العامل فقال له ان السلطان كتب لي إن اذبحك واسلخك وأحشي جلدك تبناً فقال له ليس الكتاب لي وإنما استوهبته من فلان فاتق في الله نفسي فقال له هيهات ما لكتاب الملوك من رد فامتثل ثم المحسود دخل على السلطان على عادته فقال له اين الكتاب فقال له استوهبه لي فلان فقال على م وضعت يدك على فيك فقال له استدعاني وأطعمني ثوماً فاستحييت أن تشمه فقال له ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته . اللهم احفظنا من مساوي الاخلاق . ولما طعن

الكفار في النسخ يقولون إن محمداً يقول كلاماً ثم يرجع فيه يأمرنا بأمر ثم ينهانا عنه وهو أدل دليل على انه انما يقوله من عندية نفسه كما أخبر الله به « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر » نزل (ما ننسخ من آية) أي شيء ننسخ حال كونه من آية نسخ وأنسخ ازال ونقل لغة نسخت الريح الاثر أزالته نخست الكتاب نقلته واصطلاحا انتهاء حكم التعبد إما باللفظ أو الحكم أو بهما فنسخ اللفظ والحكم كعشر رضعات معلومات يحرمن اه واللفظ فقط الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة والحكم دون اللفظ « كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين الآية » فلا وصية لوارث وبآية المواريث « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » فالقرآن كما يتلى للاحكام كذلك يتلى لكونه كلام الله وإن نسخ حكمه (أو ننسها) ننسها من القلوب . قامت جماعة من الصحابة ليقرءوا سورة فلم يذكروا منها الا البسملة فقال لهم صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها طفقت اليهود فانه امر بحد الزنى بايذائهما باللسان ثم أمر بامساكهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ثم قال لهم « فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » فقصدوا الطعن واضعاف عزمة المسلمين ونزع أيديهم من النبي صلى الله عليه وسلم [قلت] فالنسخ من أعظم المعجزات واعظم الامتحانات ابتلى الله به المؤمنين فثبت به عنده من أرسى الله سفينته في البحر الإيمان وأسكنه في بحر

الاضافة اليه وقواه بالاقاسيات وتوجه بتاج الايقان وملأ وطنه بعسل الاحسان بأن الله فعال لما يريد إما من أنسى ننسي من النسيان ننسها من قبلك «سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله» أو من أنسأ اخر نوخرها فى اللوح المحفوظ وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح نون المضارعة مع فتح السين ننسأها فحكمة النسخ الاتيان بما هو أنفع وارفق واكثر ثواباً وهو (نات بخير) بآية هي خير (منها) للعبد بحسب الحال فى النفع والثواب من الداهية فكلام الله واحد ولا يتفاضل فكله خير فالتفاضل انما هو بحسب ما يحصل للعبد (او مثلها) فى التكليف والثواب والمنفعة فالحكمة في المثل الاختبار فما نسخ الى الايسر فهو أسهل والى الاشق فهو اكثر ثواباً فالنسخ رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعاً لاباحته فلا يسمى نسخاً وخرج الرفع بالنوم والغفلة فليس الرفع بمجرد الدليل الشرعي وهو: رفع عن امتي النسيان والخطا وما استكرهوا . بل يقتضيه العقل أيضاً بخلاف الرفع بنحو دعى الصلاة ايام اقرائك فإنه لا مجال للعقل فيه وخرج نحو صم الى آخر الشهر فان الى وان اوجبت مخالفة ما بعدها لحكم ما قبلها لا تسمى نسخاً فإنه ليس متأخراً وانما هو هنا تخصيص فرفع الحكم إذا اريد الحكم ثم رفع والتخصيص لم يرد فيه الحكم وانما بين مراد الشرع من العام فالحكم هنا ما يحصل للمكلف بعد أن لم يكن فإن الواجب المشروط بالعقل الذى هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل

(مقاصد) ات

والموقوف على الحادث حادث فبطل قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع فالحكم المعني عندنا تعلق الخطاب بعد ان لم يتعلق وهو حادث فإن ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الثابت اولا فالنسخ بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق شرعي متراخ فخرج بيان انتهاء الحكم العقلي كالبراءة الاصلية وبطريق عقلي كانتساخ القيام عمن انكسرت رجله | قلت | فالحق ان وجوب القيام بشرط القدرة فلا نسخ وخرج بمتراخ التخصيص بالغاية ويعلم منه تعريف الناسخ والمنسوخ فالخطاب السابق له غاية في علم الله فيزول بانتهائه الى غايته ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا له . اعلم انه انعقد الاجماع من أكثر اهل الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعاً وخالف اليهود غير العيسوية بعضهم في الجواز وبعضهم في الوقوع واثبتهما العيسوية أصحاب أبي عيسى الاصفهاني المعترفون ببعثة نبينا إلى أولاد إسماعيل وسماه ابو مسلم الاصفهاني من المعتزلة تخصيصاً فالتخصيص قصر العام على بعض افراده زمناً وشخصاً وانما خالف في التسمية فقط فلا يسوغ له انكاره وعليه فإنما يسمى النسخ تخصيصاً لفظاً لا غير فالدليل على جوازه وقوعه أن الله يفعل مايشاء كما يشاء مع قطع النظر عن حكمة فإن كل ما فعله حكمة يعلمها فلا يلزم ان ندركها وكل فعله أصلح وصلاح فلا يحكم عليه العقل بشيء وانما يدرك ان الله يفعل في الامكان مايشاء فالمصلحة تختلف باختلاف الاوقات . وفي التوراة انه أمر آدم بتزويج بناته

لا ، لاداه ، وحرم ذلك في كل شريعة وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته يصح نسخ شرع من قبله فلم يكن لليهود نص صريح يعلم منه امد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لانسخاً حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى هذه شريعة مؤبدة عليكم بها ما دامت السماوات والارض وأيضاً يلزم البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها وهو مقام الجهل فتعالى الله عنه وإن لم تظهر مصلحة فهو العبث فهما محالان على الله فالقول الاول كذب عن موسى بدليل أنهم لم يحاجوا به محمداً في زمانه صلى الله عليه وسلم ولا ذكروه وإنما اختلقه المتأخرون عنه فلم يتمسك بهذه الدعوى الكاذبة الامن تأخر عن النبوة وبطل الثاني بأن المصالح تختلف باختلاف الازمان والاشخاص كشرب دواء في فصل دون آخر وقد وزعت اجزاء الزمن الفائض من الازل الى الابد فيما لم يزل عليه الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئاً فشيئاً بحسب وقت لا لمصلحة تعود عليه تعالى بل لما هو اصلح للمتزمنات فالظهور والسابق واللاحق والخفاء والاعدام والايجاد إنما هي بالنسبة الينا لا إلى الله تعالى عنه علواً كبيراً فقد جف القلم بما هو كائن فكل حكم له غاية في علم الله وربما يظن المكلف استمراره فإن ثبت ما بين امده وانتهاءه فهو الناسخ والاول منسوخ والورود نسخ فباعتبار الله تعالى فكل حكم موجود في وقته ولا يتعداه وليس هذا في الاحكام فقط بل كل حادث

يتبله فمعنى آية عليه فى كل مفعول، «ما ننسخ» نذهب حادثا من حقائق
ملكنا بانقضاء زمنه في علمنا بافناء أو نؤخره الى وقت معلوم او نرفعه
وننقله من مكان إلى مكان كعيسى وغيره «من آية» حادث دال على قدرتنا
فكل ذرة من أنواع ملك الله آية تدعوا الى معرفة صانعها والى قدرته
وكماله وأنه الكامل من كل وجه المتقدس من كل وصمة الحدوث ومماثلة ولو
في أدنى شيء « الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد »
«نات بخير منها » كسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فهو الآخر
وجوداً وهو المستتم حقائق الكمالات التي يمكن ان ينالها الخلق وهو
سيد الخلائق اجمعين وامته أفضل الامم ودينه وإن تأخر أبلغ الاديان
« ليظهره على الدين كله » وهو الذى عمت رسالته فقط وتوجهت إلى
الجن فلم تتوجه اليهم رسالة احد فتغلب سليمان انما هو تنكيل والقطب
المكتوم الذى ينوه به سيدنا علي كرم الله وجهه واجلة الاولياء فى تآليف
متعددة آخر الاولياء وجوداً وأفضلهم واكملهم وممدهم من نشأة العالم الى
النفخ فى الصور وهو الواسطة بين الانبياء والاولياء فروحه تمد الاولياء
من الازل الى نهاية الابد فلا نهاية له يعني يمدهم في الابد كله، فهذه الآيات
أفضل واكمل وخير مما نسخ بها إجماعاً: بعثت لاتمم مكارم الاخلاق.
فكل فرد من الامة خير من الامم الماضية « كنتم خير امة اخرجت
للناس » اتصفتم فى عامة بالخيرات على الناس فأعمال هذه الامة خير
وثوابها خير فالسيئة بواحدة تكتب بعد ثلاثة ايام ان لم يتب فان تاب لم

تكتب وان كتبت محيت بالتوبة والحسنة لاضعف الامة بعشرة ولافضلهم إلى مالا نهاية له مما لا يعده عد الحساب فمن الامة من يعطيه الله مثل ما أعطى للخلائق كلهم وزيادة وهو « والله يضاعف لمن يشاء ، يختص برحمته من يشاء » كما اختص نبياً نبياً من غير اكتساب والشريف شريفاً من غير تعمل فكله خير فضمن لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ألا يعذب احداً من آل بيته بالنار فلا يكفر أحد من آل بيته وهو خير انه ليس من اهلك « أو مثلها » في الاسلام او الكفر او الجنس فالكافر المقلد مثل مقلده في الكفر فالمومن المقلد فى الفروع مثل مقلده فكل آية محدثة دال على صانعها بالحال أو القال والقال إن كان مرشداً قبضة الوجود اشبه شيء بكتاب يقرا سطراً بعد سطر وآية بعد آية فكلما قرا آية فرغ منها وتوجه لكلية اخرى فالانتقال هو النسخ والتوجه للاخرى ناسخ والمفروغ منه منسوخ على حسب مارتبه العليم الحكيم فالمتلو هو المحو والتالي فى حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية هى ام الكتاب فهو سر « يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » التي هى الحقيقة المحمدية التي نسخت منها النسخ الخلقية كذات آدم لبنيه وكنواة للنخيل فالمجموع الدفعى قضاء يعني ابرز الله أنه يفعل كذا فى وقت كذا بسبب كذا ليصير إلى كذا فوجوده تدريجاً شيئاً بعد شيء قدر فقدر ظهور كذا يوم كذا بسبب كذا على وجه كذا فالقضاء الحكم بكذا فالقدر تعليق وجوده وقت كذا بكذا على وجه كذا فهما حكمان أزليان

فاعلم اجماع الامة على وقوع النسخ فى القرآن بوجوه احدها هذه الآية وخصص ابو مسلم بنسخه شريعة من قبلنا وانما أبطل الله بهذه الآية قول اليهود ككل جاحد « ولا تومنوا إلا لمن تبع دينكم » أو يحمل على النقل من اللوح المحفوظ وأيضاً فما أفاد الشرط والجواب كقولك من جاءك فأكرمه فلا يلزم منه مجيء أحد فربما لا يجيء اليك احد بل متى جاء وجب الاكرام فمتى حصل النسخ وجب أن ياتي بما هو خير فالاعتداد بالحول فى « والذين يتوفون منكم » نسخ بأربعة اشهر وعشر فخصصه أبو مسلم بان ارتابت وزالت الريبة وخص الثانية بان لم ترتب بل تحققت عدم حملها فمتى وضعت ولو ساعة موته إلى أن تزول الريبة ولو سائر عمرها ورده الجمهور بانقضائها بوضع الحمل ولو أقل من سنة ونسخ وجوب « فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » بالندب وإنما وجب فى الصدر الاول لفاقة المهاجرين فلما استغنوا زال الحرج بالوجوب وبقي بمدلول الامر ولتمييز المنافقين ورده الجمهور بأنه يلزمهنا ان من لم يتصدق كان منافقاً ولم يرد أنه تصدق وعمل بها إلا علي بدليل « فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » وأمر أولا بوجوب ثبات عشر لمائة وواحد لعشرة فنسخ به « فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » وهو وجوب ثبات واحد الاثنين تحولت القبلة الى الكعبة وخصص أبو مسلم بان لم تكن ضرورة فإن اضطر اليها كمريض لها ولم يجد مناولا استقبلها ببدنه وبقلبه الكعبة كما يفعله صلى الله عليه و [illegible] إستيناساً لليهود إظهاراً لموافقتهم وهو تورية اضطرارية

لرجاء استخلاص قلوبهم من غضب الله كالصياد يتحيل ما أمكن له فإن الولاية وكالة مفوضة ممزوجة بسياسة غير متجمد على الظواهر فإذا ولى السلطان قائده على جنده فقد وكله واذن له فى السياسة ولو بالضمانات عن السلطان بقصد الاصلاح . من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل . يعني في الحدوث فلما لم تنفع فيهم بل طمعوا في اتباعه لهم أعلمه الله بأن موافقتهم على وجه السياسة ترتب عليها طمعهم فيك ولا تخضع بالقول فيطمع الذين في قلوبهم مرض فالنفوس الزاكيات لا تخضع للنفوس النجسات الخسيسات ورد بأن المقدس وسائر الجهات في الضرورة سواء « وإذا بدلنا آيةً مكان آية » وهو رفع واثبات لحجة أبي مسلم « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » . وقال الجمهور الضمير للمجموع فنسخه باعتبار المكلف لا ينافي حقيقته ثواباً وبلاءً وقرآناً عربياً فإنه لم ينزل للاحكام فقط بل للحكم والتعبد فالآية في المصحف وإن نسخ حكمها تصح بها الصلاة فهى كلام الله اجماعاً فتقدم لنا ان لا خلاف إلا في حال فأبو مسلم يقول كل حكم له فى علم الله ابتداء وانتهاء فعلم الله يخصص بعضه بعضاً فى وقت تعليقه به باعتبار علمه فسماه تخصيصاً علمياً فالجمهور إنما يعتبرون خطاباً واصلاً الينا بعضه يرفع بعضاً لكن لا بد ان يثبت بالشارع والاجماع فإنساخ الآية أمر الله جبريل بنسخها فيعلم النبي نسخها ونسؤها تاخيرها وإذهابها لا الى بدل فحمله الجمهور على الآيات وأبو مسلم على مرجوح قوليه على التوراة والانجيل فيمكن حمل الآية

على معنى أعم وهو نسخة الوجود تدريجاً من الحقيقة المحمدية كانسخ بني آدم شيئاً فشيئاً يخرج الحي من الميت والميت فالحي عارف والميت محجوب عليه في كل شيء من الحي ذلك تفضيل الحكيم الخبير بالكل العليم فالجمهور على جواز النسخ لا إلى بدل فالآية تدل على تفضله تعالى بالاتيان بخير أو مثله ويجوز ألا يأتي ببدلا فنسخت صدقة النجوى ووجوب الامساك بعد الفطر بلا بدل فعدم الحكم بدل فالجمهور على جواز النسخ لاثقل فيكون جبراً بالثواب أجرك على قدر نصبك ونسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما على من يعتقده وصوم عاشوراء برمضان وحبس الزاني في البيوت بالحد فثال إلى الاخف نسخ الحول الى أربعة أشهر وعشراً ووجوب صلاة الليل الى التخيير فالى المثل كالمقدس الى الكعبة يعني باعتبار الارض والا فالكعبة خير . فالشافعي لا تنسخ السنة القرآن فالقرآن خير من السنة واجيب بأن الحديث وحى « إن هو إلا وحي يوحى » فلا فرق بينهما باعتبار الحكم فالحديث مبين للقرآن وإنما اختلفا في لفظ القرآن فالحديث حالة النبي غير متعبد به فالة الله متعبد بها فاحتج الجمهور بنسخ وصية الاقربين بألا لا وصية لوارث ونسخت آية الجلد بالخبر بالرجم فقال الشافعي أثبت الله للورثة حقاً فلا ينقله عنهم وثبت الرجم بآية نسخ لفظها دون حكمها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فالله مالك السماوات والارض يدبر الامور على حسب مصالح خلقه وهو أعلم بما يتعبد به المكلفين من ناسخ ومنسوخ « لا يسئل عما يفعل » وإنما

مقامنا الايمان بما أنزله وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم (الم تعلم) يارسول الله فالهمزة للتقرير معناه قد علمت فيما بيني وبينك بلا وساطة ملك العلوم الاجمالية والقضايا فيما بين الاحبة فانى علمتك بيدى الحقائق كلها في عالم الثبوت وعلمت روحك وأسرارك فى عالم الوجود وآدم بين الماء والطين فأنت أول مومن وأول عالم واول تعين عبدنى وقدسني قبل كل شيء فاذا رمزت لك فافهم واعمل واعلم فليس جبريل إلا سجفاً للحكمة سترت به قدرى ورتبت به مملكتي فأنت حبيبي خلقتك لاجلى وخلقت الخلق لأجلك ومن نورك فانتسب لما علمته فى كل بطون الشئون فهو سر تخصيص الله بينه بلفظ الخطاب ودمج فيه غيره كاندماجهم في نوره وكل خطاب توجه له ولم يثبت بالنص تخصيصه شركته امته فيه فتارة يذكره فقط ويدخل فيه امته وتارة يطلق وتارة يذكر الامة ويدخله فيه بانه أبوهم معنى وأصلهم وأميرهم فلا أحد من جميع اجناس ملك الله يقاربه في العلم فعلم غيره معه كالعدم فعلم الاولياء من الانبياء فالانبياء منه فعلم حقائق الانبياء مع علمه كقطرة فى بحر وعلمه مع اعتبار علم الله كنقطة فى بحر « وفوق كل ذى علم عليم » وهو الله (أن الله على كل شيء قدير) على النسخ والاتيان ببدله او غيره من كل مقدور (الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض) فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ان الله على كل شيء قدير (وما لكم من دون الله) غيره (من ولي ولا نصير) فمن دون حال اصله صفة لولي تقدمت فصارت حالا فالولي القائم بالامر

107

يحفظكم فالولي من غير الله قد يضعف والنصير قد يكون اجنبياً فنفاهما «والله ولي المومنين» وناصرهم فهو نهاية التسكين فلله الحمد فلا يصح الالتجاءُ والاعتماد إلا عليه فالرسول والولي والملك والاب ليس بخالق ولا برازق وإنما هم اسباب الله فلا بد منهم شريعة وطريقة وحقيقة فلا يفعل الله بعباده في ابدانهم ودينهم إلا ماهو خير لهم فضلا وحكمة فلا تصغ الى اقاويل الملاحدة الكفرة وتشكيكاتهم منها ماقالوها في شان النسخ فاما طلب أهل مكة ان يوسع مكة أو أن يجعل جبالها ذهباً على وجه التهكم أنزل الله (ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى) الم تعلموا انه مالك الامور ينهى ويامر كما اراد وهو توصية المسلمين بالثقة به وترك الاقتراح عليه وهو مفاجاة سؤال من غير روية وفكر وانتم مومنون «رسولكم» وهو عظيم الشان وتقصدون ابهاته غير واثقين بفضل الله فسألوا منه الداعية الى النسخ فتشبيههم بالكفار بموسى يقتضي ان الخطاب للكفار وهو التهكم (من قبل) قولكم «ارنا الله جهرة. لن نومن لك حتى» الخ «او تاتي بالله والملائكة، او تنزل علينا كتابا نقراه» قال عبد الله بن امية لن نومن لك حتى تاتي بكتاب فيه من الله رب العالمين الى ابن امية اعلم انى ارسلت محمداً إلى الناس (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها فقد اخطأ الطريق الحق السوي الوسط. قالت اليهود لحذيفة وابن عمار بعد وقعة احد لو كنتم على حق ماهزمتم فاتبعا ديننا الحق فقال عمار كيف نقض

العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت الله ألا اكفر بمحمد ما عشت
فقالوا أما هذا فقد صبا وقال حذيفة انا رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيئاً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمومنين
إخواناً فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبتما الخير وافلحتما
وقيل الخطاب لليهود فهم امة الدعوة وهو أصح فإن الآية مدنية وفيها
تحريض على الادب بين يدى الله ورسوله وخلفائه لحده اجتماع خصال
الخير قال صلى الله عليه وسلم: حق الولد على أبيه ان يحسن اسمه ويحسن
مرضعه ويحسن ادبه فإنه مسئول عنه يوم القيامة ومؤاخذ بالتقصير فيه.
109 (ود الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود لو حرف تمن بمعنى أن معنى
لا لفظاً (يردونكم) ردكم إلى كفركم (من بعد إيمانكم كفاراً) مرتدين
يصيرونكم كفاراً (حسداً) كائناً (من عند) تلقاء (أنفسهم) فلم
يامرهم الله به بل سولته أنفسهم الخبيثة لا من قبل التدين ولو زعماً (من
بعد ماتبين لهم الحق) من التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم (فاعفوا)
عنهم اتركوهم (واصفحوا) إعرضوا عنهم سياسة قبل آية القتال وهو
(حتى ياتي الله بأمره) فيهم من القتال ثم اذن في قتالهم وضرب الجزية
عليهم طلب الصحابة النبي في أن يقاتل أصحاب عمار وحذيفة الذين تمنوا
إكفارهم فنزلت الآية فالذين قالوا تلك الكلمة الشنيعة نقضوا العهد بها
فإن الله أذن في قتال المشركين فلم ياذن فى قتال اليهود إلا بعد وقعة
110 الخندق (إن الله على كل شيء قدير) على الانتقام في الكفار (واقيموا

الصلاة وآتوا الزكاة) أمرهم بالعبادة والصبر حتى يحكم الله فيهم فمن ضاق عطنه فليرجع إلى الصلاة والصدقة وكل طاعة فالطاعة هى دواء الاحزان وهى المقصودة (وما تقدموا لانفسكم من خير) طاعة (تجدوه) ثوابه (عند الله) محفوظاً لكم وأفردهما اظهاراً لعظمهما فالصلاة قربة بدنية تستغرق نعم البدن شكراً والزكاة قربة مالية شكراً للاغنياء الذين فضلهم الله فى الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بسعتهم في صنوف الاعمال وما شرطية تسلفوه لانفسكم فتجدون الثمرة واللقمة مثل احد. قال صلى الله عليه وسلم: إن العبد إذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم (إن الله بما تعملون بصير) لا يضيع عنده عمل عامل فيجازى عن الخير والشر قليلاً أو كثيراً. أجاب هاتف عمر ابن الخطاب من قبل قبور البقيع يابن الخطاب ان ما قدمناه وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه قال صلى الله عليه وسلم: إذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث [قلت] ما يتولد من مال كبناء المساجد والجسور والرباط والاوقاف ككل خير دائم وهو من صدقة جارية والثاني ما يتولد من العقل الراجح كالعلم المنتفع به وهو الاحكام المستنبطة من النصوص او ما صنفه او علمه لغيره من العلم الشرعى او تعلمه ليعمل به ويعلمه فغير المعمول به لا يثمر بعده كالمكتوم عن غيره بل يثمر إثماً وعذاباً قال صلى الله عليه وسلم: من كتم علماً يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من النار. فشمل جنس الكتب عمن ينتفع بها

الثالث ما يتولد من النفس كالبنين والبنات وهو او ولد صالح يدعو له فغير الصالح لا ينتفع به « إنه عمل غير صالح » فإن نوى الاب الخير في ولده فانكب على المعاصي ولم يرض أصله لم يلحق الاثم بأصله فقوله يدعو له تحريض على الدعاء لا قيد فإن كل ماعمله الولد يكتب مثله لأصله ولو لم يدع كمن غرس شجرة يكتب له ثواب من أكل من ثمرها دعا له الآكل ام لا. الولد كسب أبيه أي اصله الشامل للام: من سن سنة حسنة في الاسلام فله اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة. فتوفيقه مع قوله صلى الله عليه وسلم: من مات يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينموا له عمله إلى يوم القيامة. ان السنة من جملة العمل وان ثواب المرابط ينموله الى يوم القيامة لتعدمنفعته الى كل مسلم الى يوم القيامة والثلاث في الحديث اعمال تحدث بعد وفاته والرابع الاولاد المعنوية الناشئون من التربية كاولاد المشائخ الكاملين من الصوفية المتشرعين المحققين وهو مندرج فى الثلاثة. وقال كثير من اليهود اجتمعت اليهود مع وفد نجران ادعوا النصرانية وهم مشركون فقالت اليهود لا يدخل الجنة الا اليهود فنحن اولاد الله واحباؤه وقال الوفد لن يدخل الجنة الا
111
النصارى فحكى الله كلامهم لرسوله وأنه لا تحكم على الله بشيء (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى) جمع هائد تائب هدنا تبنا كان وصف مدح لما تابوا من عبادة العجل ثم صار عليهم علماً بعد نسخ عيسى عليه السلام شريعتهم فمن تبع عيسى منهم صارت شريعته مسيحية ومن جحد

صار كافراً بربه ونبيه عيسى فقال تعالى (تلك أمانيهم) شهواتهم الباطلة جمع امنية وهى كل كلام عار من الحجة وهو غرور واحلام واضلال (قل هاتوا برهانكم) حجتكم فأصل هاتوا إيتوا وهو امر تعجيي احضروا (إن كنتم صادقين) فى دعواكم فكل دعوى بلا حجة باطلة برهن بين (بلى) يدخل الجنة غيركم أثبت كل منهم دخول الجنة لنفسه ونفى عن غيره (من أسلم) انقاد (وجهه) حقيقته الظاهرة والباطنة فالظاهرة الجسم مع الروح الحيوانى والباطنة الانسان النفس الناطقة التي هى نتيجة الجسد والروح فاسلام الشيء للشيء جعله سالماً له فلا حق فيه للغير من حيث التخليق والمالكية والعبادة والتعظيم (و) الحال (هو محسن) متقن كيفية التوجه بالاعمال المتقنات بلا غرض والتوجيه لكمال حقيقته إن أود الاوداء الذى عبدنى من غير نوال فلا يلزم من الاخلاص فإنه قلبي ان تكون حسنة لظاهر الشرع فلابد من شروط الشرع وإلا بطل عمله فمن اخلص عبادته لربه وصلى مثلا بلا وضوء عمداً بطلت عبادته فالطريقة بلا شريعة باطلة فلا ينفع الاحسان إلا بالاسلام ولا العكس فالاحسان أن تعبد الله كانك تراه بأن تتقن العبادة ظاهراً وباطناً حتى صرت كانك ترى ذاته تعالى فلا تراها الا فى الآخرة والمقصود استمرار اتقان العبادة أبداً وهو المراقبة الكبرى اعتقاد اطلاع الرب عليه فأول الامر اعتقاد ثم مكاشفة وهو نتيجة النوافل: كنت سمعه. وهو كون ذات الحق ووجوده مرآتاً لصفات العبد فيكون العبد هو الظاهر المرئى يرى

نفسه في المرآة فتشغله نفسه عنها فلا يدرى حقيقتها فلم يكن فى جوفه قلبان وانما رآ نفسه كاملا فى ذات الحق فالتشبيه عالم الخيال وهو يصور محالا فيبطله الحس فإن لم تكن تراه لعدم قدرتك الضعيفة على الجمع بين حقيقتين وانما رأيت نفسك فى المرآة فاستمر على ما كنت عليه من اتقان العبادة بعدم التعرض لشيء يأتيك من غير حب ذات سيدك مع قطع النظر عن وجودك فضلا ان تهتم بأمرك حتى تصل الى نتيجة الفرائض سمع الله لمن حمده فتكون صفاتك واحوالك مرآتا لذات الحق ومظهراً لوجوده فيكون الظاهر والمرئ والمشهود هو ربك تعالى فإنه أفناك واحياك وقواك وميزك وكتب فيك صورة صفاته واسمائه وهى صورة الرحمان فجمعت بربك بين الشهود والفناء والعيان فلا يشغلك الحق الذى هو المشاهد شاهد فيك نفسه عن الخلق عن رؤية نفسك المرآة له فإنه قوي مرآته التي هى عينك فاقدرها على رؤية المتجلى فيه وهو نفسك وعلى رؤية المتجلى المرئى الذى رآ نفسه فيك وهو الحق بأبصار اسرارك الاخفى فما دونه فنتيجة النوافل الفناء الصرف ونتيجة الفرائض المحو والصحو والفناء وهو مقام الانس بالله الذى سمى الانسان الكامل به من الانس لا من النسيان فذاته انس وصفته النسيان فتارة ينسى نفسه وهو الفناء وتارة ينسى يترك المشاهدة وهو الحجاب حضرة الاغيار « ولقد عهدنا إلى آدم » فنسي عهدنا اليه نسيان لوازم نفسه مع تمام الميز في حضرة انسه ونسيان الكون فى حضرة لي ساعة لا يسعني فيها غير ربى وهو الفناء

الصرف وهو الغالب على أهل الاحوال والصحو الذي هو الانس الغالب على الكمال فالفناء فيهم كطيف وانما اكل الشجرة في حال طيفه فله عذره كغيره فهو اسوة للمتقين في كل شيء حتى في الطيف فهو اول التائبين والمحبوبين المصطفين بفنائه والمعذورين من الله لما دهمه من صولة الجلال (بلى) يدخلها كل فرد (من اسلم) وصدق بجميع الانبياء والكتب فكل من كذب بنبي معين كذب بالجميع وكفر كمن كفر ببعض الكتب فلم يومن بالانبياء جميعاً والكتب كلها إلا من اسلم «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» وقالوا كونوا هوداً او نصارى تهتدوا» فأنتم يامعشر الجاحدين إن بقيتم على وصفكم الجحود لن تدخلوا الجنة بلى إن غيرتم طريقتكم وأسلمتم فلكم الجنة قال الله لابراهيم «أسلم» يعني انقد بكليتك لربك قال «اسلمت» انقدت بكليتي سجدلك سوادي ظاهري وخيالي باطني «لرب» لوجه رب «العالمين» لا لاغراض نفسي فالنفس نفسك تصورها بما اردت فأنت المالك لها وليست لي ملكاً وإنما هي كرسي وعرش لك أجلستني عليه عارية واكراماً وانا الضيف لك المنبعث من فضلك لتسبيحك وتقديسك فأنت المحرك والمسكن فلا اهتم بنفسي فإنه أعماني حب ذاتك عن رؤية نفسي وغيري واعصمني عن سماع غيرك فأنا غير ووصفي غير باطل وانت حق تتحقق بحقيتك الحقائق فعبادة المحسن لا تصدر الا عن صدق نية وصفاء طوية فإن مثول العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات الى ماسواه فلا يصدر عنه شيء من السيآت فالطاعات

الذى اذهب عنا الحزن » فالعباد والزهاد فوقهم يخافون فى الدنيا شدائد الآخرة فالخوف لا يسعه الا المستقبل ويحزنون على ما فرط منهم وعلى ما فاتهم من الطاعات فلا يقنط المومن ولا يامن من غضبه فلا يجتمع عليه خوفان ولا أمنان فمن خاف فى الدنيا أمن فى الآخرة ومن أمن فى الدنيا خاف في الآخرة فالفقير ابن وقته لا ماضي ولا مستقبل فالمقرب مؤمن يحسن ظنه وعمله وتوفيقه لربه فلا ماضي ولا مستقبل ولا وقت فالثلاثة في ذوقه شواغل (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) فكفر كل واحد بنبي الآخر فاليهود كفروا بعيسى وقد ارسل اليهم ونصارى نجران كفروا بموسى فصاروا جميعاً كفاراً فلا يثبت الإ بالايمان بجميعهم وحينئذ فليسوا جميعاً على شيء (وهم يتلون الكتاب كذلك) كما قال هؤلاء من العلماء الضالة (قال الذين لا يعلمون) كعبدة الاصنام والمعطلة وهم الذين لا يثبتون الصانع قال كل فريق لا دين إلا ما كنا عليه (مثل قولهم) فنهى العلماء عن المكابرة والتشبه بالجهلاء توبيخ عظيم لعالم تبع جاهلا فى جهله (فالله) لا غيره (يحكم بينهم) اليهود والنصارى والمعطلة (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيعطى لكل كافر عقاباً يستحقه فيكذبهم الله ويخزيهم بغضبه في النار ويصح عود الضمير الى الكفار مع المسلمين فكل حزب بما لديهم فرحون فربما يجرى مثله في المسلمين بين الصوفية كبين اهل المذاهب وهو مما لا ينبغى فالآية توبيخ للجامع فالحق احق أن يتبع دفرق المسلمين على

حتى فالدعوى بأنه أفضل من فلان وان طريقه افضل من طريق فلان من هذا القبيل فنعوذ بالله من الدعوى فالعارف لا يسمى عارفاً حتى يعرف نفسه فلا يعول على كلام الغير فإنه بصير بنفسه فلا تضحك نفس عليه لكن من اذن فى الارشاد اتبع اشارة ربه (ومن اظلم) لا احد اظلم (ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى فى خرابها) بالهدم والتعطيل فهو عام فالآية نزلت بسبب خاص فعمت فيمن خربوا بيت المقدس والقوا فيه الجيفة وذبحوا فيه الخنازير فخرب الى ان بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أو في المشركين لما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحرام فتقول لمن آذى صالحاً ومن اظلم ممن آذى الصالحين « ويل لكل همزة » نزلت في الاخنس بن شريق فلا يمنع المسجد من ذكر الله إلا الكافر فإنه حارب رب المسجد أو زعم انه لا رب فلا أظلم على كل حال منه فإنه ان كان كافراً زاد كفره وان كان مسلماً كفر « إن الشرك لظلم عظيم » فإنه انكر العبادة فسبحان الله ما احلمه فلا يعجل بالعقوبة (اولئك) لا ينبغى لهم (ما كان لهم أن يدخلوها) مساجد الله (إلا خائفين) من رب المساجد فضلاً عن الاجتراء على تخريبها وفيها بشارة للمومنين انهم يستولون قهراً على مساجد الله فلا يدخلها بعد بناء عمر له الا متنكر فله نادى رسول الله الا يطوف بعد هذا العام مشرك ولا عريان فى حجة أبي بكر ونقض علي الصلح لهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلاء اليهود في جزيرة العرب بحيث لا تجتمع فيها

دينان وايس الشيطان أن يعبد غير الله في جزيرة العرب ، جوز ابو حنيفة دخول المشرك المسجد ومنعه مالك وفرق الشافعي فحرمه في البيت الحرام وجوزه في غيره بشرط اذن المسلم والحاجة فمالك قال الآية خبر تتضمن نهياً ومأخذ الشافعي « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » تمسكاً باختصاص النص ومأخذ ابى حنيفة انزال النبي صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف في المسجد لكن عند العامة نسخ (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وقيل نزلت في العرب لما منعوا ذكر الله بمكة ومنعوا الهجرة ومنعوا من أراد ان يسلم فمن عطل المسجد كأنه خربه وإن بقي فلان يعمر مسجد كذا إذا كان يحضره فالملائكة عمار السماوات سكانها قال صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان. « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله » . قال علي كرم الله وجهه من المروءة ثلاث في الحضر وثلاث فى السفر تلاوة كتاب الله وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان فى الله فالسفر بذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معصية ففضل المسجد « وأن المساجد لله ، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » قال صلى الله عليه وسلم : أحب البلاد إلى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها . فالمسجد يذكر الله والسوق يشغل عنه فله بغضت فلما كان لا أظلم ممن خرب المساجد لزم لا أسعد ممن عمرها قال صلى الله عليه وسلم : من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطواته احداها تحط خطيئة والاخرى

ترفع درجة. وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة: ديار كم بني سلمة تكتب لكم آثاركم فإن شيد مسجد لوجه الله ليكون بيته أعلى من بيوت الناس ولاجتلاب قلوب المسلمين تحريضاً لهم على أداء ما كتب عليهم جاز. فالنهى الوارد فيه محله إذا اعتمد الناس على التشييد وترك العمارة فالمقصود العمارة فقط فما من حاجة فى اول الاسلام الا زيد فيها: اذا وسع فأوسعوا. فتشييد المسجد سنة عثمان استنبطها من النصوص تعظيماً لبيوت الله فيجب أن يكون المسجد أعلى من بيوت الناس فسنة عمر عدم التشييد. أكن من البرد ولا تزوقوا كتزويق العجم. فمحله إن قصد ذلك مع ضميمة هجرانه فالذي فعله عثمان هو عمل الناس شرقاً وغرباً فله اجر كل من شيد مسجداً. ابن عمر ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن وسقف بالجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج قلت فأكثروا عليه ولم يلتفت اليهم فقال قال صلى الله عليه وسلم: من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً فى الجنة مثله [قلت] فأحب عثمان الاتقان ليبقى دائماً وفى الحديث تحريض على اتقان بنائه وهو أن ترفع تشيد على أهل المصر وجعل فيه عثمان طيقانا فزاد عمر بن عبد العزيز واعتني به ابتدأ سنة ثمان وثمانين وفرغ في احدى وتسعين وفيها حج

الوليد واحاط به شرافات وهو امام عدل باجماع المسلمين فلما قدم الوليد ابن عبد الملك المدينة ومشى معه عمر بن عبد العزيز يريه فرأى سقف المقصورة فأعجبه فقال له لو سقفته كهذا قال عمر إذاً ياأمير المومنين تعظم النفقة فقال وان فقال أتدري ما أنفقته اربعون الف دينار فلم يكن عمل على ما ورد في تشييد البنيان لضعفه عندهم او نسخ . فأول من احدث المحراب والشرافات عمر بن عبد العزيز وعمل الرصاص على طنف المسجد والميازيب التي من الرصاص وليس للمسجد شرافات منذ حريقه وجددت الشرافات سنة سبع وستين وسبع مائة في أيام الاشرف بشعبان صاحب مصر . فطول صومعته مائة ذراع [قلت] القصد اسماع والتعظيم فلامغمز فيه اللهم عريش كعريش موسى فموسى فيه اربعون ذراعاً بذراع نفسه يقف في عريشه ويرفع يديه ويصل بهما السقف فلم يرفع مسجد رسول الله مثله فلا مغمز فإني لما زرت المسجد الشريف تكلم معي فيه بعض العلماء تنكيتاً على طول بنائه فأجبته بعريش موسى حجة عليه كما نكت في شرب الناس ماء الميزاب من شتاء وازدحام الناس عليه فأجبته بما يفعله صلى الله عليه وسلم من التمسح والتبرك بشتاء حيث هي حديثة عهد بربها . فقبر رسول الله اسوة قبور الاولياء فالكعبة ومسجد الرسول اسوة المساجد فقد كسى رسول الله الكعبة فجاز مثله في المساجد كلها فالمساجد كاولادها قال صلى الله عليه وسلم : إذ دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتأدت بفرض او نفل ولو لم ينو النيابة . روت فاطمة الزهراء رضي

الله عنها انها قالت اذا دخل رسول الله المسجد صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك. قال صلى الله عليه وسلم: الملائكة تصلى على احدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه فتقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث. نهى رسول الله عن تناشد الاشعار فى المساجد وعن البيع والشراء فيها وأن يتحاق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة يعنى بمذاكرة العلم بل يشغل بالذكر والصلاة والانصات للخطبة فلا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلاة قال صلى الله عليه وسلم: من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فإن المساجد لم تبن لهذا. وقد كره بعض السلف السؤال في المسجد فلا يرى التصدق على السائلين فيها وجاز القضاء في المساجد. عن عبادة بن تميم انه رآ رسول الله مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وهو دليل الاتكاء والاضطجاع وأنواع الاستراحات فى المسجد وفى البيوت ونهى عن الانبطاح وهى ضجعة يبغضها الله. البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها، إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنه يناجى الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً ولكن يبصق عن شماله أو تحت رجله فيدفنها قال صلى الله عليه وسلم: من اكل ثوماً او بصلا فليعتزل مسجدنا، من اكل هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس. امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد فى الدور وأن

تنظف وتطيب . فتسمية البقعة مسجداً لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله . في الحديث من زار بيت المقدس محتسباً اعطاه الله ثواب شهيد وحرم الله جسده على النار ومن زار عالماً فكانما زار بيت المقدس . فأعظم المساجد بيت الله الحرام ومسجد المدينة وهما متساويان باعتبار ما ورد ثم بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع فهي اخف حتى لا يعتكف فيها إذا لم يكن لها إمام معلوم ومؤذن ثم مساجد البيوت فلا يعتكف فيها إلا النساء (لهم في الدنيا خزي) هوان بالقتل والسبي والجزية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم وهو النار ونزل لما عيرت اليهود المؤمنين في نسخ القبلة قالوا ليست لهم قبلة معلومة أو في صلاة النفل على الراحلة حيثما توجهت راحلته (ولله (115) المشرق والمغرب) يعني الارض كلها لانهما ناحيتاها أو وما بينهما فإن منعتم من الحرام او المقدس فجعلت لكم الارض كلها مسجداً فالتوحيد يقتضي صحة الصلاة في كل موضع والى كل موضع لكن عين الحق الكعبة تعبداً فلا تصح لغيرها إلا لعذر مانع فينوي بقلبه الكعبة فانها سر الارض وسر باطنية نور الحقيقة المحمدية فنسجد لله متوسلين اليه ومقدمين اليه قوة نور سره صلى الله عليه وسلم فالمعبود هو الله فقط والنور المكرام الذى هو اصل الوجود سبب فقط متوسل به إلى ربنا وساطة شرعية فالارض كلها ملك لله فلا يختص مكان دون آخر فكل موضع عينه لكم قبلة فهو قبلتكم فالقبلة إنما كانت قبلة بجعل الله لا لذاتها وعليه فالآية تمهيد لتحويل

القبلة لئلا يفتتن الناس به فابن عباس جعلها بعد التحويل توبيخاً لليهود زعمت اليهود ان الجنة لهم فاعتقدت اليهود ان الله جسم صعد على الصخرة إلى السماء من الصخرة والنصارى قالوا الجنة لهم وحدهم فاعتقدوا استقبال المشرق فإن عيسى ولد هناك « اذ انتبذت به مكانا شرقياً » فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لاخالق فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين الخالق والمخلوق . قال قتادة خير الله الناس المسلمين إلى اي جهة شاءوا من المقدس وغيره لكن احب النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة ثم نسخ الله التخيير فأوجب الكعبة فلا تصح الصلاة إلا باستقبالها ويحتمل ولله مشرق الكعبة ومغربها لمن بمكة معايناً لها فيصلي إلى جهة شاء من أوجهها الاربعة ويحتمل بعد الخطإ فإن الصحابة في ليلة مظلمة وتحيروا في القبلة فصلى كل واحد الى جهة وجعل في موضعه حجرة فلما أصبحوا تبين لهم الخطا فنزلت الآية بعذرهم بعد التحويل للكعبة . ابن عمر نزلت في المسافر امر ان يصلي النوافل حيث توجهت به دابته ومعناها عليه (فأينما تولوا) وجوهكم لنوافلكم في أسفاركم (فثم وجه الله) أي رضاه فإن الله واسع الفضل لا يريد اعناتكم بالنزول في كل نافلة فيترتب على النزول الحرج بفوت الرفقة ويترتب عليه ترك النوافل بخلاف الفرائض فلا حرج فيها فعلى الوجه الاول ناسخة لبيت المقدس إلى الكعبة وعلى الوجه الرابع الذي هو التخيير منسوخة والباقي لاناسخة ولا منسوخة ففرقة ثانية يقولون نزلت الآية في غير

الصلاة كالمانعين والساعين فإن سلطان الله عليهم اين هربوا وتدبيره يسبقهم وعلمه محيط بمكانهم . عن قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان اخاكم النجاشي مات فصلوا عليه ، فقالوا ليس بمسلم فنزلت « وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم » الآية فقالوا انه لا يصلي الى القبلة فنزلت (ولله المشرق والمغرب) يعني الارض لي فأي مكان صلى له أهل ملل وقصدوا به طاعتي وجدوا ثوابي وقبولي وهو عذر لمن استقبل المشرق وهو مسلم لله « وما كان الله ليضيع ايمانكم » أي صلاتكم . الحسن لما نزل « ادعوني استجب لكم » قالوا أين ندعوه فنزل « ولله المشرق والمغرب » وعن علي بن عيسى خطاب المسلمين فلا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره فلله بلاد المشرق والمغرب ففي أي مكان فعلتم التولية الي الكعبة صادفتم كمعني وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ويحتمل أنها نزلت فى المجتهد بأدلة القبلة فأيما أداه اجتهاده أصاب ومعنى « فولوا » استقبلوا ويقال ولي أدبر وهو من الاضداد وثم إشارة إلى المكان خاصة (وجه الله) قبلته او فثم الله يعلم ويري أي حقيقة الله التي هي ذاته فاعلم هنا ولله المثل الاعلى ان وجود الحق بمنزلة إشراق فهل تضارون في رؤية القمر وهو أصل فأوجد الله ظلا بنوره من نوره معه نوره فتعين الظل بالنور فالنور أصله وركنه وبه تميز فالظل كالخيال ليس بظلمة صرف لوجود النور فيه وإنما حجب من الاشراق فقط ولا باشراق فلو ظهر إشراق بطلت ماهيته فلا يتصور تعين الظل الا بالنور فالطاري الحادث

هو الظل فالظل هو الاجرام والاعراض والجواهر والمعاني المجردة «ألم تر إلى ربك كيف مد الظل» بسط الوجود المفعول من حيث هو بنور وجوده تعالى «الله نور السماوات والارض» وجوده الحق منور وجود الظل الذى هو الملك من حيث هو علوياً وسفلياً فالظل بيده يفعل فيه وبه مايشاء فالحق هو الله والظل متغير باطل باعتبار أصله وحق واجب باعتبار وجوده لكن أصله الجواز فهو مفتقر بامكانه إلى الله تعالى «وهو معكم اينما كنتم» والله الموفق الى الاهتداء الى الحقائق فالظل مخلوق لله وملك له وهو كالخيمة لعبيده اسكن فيها عبيده في الدنيا والآخرة فهذا لسان الحقائق فالشريعة لا تصح إلا بالشريعة وهى استقبال القبلة هنا إلا لعذر «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» فحكمة رفع الايدى إلى العلو لان خزائن الله فيه وامرنا فى الدعاء باستقبال العرش الذى هو قبلة الدعاء كما ان القبلة قبلة الصلاة كما ان الامام قبلة المأموم اعنى الاقتداء. وكما أن رسول الله قبلة الإمكان من حيث هو فالعرش مظهر لاستواء الصفة الرحمانية كمن يشير بيديه إلى خزائن الملك ثم يطلب ما فيها لا غير فليس الله متحيزاً كالاجرام فالتحيز حدها العرش وما وراء العرش من العوالم غير متحيز فالروح الامرية غير متحيزة فلهذا لا تعقل بحد العقل العرش محل صفة الاسم الرحمان فلا يعرف العقل نفسه حتى يفنيه الله بالصواعق الجلالية والشموس الجمالية فإذا أماته به أحياه ورباه لنفسه خالياً عن حسه ثم يشرق فيه بالاسم الحي القيوم ثم بالاسم

الله فيشاهد بالله الحقائق على ما هي عليه فيرى الملك مقبوضاً باصابع الرحمن فيشاهد عليه عرشه أي نفسه فيعرف عليه ربه بربه لا بعقله فالعقل اضمحل نوره فهو كالقنديل اشرقت مائة الف شمس وأربعة وعشرون الف شمس فصار نوره مقهوراً بربه فالدليل على أنه تعالى غير متحيز قول النبي صلى الله عليه وسلم في قاب قوسين : لا احصي ثناءً عليك أنت كما اثنيت على نفسك . وقال يونس في بطن النون والحوت والبحر « لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » فكل منهما خاطبه فأنت للمخاطب الحاضر فالنبي اسري به في اجزاء ملك الله سفليه وعاويه ويونس اسري به في اجزاء السفل وهو سر : لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه رآ في بطن الحوت ما رآه صلى الله عليه وسلم في أعلى العرش وهو تجلى الذات فيما بيناه بطل باطل شبه المجسمة فإن الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فإن كان محاذيا لجانب الشرقي استحال ان يحاذي الغربي فلابد من التاويل بأن الاضافة للتشريف كبيت الله وناقة الله معناه فأي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة لكم فالوجه القصد « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض » او المراد « ثم » مرضاة الله نحو « إنما نطعمكم لوجه الله » وكيف يكون له وجه معتاد متعارف بالحواس والجهات أم كيف يكون جسما أو جسمانياً وهو خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض فالخالق مقدم على المخلوق تقدماً بالذات والعلية والشرف فالسمة

كمال الاستعلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وإنه تعالى قادر على الاطلاق وتوفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب أعمالهم . كان صلى الله عليه وسلم يصلي مع اصحابه بمكة إلى الكعبة فلما هاجر أمره أن يصلي إلى المقدس فصلى نحو ستة عشر شهراً فأحب بالله قبلة ابيه إبراهيم وأقدم القبلتين فإن الكعبة بناها آدم ثم بعد اربعين سنة بني بيت المقدس باذن الله وهو « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » وهو في مسجد بني سلمة فصلى الظهر ولما صلى ركعتين نزل « فول وجهك شطر المسجد الحرام » فتحول فيها فسمى مسجد القبلتين فأنكر من انكر ابتلاء من الله « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » فالمومن يعتصم بالله ويقبل حكمه ولا يبحث فيه فإن الاحكام الشرعية تعبدية يتبع الرسول ولا يتبع عقله العاجز وفهمه القاصر ويتعلم الادب من معلم الرسالة ويهتدي بطريقة الصواب فيصل إلى التوحيد الذاتي المحمدي اللهم اجعلنا مهتدين به ففرقة تحيرت باعتقاد بطلان ما صلوا قبل التحويل فانزل « وما كان الله ليضيع إيمانكم » وفرقة ضلت وتخيلت عدم حقية الرسول وهم كفار فالايمان إنما يكمل باستسلام لله فشهود الحق بالخلق وشهود الخلق بالحق من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر مقام جمع الجمع والبقاء وانما يحصل بالتجلي العيني بعد العادى فمن امن

بالارشاد صار من خدمة الحق « واصطنعتك لنفسي » فموسى لما كان فى خدمة أهله لاقتباس النار « نودي ياموسى إني أنا ربك » فتجلى الربوبية أولا ثم قيل له « فاخلع » اترك طبيعتك ونفسك « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى » فتجلى الالوهية ثم تجلي الذات وامر بارشاد فرعون وأهله فترك أهله هناك ولم يلتفت لهم فدخل مصر نصف الليل فدق باب فرعون بعصاه امتثالا لامر الله فشاب فرعون فقال له الكنت وليداً عندنا فقال نعم فله أرشدتك أولاً للحق علي فاجتمعوا على قتله فألقي عصاه فصارت ثعباناً أراد ابتلاعهم فاستامنوه فأمنهم فأراد أن يومن فمنعه هامان ثم رجع إلى أهله فوجدها وضعت وأحاطت بها سباع فلم يقدر أحد ان يمر عليها . فقبلة البشر الكعبة وقبلة الملائكة من أهل السماء البيت المعمور وقبلة الكروبيين الكرسي وقبلة حملة العرش العرش ومطلوب الكل وجه الله فالقبلة تعيين الشرع (ان الله واسع عليم وقالوا) اليهود عزير بن الله والنصارى المسيح بن الله والعرب من المشركين الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولداً) فرد عليهم (سبحانه) تنزيهاً له تعالى عن مماثلة خلقه فإنه تشبيه فمماثل الحادث حادث فالله خالق قديم فاستحال فى حقه أن يلد وأن يتبنى خلقه فالولد محتاج له فى الملمات واقامة مقامه ان مات فيشترط فيه المجانسة فلا مجانسة بين موجود واجب وبين موجود جائز فمطلق الوجود لا يقتضي الشركة (بل له ما فى السماوات والارض) والمقصود بهما السفل والعلو فدخل كل ممكن من عيسى وعزير

والملائكة وغيرهم مما سوى الله فالاضراب للرد والانكار ملكاً وخلقاً من جميع كل ماأبرزته قدرة الله في حيطة المقدورية وهو كل ممكن من موجود ومعدوم فالامكان المعدوم اعدمته القدرة والعدم الصرف الذي هو المحال الذاتي هو الذي لايمكن ان تتعلق به القدرة فإنه محال ذاتي في مقابلة واجب من اولي العلم وغيرهم (قانتون) منقادون مطيعون له لا لغيره فبيضة الوجوه منقادة لربها متذللة خاشعة آنسة هائبة مرتعدة لا يمتنع شيء منهم على مشيئته وتكوينه وكل ما كان كذلك فلا ينبغى أن يكون ولداً واخذ من قانتون توبيخ للعقلاء الذين جعلوا له ولداً فكل من تتبع العقل وترك الايمان وتحمد على كيف وكيف ازم ويلزم وعلى التقليد الصرف هلك مع الهالكين وهو حجة الفقهاء ان من ملك ولده اعتق عليه فإنه نفى الولد باثبات الملك فاقتضى التنافي فعيسى وعزير والملائكة قانتون لله متبرءون مما نسب لهم من الولدية فالاله لايعبد غيره وإنما يعبد العبد ربه (بديع السماوات والارض) موجدهما من غير مثال سبق (١١٦) وهو وجه رابع يفسد ماقالوه فبديع مبدع أبدع الاشياء من غير مثال سبق فالحقائق لا تتكرر فى الدنيا والآخرة فإذا تجلى تعالى باسم في حقيقة لا يتجلى به ابداً فليس في الامكان حقيقة مناسبة من كل وجه حقيقة أبداً وهو بديع لاتساع الامر الالهي فعليه فالله ذات مخالف لسائر الذوات في كل الوجوه لا في بعضها فإن شابه البعض غيره في أكثر الاوصاف فهو المشابهة العقلية وان في اقل الاوصاف فهو المثلية العقلية وإنما حقيقة

الله فقط هي المخالفة لسائر الحقائق من كل وجه واعتبار فلا شبه له ولا مثل له «ليس كمثله شيء» نفي للمثل وهو يستلزم نفي الشبه من باب أولى. «ولم يكن له كفؤاً احد» نفي لمجانسة من الاجسام والاجرام والاعراض والجواهر والمعاني المجردة فأنى يتولد من غير جنسه أو يتولد عنه من لم يكن مجانساً «ولم تكن له صاحبة» وأنى تكون له وهو لم يجانس الامكان فهو غني عن حضرة الامكان وانما أوجدها فضلا لتعلم وتذكر نفسها وأما الله فقد نظر الى الحقائق وعاملها على ما هي عليه قبل انبجاس صورة الامكان صلى الله عليه وسلم فمرتبته هي صورة الامكان فالله فاعل لا مفعول ولا منفعل فالوالد عنصر الولد المنفعل باتصال مادته منه خالق للاشياء لا عنصر ومبدع فكيف لا يقدر على خلق عيسى بلا أب فهو الفعال لما يريد ووجود عيسى بلا أب من ام ووجود آدم بلا أبوين مما يريده وقدره وكونه (وإذا قضى) أراد فله معنيان ادى وإرادة واحكم وهو تعليق الارادة الالهية بوجود الشي من حيث إنه يوجبه شيئاً (فإنما يقول له كن) احدث فهي تامة (فيكون) فيحدث ويحصل ويثبت له وجود وكينونة فهو يكون بالرفع وبالنصب جواب الامر ففاعله الامر المخاطب بكن فلا مغمز فيه فأهل السنة يرون تعلق وجود الاشياء بالخلق والايجاد وتكوينه وهو صفة ازلية وهذا الكلام عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال قدرته لكن لا يتعلق علم احد بكيفية تعلق القدرة بالمعدومات فيجب الامساك عن كيفية وجود البارى تعالى

وكيفية العذاب بعد الموت وأمثالها فإنها من الغوامض فكل خطاب ازلي ذاتي لا مدخل فيه للعقل فلا يؤوله العقل ولا يفهمه على وجه محسوس ومدرك فإن الخطاب باعتبار قيامه فى ذاته تعالى ذات وباعتبار توجهه واستعداده للتوجه ذات فإن الاستعداد صفة ذات وإرادته واذنه للشئون الثبوتية العلمية ذات فالاذن هو ابرزوا من حضرة العمى الى خارج الاعيان والاذهان وهو حضرة الوجود فتخصيص الارادة القدرة بأحد طرفي الامكان المرتب عقلا عن العلم ذات واستعداد القدرة للنفوذ ذات وتعلقها بالشئون الثبوتية العلمية صلوحياً ذات واخراج الاعيان وانشاؤها على مقتضى العلم وهو تعلق تنجيزي هو الكلمة الطيبة التي انصدرت منها الاكوان فهى كلمة التكوين فالكل كلمة الله « وكلمته القاها إلى مريم » فالملقاة هى التكوين فالكلام لفظ عربى فلا يخرج عن حقيقته إلا لمانع فلا مانع فإن ما حدث له صفة الحدوث وما قدم له صفة القدم فلا يقاس الشاهد الحادث على الغائب فالشيء في اللغة كل ثابت فلا اصطلاح فى القرآن فالشئون شيء لغة فلا توجد الشئون العلمية إيمانا بما انزل إلا بثلاثة امور امره تعالى وارادته وكلمة التكوين وهي كن لكن من غير حرف ولا صوت عقليين بل شرعيين وهما اثبات ما أثبته الله على ما أثبته فلم يكلف العبد بالتمييز بل كلف بالايمان فقط بما انزل فقولهم تقديم الكاف على النون يلزم منه كذا قياس الحادث على الغائب وهو باطل فالقرآن إن قرأته فباعتبارك أنت وفعلك حادث وباعتباره تعالى

قديم فإن قال مثلا « قال إني عبد الله » فباعتبار الله قديم وباعتبار القائل عيسى حادث فنطقك بكن تلاوة فأنت وما برزمنك حادث ككل ما تعقلته وتصورته وتخيلته وتمثلته وشخصته فباعتبار الحق قديم « أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء » فباعتبار الناطق حادث وباعتبار المنطق قديم وكيفية الانطاق والاحياء والاماتة عجز عنه الخليل فضلا عنك فسأل فأومأ له الحق ولم يدرك تمامه لاختصاصه بالله فلو ادركه المخلوق لادعى استواء علمه بالله فليس هذا سر القدر بل هذا عين القدر تقدير الحق الاشياء وربط الاسباب بالمسببات فسر القدر يدرك بعضه بعض المقربين فكيفية النطق بالقرآن وكيفية كلام الله به صفة ذاتية لا يعلمها الخلق فلنقنع بالايمان وهو مقام الصحابة فلذا لم يخوضوا فى مثله وإنما فوضوا فما ادركوه حمدوا الله وما لا سلموه لله وعبدوا به ربهم فلو أدركت أهل الابصار ذات الله وصفته ولو تعلقا لاستوى علمهم مع علم الله فان الله قدر في الازل وعلق شيئا بشيء فلو اطلع احد علمه لقال يكون كذا وجوبا يوم كذا فانه مفروغ منه فانه حكم به فالحكم لا يبدل « ما يبدل القول لدي » « لا تبديل لخلق الله » فانه مقدر فى علمه في حضرة الازل « ولله المثل الاعلى » فلا يشبه الشاهد بالغائب من أراد أن يبني دارا معلومة في ذهنه فانه يصورها ويمثلها ويكتبها فى كاغيد مثلا ويرسم ما تكون عليه الدار ثم يعطيها مثلا للبناء بكذا بشرط ألا تخالف هذا الرسوم فتبنى عليه من غير زيادة ولا نقص فتلك الصورة المثالية إشارة الى القدر فلا تخرج

الدار عنها ابداً ولا ينقص فالبناء إشارة للملك المصور مثلا فالدار المبنية غير الصورة الارتسامية بالصبغ مثلا فالصورة العلمية الحصولية في محلها ليست هي الخارج للاعيان ولا غيرها فهذه الصورة هي التي يطلبها ملك التصوير في قوله ذكر ام انثى فيعلم جميع ذلك وهو الطائر الذي يعلق في عنقه وليس هو الشئون العامة بل هي مرتسمة نقوشها في اللوح المسمى في عرف اليوم (البلان) فالبلان هو اللوح فاعلمه فالذى ظهر عين مااشترطه فيه من القضايا والتقادير والعوارض كله سياسة لترتيب ملكه تعليماً لنا فالخاطب اذا أراد ان ينشئ خطبة جمع المعانى المرادة له واحضرها بعقله ثم خيلها فى ذهنه الفاظاً ينسجها معها ثم يبرز ماأراد من غير قياس شيء على شيء وإنما هو أمثال للاعتبار فاعاق به فسبب بهتان من نسب الولد لله تعالى عنه أن ارباب الشرائع المتقدمة يطلقون على الباري تعالى اسم الاب وعلى الكبير منهم اسم الاله حتى قالوا إن الاب هو الرب الاصغر والله الاب الاكبر وارادوا السبب الاول فى وجود الانسان وان الاب هو السبب الاخير له فإن الاب هو معبود الابن من وجه مخدومه فظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة الطبيعية فاعتقدوا ذلك تقليداً فله كفر قائله ومنع منه مطلقاً قصد السببية أو معنى الولادة الطبيعية سداً لذريعة وهي الفساد فاتخاذ الحبيب أو الخليل من الله جائز وارد فالمحبة تقع على غير جوهر المحب . وقالوا اوحى الله إلى عيسى ولدتك وأنت نبي فخففوا التشديد من التوليد وقالوا ولدتك من الولادة وقدموا

الباء على النون من نبي فقالوا ولدتك وأنت نبي فتعالى الله عما يقوله الظالمون وقال تعالى يا أحباري ويا أبناء رسولي فغيره اليهود بيا أحبائي ويا أبنائي فكذبهم الله « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فالله منزه عن الحدود والجهات ومتعال عن الازواج والبنين والبنات ليس كمثله شيء في الارض ولا في السما كذبني ابن آدم اي نسبني الكذب ولم يكن له ذلك يعني لائقاً وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أن لا اقدر أن اعيده كما كان واما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني ان نتخذ صاحبة أو ولداً اه فالتولد انفصال الجزء عن الكل بحيث ينموا وإنما يكون في المركب وكل مركب محتاج فنفي الاعادة نفي صفة كمال واتخاذ الولد اثبات صفة نقص والشتم افحش من التكذيب والكذب على الله فوق الكذب على النبي وفي الحديث : ان الكذب علي ليس كالكذب على أحد . [قلت] فإنه يؤدي إلى هدم قواعد الاسلام وإفساد الشريعة والاسلام : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . فعلى المومن ان يجتنب الزيغ والفحش وان يقبل على التوحيد في كلية عمره وفي الحديث : لو يعلم الامير مافي ذكر الله لترك إمارته ولو يعلم التاجر مافى ذكر الله لترك تجارته ولو أن ثواب تسبيحة قسم على أهل الارض لاصاب كل واحد منهم عشرة أضعاف الدنيا . المومن حصون ثلاثة ذكر الله وقراءة القرآن والمسجد . يعني مصلاه لكن بصدق وإخلاص حتى يظهر التوحيد في الملك والملكوت اللهم أوصلني مقام التمكين فاما قدر

وجود المعدوم خاطبه تنزيلا منزلة الموجود فإنه معلوم له أزلا وابداً إجمالا وتفصيلا (وقال الذين لا يعلمون) من كل من لم ينفعه علمه كاليهود او جهل اصالة كالمشركين (لولا يكلمنا الله) حرف تحضيض هلا يكلمنا الله عياناً بأنك رسوله كما يكلم الملائكة بلا واسطة او يرسل الينا ملكاً يكلمنا بأنك رسوله كما كلم الانبياء استكباراً من الجهلة يعنون نحن عظماء كالملائكة فلم اختصوا به دوننا (أو تاتينا آية) حجة تدل على صدقك وهذا انكار مع علمهم ان يكون القرآن وسائر المعجزات آيات تدلهم على صدقه فإنهم اقترحوا عليه (كذلك) كما قالوا (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لأنبيائهم (مثل قولهم) من التعنت وطلب الآيات فقالوا « ارنا الله جهرة ، هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء » فلم يطلبوا الحق وإنما تعنتوا فلو طلبوه إرشاداً فربما عذروا من الرحيم (تشابهت قلوبهم) تماثلت في العمى والقسوة والعناد فاللسان ترجمان القلب فالقلب ان استحكم فيه الكفر لايجري على اللسان إلا ما ينبيء عن التمالل والتباعد عن الايمان (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) يطلبون اليقين الحقائق فلا تعتريهم الشبه ولا عناد فالايقان لمن تمكن الادلة وشرب لبابها . فقوم موسى ابداً في التعنت واقتراح الاباطل « لن نصبر على طعام واحد » فالمشركون « قالوا ان نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً ، لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، يسئلك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء » فلو طلبوا الحق لوقع الاكتفاء بالآيات

هى القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كمجىء الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل فلو علم الله انهم يومنون ان انزل مااقترحوا لفعله لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلهذا لم يفعل وايضاً فلعل فى ما طلبوه مفاسد لا يعلمها إلا هو كافضائها إلى حد الالجاء المخل بالتكليف وإيجابه استيصالهم إن لم يومنوا وهو صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولكن وجه عن القدر الصالح بالزام الحجة وايضاً فكثرة الآيات ينفي الخوارق فلا تبقى آية وكل ما أدى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت ان عدم اجابتهم لا يقدح فى نبوتهم فمساجد الله التي يذكر فى ماهية الانسان سبعة : النفس والقلب والروح والسر وسر السر والخفى والاخفى . فذكر النفس الطاعات ومنعها بترك الحسنات وملازمة السيئات . فذكر القلب التوحيد والمعرفة ومنعه بالشبهات والشهوات . ياداوود حذر وانذر أصحابك كل الشهوات فإن القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر بالالتفات إلى المشاهدات والمكاشفات (119) (إنا أرسلناك بالحق) مؤيداً بالادلة والحجج والبراهين التي توصل للحق وهى القرآن والاسلام تسلاه وسرى عن رسوله بها لئلا يضيق صدره : كلفت بتبليغ الحق لا بادخال الايمان فيهم « أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مومنين » (بشيراً) لمن اتبعك بكل خير بما لا عين

رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (ونذيراً) منذراً مخوفاً لمن كفر بك بكل شر فلا يضق صدرك فلا جبر لك على القبول والايمان ولا عليك إن اصروا على الكفر « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » (ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) بعد أن بينت وبلغت ما لهم لم يومنوا ملازموا النار فى علم الله ملازموا اسبابها الكفر وعمله قبل الانغماس « كل يعمل على شاكلته » (تسئل) قرأ نافع بفتح التاء وسكون اللام نهاه أن يسئل عن كفار أهل الكتاب لا عن حال أبويه كما فسر من لا يرعوى فإن ما روي فيه ضعيف بل باطل لا توذوا الاحياء بسب الاموات ولا سب مثل الكفر فكيف وقد قيل فالمعتمد نجاة اصوله صلى الله عليه وسلم بل هم خيرة الله اما من نبوة وقطبية وإما من قطبية فقط فامهاته صديقة من صديقة إلى حواء « وتقلبك فى الساجدين » أي نرى نعلم تقلبك فى أصلاب وأرحام الساجدين العابدين نهايته أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فوصف اصوله بنهاية العبودة ورجح الامام السبكي والسيوطي احياء الله أبويه بعد البعثة حتى أسلموا تشريفاً لهما بالانتساب إلى القرآن العظيم « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فالرسول الذى ارسل إلى العرب إسماعيل فقط ثم محمد صلى الله عليه وسلم فمن اختار من العرب شريعة إسماعيل لزمته وإلا فلا فكل ما يفعله أهل الفترة عبادة ربهم فلم يكلفوا إلا بموافقة طبعهم فهو عبادة لهم كغير العقلاء فإن العقل شيء ضعيف لا يستبد بالحكم لا في الاصول ولا في الفروع. وقرأ الباقون بالرفع

فيهما مبنياً للمفعول لست بمسئول عنهم « إن عليك الا البلاغ » وان شهر أن قريشاً يعبدون صنما فالراجح خلافه بدليل « واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ، وجعلها كلمة باقية في عقبه » فلا تغتر بصاحب التيسير وبما روى عن عطاء وابن عباس فانه غير ثابت قال القرطبي في التذكرة قالت عائشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه ظفر فنزل فقال ياحميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد وهو فرح متبسم فقلت فعما ذا يارسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة امى فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت . وروى أن الله أحيا له أباه وامه وعمه أبا طالب وجده عبد المطلب فاسم أبيه عبد الله اضيف الى علم ذات الله وهو أدل دليل على أنه موحد لم يسم به صنم فى الجاهلية وجاز عقلا احياؤهما فإنه نبي وشرعاً فقد أحيا قتيل بنى اسرائيل وأخبر بقاتله وعيسى يحيي الموتى وأحيا الله على يد نبينا جماعة وإذا ثبت فما يمنع من إيمانهما بعد احيائهما زيادة في شرفه وشرفهما فماروى ان صح بأنه منع من زيارتهما فتقدم عن احيائهما فإنه في حجة الوداع فهو يترقى فى المقامات أبداً فمن الجائز ان تكون هذه درجة مجددة له فالايمان عند اليأس لا يقبل وهذا بعد الاحياء ليس عن يأس « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » فأثبت العود لما نهوا عنه بعد البعث لانهم في علمه كفار واهل الفترة ليسوا كفاراً وورد ان اصحاب الكهف يبعثون

ويحجون وهم من هذه الامة وورد مرفوعاً أصحاب الكهف اعوان المهدي
فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد احيائهم من الموت ولا بدع فى أن الله
قبض أرواحهما قبل استيفاء الاجل المحتوم فأحياهما لاستتمام ما بقي لهما
فأدركوا باللحظة الايمان ونتائجه مالا يدركه غيرهم فى الاعمار الطوال كما
حاز أصحاب الكهف شرف الدخول في هذه الامة التي غبطتها الانبياء
بحيث تمنوا أن يكونوا من امته صلى الله عليه وسلم. سئل القاضى أبو بكر
ابن العربى المالكي عمن قال ابواه صلى الله عليه وسلم في النار فقال ملعون
« إن الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » قال صلى
الله عليه وسلم : لا توذوا الاحياء بسب الاموات [قلت] وحرم أن يقال
لما أهبط الله آدم اسود بدنه إلى آخر ما ينقص الانبياء فإن مناصبهم عند
ربهم أعظم وأكرم وإياك من الفضول : وربما يقول احد كلمة لا ياتي لها
بالاً وهى تهوي به فى النار سبعين خريفاً ، إذا ذكرت اصحابي فامسكوا .
فالانبياء احق بالكف فإن الله اصطفاهم فيجب الكف عما ينقص نسب نبينا
فليس من المعتقدات بل من باب التصديق فحق اللسان ان يصان عما يتبادر
منه النقص خصوصاً للعامة فإنهم لا يقدرون على دفعه فهذا الدواء الشافي
لمن احب ان يكون من المتقين (ولا تسئل عن) صفات الكافرين واحوالهم
فإنها فظيعة ولا تسئلنا فيهم فإنهم سبقت فيهم كلمتنا لاظهار غضبنا فيهم « ما
يبدل القول لدي » (ولن ترضى عنك اليهود) إلا باليهودية (ولا النصارى)
إلا بالنصرانية وهو نهاية في اقناطه من اسلامهم فإنهم كانوا يسئلونه الهدنة

فطمع فيهم فطمعوا ان يتبعهم فحكى الله له ماقالوا ونووه وله قال (قل) في الجواب لهم (إن هدى الله هو الهدى) وهو الاسلام فبين له ولهم ان الاسلام هو الحق الهادي إلى الله وأن مااعتقدوه مما بأيديهم إنما هو طريق شياطينهم فلا يسمى طريق الله بل طريق الشيطان وما يدعون اليه انما هو أهواء واماني الباطلة وهو (ولئن اتبعت أهواءهم) واللام لام القسم آراءهم الزائغة التي يدعونك اليها فالخطاب قصد به غيره وهو امته نهياً عن اعتقاد الحقية في ملتهم العوجاء فإنهم قد غيروا ما أنزل الله على الأنبياء بامانيهم الباطلة فالهوى رأي عن شهوة داع إلى الضلال وهو يهوي إلى كل واهية في الدنيا والآخرة إلى هاوية يسقط في النار الحامية فجمع الاهواء تنبيهاً على أن لكل واحد منهم هوى مخصوصاً به وهو طرق اهوية متشتتة فلا يرضى الكل إلا باتباع أهواء الكل فالملة من حيث الاملاء على الانبياء والدين باعتبار طاعة العباد ان سنها والشريعة باعتبار كونها مورداً للمتعطشين الى زلال ثوابه ورحمته فيكون الخطاب له فإن الله وان حكم بعصمتهم فهو امتناع بالغير فلا ينافي الامكان الذاتي فالامكان الذاتي هو شرط تكليفهم فما من واحد وان بلغ ما بلغ الا وهو تحت حيطة سياسة ربه وتحت شرعه وقهره فلا تخرجه المرتبة العالية عن العبودية بل مما يغمسه فيها ويزيده خوفاً بربه فإن الانبياء يعرفون من الله ما لا يعرفه غيرهم فهم أكثر الناس خوفاً بمقام ربهم ويؤاخذون على الذرة فليسوا كغيرهم فالعصمة لا تخرجهم عن دائرة التكليف وصولة الخطاب ولذلك

(بعيد الذى جاءك من العلم) الدين المعلوم صحته بالبراهين القاطعة وهو القرآن (مالك من الله من ولي) يحفظك (ولا نصير) يمنعك منه من عقوبة الله وفيه جواز من علم الله أنه لا يفعل كذا ان يتوعده ان فعل وفيه زجر للامة من ان يميلوا إلى آراء الكفار الباطلة فالعلم العلم بصفات الله ونزل لما قدم طائفة من أهل الكتاب من الحبشة فأسلموا وتركوا التعنت

121 فتعلموا عينية الحق مدحاً لهم وتعظيماً لمناصبهم (الذين آتيناهم الكتاب) مبتدأ حال كونهم (يتلونه حق تلاوته) يعرفونه كما انزل من غير تحريف ولم يغيروا ما فيه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مراعين لفظه من التحريف متدبرين في معناه عاملين بمقتضاه تلاوة حق تلاوته (أولئك يؤمنون به) لا غيرهم ممن اتبع هواه وأحب أن يكون الله مع هواه فيكون ما أراد هو لا ما أراد الله (ومن يكفر به) بأن حرفه واخرجه بتأويله الباطل عن قصده كفر بالتحريف أو بالقرآن الذي يصدقه (فأولئك هم الخاسرون) لا غيرهم الهالكون المغبونون حيث اشتروا الكفر بالايمان

122 (يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) وهي التوراة فالذكر هو الشكر والشكر بالايمان والعمل بما نزل عليه الكتاب ومن جملته نعت محمد والايمان به صلى الله عليه وسلم ومن أنواع الايمان الايمان بمتشابهه والانقياد له (و) اذكروا (أني فضلتكم على العالمين) عالمي زمانكم

123 (واتقوا يوماً لا تجزي نفس) لا تغني (عن نفس) فيه (شيئاً) جزى عني قضى عني لا تقضي في ذلك اليوم من الحقوق التي لزمتها فلا تؤخذ نفس

بذنب اخرى ولا تدفع عنها شيئاً قال صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة لاخيه من عرض اوغيره فليستحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (ولا يقبل منها عدل) فداء ينجو به من النار فالعدل بالكسر الموازن كالحمل وزناً ومعنى (ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله وختم بالمكرر مبالغة في النصح (و) اذكروا (إذ) زمن (ابتلى) اختبر (ابراهيم ربه بكلمات) بأوامر ونواهى اعلام الله عباده أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً وهو إظهار العلم للغير فالاختبار باعتبار الحق تمكينه للعبد من اختيار أحد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد يمتحنه بما يكون منه حتى يجازيه فإنه علم الكفر من ابليس فلم يلعنه حتى اختبره بما استوجب اللعنة وهو الاستكبار عن آدم والاباء من الانقياد له فالكلمة اللفظ على المعنى المفرد وهن الفاظ منظومة وربما تطلق على معنى الارتباط بينهما المابين الدال والمدلول من التضايف والمتضايفان متكافئان تعقلا (فأتمهن) قام بهن حق القيام « وإبراهيم الذى وفى » ابتلاه بعشر خمس في الرأس قص شارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى الجسد قلم ظفر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء وهو اول من فعل هذه العشر وهى واجبات عليه وسنة لاهل القرآن ففرق شعر الرأس تقسيمه إلى نصفين فالمشركون يفرقون والكتابيون يسدلون على الجبين ويجعلون كالقصة

وهى شعر الناصية ويحب موافقة اهل الكتاب فى ما لم ينزل عليه حكم لاحتمال انه بحكم فأمره جبريل بالفرق فارسال الشعر صار شعار العلويين فلا ينبغى لغيرهم لمكان التلبيس وحلق شعره صلى الله عليه وسلم معدوداً لغرض النسك فإمساك الجعد في الغلام حرام لان سببه الاطماع الفاسدة احضر بعض ولده بحضر أبى بكر حلق بعض شعره وترك بعضه فأمر أبو بكر بقتله فتاب واستغفر فعفى عنه فمن فعله يستحق القتل قيل فى مجلس أبي يوسف أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع فقال رجل إنى لا احبه فأفتى ابو يوسف بقتله فتاب فعفى عنه فقص الشارب بالمقص المقراض . يقصه صلى الله عليه وسلم كل جمعة يقص حتى يبدو طرف الشارب فيحدق كالحاجب وندب المجاهد توفير الشارب والاظافير للتخويف فحلق الشارب واللحية بدعة في الحديث جزوا الشوارب واعفوا اللحى : فالاعفاء التوفير فحلق اللحية قبيح وهو مثلة وحرام فحلق شعر امرأة فمن حلقها تشبه بالنساء وهو حرام فحلق امرأة رأسها مثلة حرام وتفويت للزينة تقول الملائكة سبحان من زين الرجال باللحى وزين النساء بالذوائب فالرجال الممدوحون اصحاب اللحى والعمائم ولا باس بأخذ الزائد عن القبضة من اللحية فالرسول يأخذ من لحيته طولا وعرضاً إذا زاد على القبضة فإن الطول المفرط يشوه الصورة ويطلق ألسنة المغتابين ويكره نتف الشيب كرهاً له وإراءة للشباب فالختان سنة اسلامية إلا إن ولد مختوناً فالانبياء مختونون خلقة إلا ابراهيم فختن نفسه

ببلدة قدوم وهو ابن ثمانين او مائة وعشرين سنة ليستن به من بعده وندب من سبع سنين إلى بلوغ وجاز من ولادة إلى سبع وندب للكبير ولو ابن مئتين سنة ورخص الحسن لكبير أسلم ولا يرد شهادته ولا ذبيحته وحجه وصلاته وندب قص الاظفار فربما يغتسل ويتبرك وبسخا تحت أظفاره فمن اغتسل وبقي شيء قليل لم يغتسل وفى الحديث من قلم اظفاره يوم الجمعة أعاذه الله من البلايا إلى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام . وفى الحديث من أراد أن يامن من الفقر وشكاية العين فليقلم اظفاره يوم الخميس بعد العصر . وفي الحديث من قص أظفاره مخالفا لم ير فى عينه رمدا . ندب يد على رجل يبدأ بمسبحة يد اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الإبهام ثم بخنصر اليسرى إلى الابهام ثم بخنصر الرجل اليمنى ويختم بخنصر اليسرى . وفى الحديث نقوا براجمكم جمع برجمة وهى العقد من الوسخ وما بين العقدتين يسمى راجبة رواجب فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الابهام فله برجمة وراجبتان . ابطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ « وما نتنزل إلا بأمر ربك » ف (قال) له ربه (إني جاعلك للناس اماماً) فى هذه الخصال وغيرها ويقتدى بك الصالحون الى قيام الساعة «ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً» فجميع اهل الاديان اجتمعت على تعظيمه « كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد» ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فرسولنا دعوة

ابراهيم طلب ان يجرى الله ذكره فى السنة امة محمد فأجراه فى الصلاة عليه مع محمد صلى الله عليه وسلم (قال) ابراهيم (ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) لايصيب وفيه تنبيه على أنه يكون منهم فسقة وان الفاسق لا يصلح للامامة فلا تتصدر منهم معصية فالعاصي لا يتقدم في الصلاة فضلا أن يكون نبياً وهم معصومون من كل مخالفة قبل النبوة وبعدها ولا تجوز شهادة فاسق ولا طاعته ولا يقبل خبره فالامام إنما يجعل لمنع الظلم فكيف به إن كان ظالماً ومن استرعى الذيب الغنم ظلم وبه تمسك المعتزلة ان الفاسق لا يصلح للامامة. قال أهل السنة الظالم اريد به الكافر والصبر على إمامة الجائر أولى من الخروج عليه ظاهراً وباطناً فإن في الخروج استبدال الامن بالخوف واراقة الدماء واطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الارض. حديث لا يدخل الجنة ولد زنية. معناه من يكثر الزنى كولد الحرب وولد الاسلام فمن أراد أن يقتدي فليتعب نفسه فى طاعة الله وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه أمر ببعض التكاليف ثم وفى بها فأدرك منصب الامامة العظمى فلا تحصل المراتب إلا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقال له « لا ينال عهدي الظالمين » فالعهد الخلافة من نبوة وقطبية والامامة الاسلامية « إن الشرك لظلم عظيم » فطالب وجب عليه ترك التعصب والمراء وترك وضع ما رفعه الله فينال رياسة الدارين ومنها ان القبلة لما

حولت إلى الكعبة شق على أهل الكتاب فبين لهم الحق أنها قبلة ابراهيم المجمع على تعظيمه عند عامة الناس ومنها أنه دعى بارسال نبي من ذريته وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيجب على من اعترف بابراهيم أن يعترف بمحمد . فاعلم هنا أن ماذهب اليه هشام بن الحكم وتابعوه باطل فعذر بالجهل والاجتهاد فلا ينفع إلا الايمان واتباع الشرع فإن العقل شيء ضعيف وهو انه زعم انه تعالى فى الازل عالماً بماهية الاشياء وحقائقها اجمالا وتفصيلا لحدوث تلك الماهيات ودخولها تحت الوجود لم يعلمه إلا عند وقوعه نعوذ بالله مما سولت له شبه عقله فلعله تصوره محالا حتى تحققه فأبطله بالنصوص فالله يحققه معذرة له فاستدل بالابتلاء ولفظة لعل وقال لوكان عالماً بالاشياء تفصيلا لزم وجوب بروزها بلا قدرة فإنها لا تنفذ فى الواجب والممتنع [قلت] لا يلزم ما توهمه فإنه وجوب فى الغير والممتنع فى الغير تنفذ فيهما فغير المقدور الواجب الذاتي كوجوده تعالى فلا توجده ولا تعدمه والمحال الذاتي كخلق مثله أو شبهه أو نده أو ضده واما الامكان من حيث هو فجائز فقط وتعلق علمه به على ماهو عليه إجمالا وتفصيلا في الازل صفة ذاته تعالى وإيجاده على ماهو عليه في علمه بقدرته المخصصة بارادته باحد طرفي الامكان كما كنا علمه واجب بتخصيص الارادة القدرة بما علمه وجوباً عرضياً مبنياً على جواز وهو الامكان ومن شبهه أنه لو احاط بعلم الجزئيات لكان له علم غير متناه أو تعلق علمه بغير متناه فلزم حصول موجود غير متناه دفعة وهو محال لان مجموع تلك الاشياء

ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه كالزائد [قلت] انوقض بمراتب الاعداد التي لا نهاية لها وايضاً المجموعية والزيد والنقص خواص المتناهي ففرض هذه الاعراض فيما لا نهاية له محال لكن في علم الحادث فعلم الحادث متعلق ببعض الظواهر فقط ولو نبياً فلا مطمع لاحد أياً كان في الاحاطة بالمعلوم تفصيلا فعلم الله الذى كنا بصدده تنكشف به الحقائق كلها واجباً أو جائزاً على ما هي عليه فلا قياس لعلم القديم على علم الحادث ومن شبهه أن ما لا نهاية له هل يعلم الله عدده اولا فإن علم فهى متناهية وإلا فهو المطلوب عنده [قلت] فكل حقيقة باعتبار علم الله متناه فقولنا إلى مالا نهاية له باعتبار علم الحادث فإن الله خلاق على الدوام «كل يوم هو في شأن» فسبحانه لا يقاس على غيره ولا يقاس غيره عليه فشرط القياس المناسبة ولا مناسبة بيننا وبينه إلا الافضال فما تفضل علينا بمعرفته حمدناه وما لا طلبناه وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فقول من أجاب الاختيار أنه لا يعلم مالا يتناهى [قلت] فإنه غير موجود ولا معقول إلا باعتبارنا فما لا وجود له لا عدد له فضلا ان يعلم ولا يلزم الجهل فإنه حصل في ذاته تعالى الحقائق كلها دفعة واحدة متناهية فلا يتجدد له علم إبداً فإنه جهل فعدم التناهي محال ذاتي له تعالى ومن شبهه ان كل معلوم فهو متميز فى الذهن عما عداه وكل ما تميز خرج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل متناه فليس هو غير متناه استحال أن يكون معلوماً [قلت] فلا يوصف الله بالذهن فإنه مرتبة من مراتب العقل الضعيف

الذى لايستبد بالحكم وهو مقيد بالشرع ومحجور بالله بل ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره متوقف عن غيره عاماً به فلزم الا يعلم حتى يعلم اموراً لانهاية لها فالله الذي هو نور الانوار لا يتناهى في علمنا وهو تعالى خبير عليم بذاته تعالى « لاتدركه الابصار » ولا ذووا الابصار لاستحالته مدة الابد المستمر فالله هو نور النور ومدبر الامور وقد يتعلق علم الخلق بالاشياء قبل وجودها كالنحل تهيء للبرد قبل وجوده إلى غيره كثيراً بالالهام فإبراهيم بالنصب مما يجب فيه تقديم المفعول على الفاعل لئلا يعود الضمير إلى ما بعده لفظاً ورتبة . وعن ابي حنيفة رفع ابراهيم فابتلى عليه بمعنى دعى ابراهيم ربه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه الله ام لا فالكلمات دل عليها اللفظ وهى الخلافة في الارض فيه وفى بنيه إلى قيام الساعة فأجابه الحق بها لكن ابتلاه في البعض ليبلوه ايشكر أم لا ظهوراً للغير وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بانبعاث محمد من أولاده صلى الله عليه وسلم فكلها تكاليف والتكليف بلاء فالنعمة بلاء ليشكر أم يكفر والنقمة بجعل بعض ذريته شهم جهنم بلاء ليصبر أم لا فإن الله فعال لما يريد لا ما يريد العبد فأعباء النبوة أكثر من أن تحصى فيه عظم ثواب نبي على غيره وقد تعب فى بناء البيت مع إسماعيل فالمواقف كلها تعبدية فرمى الجمار بأمر الله لا ارجم الشيطان فالشيطان رجمه الله بأسمائه فيشترط الاخلاص في الدعاء وعدم الحسد وهو غاية الصعوبة فاما ذكر الابتلاء وانه أتمون شرع يبينها تفصيلا

وهو فى غاية الحسن ودخل الفطر وغيرها من جميع ما كلف به بلا تفصيل
فالكلمات شريعته كلها فبلغها وأداها على أتم وجوهها علماً وعملاً وأدباً .
عليه بحالي يغنى عن سؤالي . فمن أراد تفصيلها يحتاج إلى كل حقيقة من
حقائق اعماله واخلاصه وإحكام طريقته فابتلى قبل النبوة بالاستدلال
لنفسه ولغيرها وبعد النبوة بوظائف الرسالة التي هى أشق امر موجود
فإنه حاول ما ألقاه في نار عدوه « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » فدخل
في الخلافة مراتب دونها كالقضاء والخطط الشرعية فيها وفى بنيه « ثم
أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً » فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
امام الانبياء وغيرهم فى حقيقة الاحسان وهو نهاية التوحيد وامر أولا
بالاقتداء باولي العزم من الرسل فى حقيقة الطريقة التي هى مراتب
الايمان ثم كمل به الحق وله الاخلاق الالهية : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .
فلم تكمل قبله في احد وإنما كملت فيه وفي خلفائه بعده فهذه مزية عظيمة
تغبطها الانبياء لانفسهم فلا تقتضي تفضيلا من كل وجه ثم ان لكل نبي
شريعة تخصه ثم نسخت شريعته كل الشرائع فلا شريعة مع شريعته الى
قيام الساعة ثم ان من شرط فى الامامة بمعنى السلطنة النص استدل بهذه
الآية واخواتها « إني جاعل في الارض خليفة ، ياداوود إنا جعلناك خليفة »
[قلت] فهذا الشرط باطل فإنه اريد به النبي وايضاً النص طريقة الامامة
فهل لاطريق لها إلا النص لا دلالة للاية عليه . فوجه عصمة كل نبي انه
لو جازت مخالفته للزم اتباعه فيها ولزم كون الشيء الواحد مأموراً به

منهياً وهو لا يعقل والا نقل به احتمل ما قالوه أو فعلوه ان يكون مخالفة للحكم الشرعي فبطلت به الشرائع كالملائكة فإنهم سفراء الله إلى أنبيائه فلو جازت كخلاف الاولى لتطرق ذلك إلى جبريل امين الوحي وهو غير معقول لفساد نظام الاديان به وأما السلطان فلا تشترط فيه العصمة فإن كلفنا بالمعصية عزلناه ولو في قلوبنا إن لم تؤمن فتنته فلا يعزل ما عظم الله ودينه ولم يامر بمعصية وكفر والا عزل ولو أدى للدماء (قال إني جاعلك للناس إماماً) نبياً متبوعاً فكل نبي بعده امر باتباعه في الاخلاق وان كان لكل نبي شريعة تخصه (قال) ابراهيم عليه السلام (و) جاعل (من ذريتي) بعض ذريتي اجمل فراعى الادب فأتى بخبر صورة وهو طلب وأتى بالتبعيض فإن الله أعلمه ان جميع ما تنسل منه الى قيام الساعة لا يكون اماماً فمال بالكسر بمعنى مؤتم به وان كانوا على الحق فالذرية كل فرع منه من ذكور وبنات الى انقطاع نسل وتطلق على الآباء « انا حملنا ذرياتهم » آباءهم من ذرأ خلق فحذفت الهمزة تخفيفاً أو من الذر الذى هو صغار النمل معناه كل حقيقة انتسبت له أصلا وفرعاً والمقصود هنا الفرع (لا ينال عهدي) بالامامة (الظالمين) من ذريتك فلا ينفع الأصل فرعه إلا بشرط الاسلام كالصحابة فالبغض قاطع المبادين الجانبين وهو نوع من الكفر فبين له ان من أولاده مومناً وكافراً بخلاف سيدنا محمد قطب الوسائل صلى الله عليه وسلم فإنه تلقى من الله ليلة الاسراء أن لا يحرق من تنسل من ذريته بالنار فلزم منه أن لا يكفر واحد من ذريته إلى انقضاء

النسل بل ذريته كلهم اولياء الله تزوى عن كثيرهم ما يطغيهم وهو ترك بنفسه أولاد حبيبه فله جمع له بين الخلة والمحبة فهو خليل الله وحبيبه وابراهيم خليله فلا يفزع الله نبيه فى أولاده واصحابه أبداً « وسوف يعطيك ربك فترضى » فهو هو وادخر دعوته لبقية امته فالله يصلي ويسلم لنا عليه بأتم ما يماثله ربنا له فإنما ينصب الامام لمنع الظالم فكيف يولى ظالماً (و) اذكر (إذ) زمن (جعلنا) خلقنا وصيرنا (البيت) الكعبة علم غلبة كالنجم على الثريا (مثابة) مرجعاً (للناس) فالمومنون الناس وغيرهم النسناس من الحجاج والعمار وغيرهم يثوبون اليه من كل جانب من اعيان الحجاج وغيرهم وامثالهم فى الايمان (وامناً) مأمناً لهم من الظلم وإذاية المشركين « أولم يروا » يعني قريشاً يذكرهم نعمه « أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم » فالمقصود الحرم كله كقوله بالغ الكعبة يعنى الحرام فاطلق اعظام الحرام عليه فلا يتعرض فيه للجاني قبل الاسلام حكماً لا وقوعاً لوقوع ماندر من مثله فهذا توارثوه من دين اسماعيل عليه السلام فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم أو يأمن حاجه من عذاب الآخرة فالحاج يجب ما قبله ويمحو ما وجب عليه قبله من حقوق الله وحقوق العباد من الدماء والمظالم فإن النبي صلى الله عليه وسلم طلبه ليلة مزدلفة فاستجيب فله قال : إن الله قد غفر لاهل عرفات وضمن لهم التبعات. فهو من خصائص هذه الامة بدعوة نبيها . يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ، اذا لقيتم الحاج فسلموا عليه وصافحوه ومروه ان يستغفر لكم قبل أن يدخل الى بيته فانه

فالحج يجب ما قبله

مغفوراً له . قال صلى الله عليه وسلم : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه ، العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة | فربما وقع فى الحرام القتل الحرام والمباح بقلة «ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم» وايضاً امرهم أن يجعلوا امناً من الغارة والقتل قال صلى الله عليه وسلم : إن الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وإنما احلت لي ساعة من النهار وقد عادت حرمتها كما كانت . قال الشافعي لايحل نصب الحرب لغيره فمن وجب عليه حد ضيق عليه الامام فلا يعامل حتى يخرج ويقتل فإن لم يخرج قتل فيه ومن قاتل فى الحرام جاز قتاله فيه . ابو حنيفة لا يستوفى القصاص في الحرام الا ان قاتل فيه فلا يطعم حتى يضطر للخروج فيقتل . احمد لا يستوفى القصاص فيه ولو التجأ القاص في المسجد ويخرج من مسجد آخر ويقتل . وقال البعض تبسط له الانطاع في المسجد اسراعاً للحق (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى) ماض او امر ندب فالمقام الحجر الذي يقف عليه ابراهيم كالسلم عند البناء وعند دعاء الناس الى الحج فأثر فيه قدمه . قال عمر بن الخطاب وافقت ربى فى ثلاث ووافقني في ثلاث : قلت لو اتخذت مقام ابراهيم مصلي . وقلت احجب نساءك . وقلت لنسائه ان انتهيتن أو ليبدلن الله تعالى ارسوله خيراً منكن فنزل الوحي : وفي الخبر: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مامسهما من أيدي المشركين لاضاء [illegible]

من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ « واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى » والارجح عند الشافعي عدم وجوبهما وقيل مقام ابراهيم الحرام كله اومواقف الحج فاتخاذه مصلى يعنى للدعاء وقرأ نافع بصيغة الماضي ومن بمعنى فى . وروى لما اتى ابراهيم باسماعيل مع امه هاجر وأسكنهما مكة فغاب مدة ثم جاءها الجرهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر استاذن إبراهيم سارة في ان ياتى هاجر فأذنت بشرط ألا ينزل فذهب الى بيت اسماعيل فقال لزوجه اين صاحبك قالت ذهب ليتصيد خارج الحرام وقال هل عندك ضيافة قالت لافعيشنا في ضيق وشدة فشكت له فقال فاقرءيه السلام فليغير عتبة داره يعنى فليطلقك فإنك غير صالحة لكونها شحيحة شاكية بربها عند عبده فكل من كان كذلك طلق عند ربه فاستخبرها لما وجد ريح ابيه قالت جاءنى شيخ صفته كذا كأنه تستنقصه فبلغت ماقال فطلقها بعد ان أخبرها بأنه ابوه ابراهيم الخليل فتزوج منهم اخرى فاستاذن سارة أن يزوره فأذنت بشرط ألا ينزل فلما نزل بها قال لها اين صاحبك قالت يتصيد فانزل رحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فأتت باللبن ولحم فسألها عن عيشهما فقالت بخير وسعة فدعا لهما بالبركة فقالت انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه وهو راكب فغسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الايسر فغسلته فبقي أثر قدميه عليه فقال اقرءيه السلام وقولي له أثبت عتبة دارك فإنها صالحة فاستفهمها اسماعيل لما شم رائحة

ابيه فأخبرته وقال هو ابي ابراهيم وأنت عتبة داري فقد أمسكتك ثم جاء فوجد اسماعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبة من زمزم فرحب به فقال له يا إسماعيل إن الله امرني ان ابني ههنا بيتاً فقال اعينك عليه فرفع القواعد فيأتي اسماعيل بالحجارة وابراهيم يبني فلما ارتفع البناء وضع له هذا الحجر فوقف عليه ابرهيم وهو المقام يقولان « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ثم قيل له اذن في الناس بالحج فقال كيف انادى ولم أر احداً فقال له الله عليك بالنداء وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس وصعد هذا الحجر حتى علا كل جبل فجمع الله له الدنيا كالسفرة فنادى يامعشر المسلمين إن ربكم بني لكم بيتاً وأمركم أن تحجوه فأجاب الناس فى أصلاب وارحام الامهات فمن أجاب مرة حج مرة او عشراً احج عشراً . قال عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة والجمار فاقول بأنه هو الحجر اولى (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي) من الاوثان والاقذار وأنواع الآثام فاحفظاه واقراه على طهارته « ولهم فيها أزواج مطهرة » طهرهن الله من الانجاس (للطائفين) الزائرين حوله (والعاكفين) المجاورين المقيمين المستوطنين الاول للغرباء والثاني في أهل الحرم وان اشتركوا فى الطواف والاقامة فالغرباء مزيد اعتناء بالطواف لعظمها لغربتهم (والركع السجود) جمع راكع وساجد المصلين فالنظر الى الكعبة من العبادة قال عليه السلام : إن لله تعالى فى كل يوم عشرين ومائة رحمة تنزل علي هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون

للناظر ، فدخلت المساجد تبعاً فى وجوب التطهير والنظافة فالمسجد بيت الذكر والقلب بيت المذكور فيجب تطهيره من الاغراض الفانية مع ربه بحيث يعبد ربه لما عليه ويستحقه وللملك والتعظيم والقهر والامتثال ومحبة ذات ربه وصفاته واسمائه . سمع عمر صوتاً فى المسجد فأنكر عليه فقال أما تدري أين أنت . وفي الحديث : ان الله أوحى إلي يا اخا المنذرين يا أخا المرسلين أنذر قومك ألا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتى ما دام لاحد عندهم مظلمة فإني ألعنه مادام قائماً بين يدي حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من اوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . فالقلب بيت اضافه إلى نفسه يطهر من دنس الالتفات إلى سواه فتعتكف عنده الاسرار الالهية والانوار الرحمانية فتنزل السكينة والوقار فيسجد العبد لربه حقيقة ويركع ويناجى مع الله بسره (و) اذكر (إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) الحرام (بلداً آمناً) ذا أمن يامن فيه أهله من القحط والجدب والخسف والمسخ والزلازل والجنون والجذام والبرص كسائر المثلات التي تقع في غيرها منسوباً إلى الامن كتامر وهذا الدعاء فى أول انزاله هاجر فلما تبعته قائلة إلى من تركتنا فى هذا البلقع الذى لا ماء فيه ولا نبات فترك جوابها فقالت آلله امرك بهذا فقال نعم فقالت إذاً لا يضيعنا فرضيت ومضى فلما استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال

«رب إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع» الخ (وارزق أهله من الثمرات) فإنه كان بواد غير ذي زرع وفي بعض القصص ان الطايف من مدائن الشام فلما دعا قطعها جبريل من اصلها واطافها بالبيت سبعاً فوضعها موضعها الآن فمنها اكثر ثمار مكة جمع ثمرة من كل ما يوكل من الفواكه والطعام من حيث هو فتجتمع بمكة في كل يوم أنواع النعم فلله الحمد. اعني (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من اهله قاس ابراهيم الرزق على الامامة فإنها خاصة بالمومنين قال تعالى وارزق من كفر فإن الرزق عام لكل عائش وداب فهو رحمة دنيوية فالقطب الخليفة يطلب الرحمة الدنيوية لكل موجود أيا كان نائباً عن الانعام الالهي فنبه الله ابراهيم أن الخليفة لا يقتصر على نوع المومنين فتأدب فأداه ان طلب رحمة الاخرة للكافر «عن موعدة وعدها إياه» فنهي عنه فإنما استخلفه في الرحمة الدنيوية ولا نصيب للكافر في رحمة الآخرة الاختصاصية وإلا فهو موجود مرحوم برحمة الايجاد «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره» فإنه لا تقبل فيهم شفاعة الله فضلا عن الشفعاء «ما يبدل القول لدي» فليتأدب كل احد فليعم الدعاء للمومنين لطلب الرحمة الدنيوية والاخروية فلينته من طلب الرحمة للكافر في الآخرة وعليه جاز ان تقول لكافر أرغد الله عيشك وأطال عمرك واكثر مالك وولدك ولا مغمز فيه فإنه عائد على المسلمين بالرحمة (فامتعه) في الدنيا بالرزق بالسكون من امتع وبالتشديد من متع تمتيعاً (قليلا) مدة حياته برحمة الدنيا إثباتا للحجة

فالدنيا كلها قليلة فما يتمتع به الكافر قليل من قليل فما يفنى قليل باعتبار ما لا يفنى (ثم اضطره) الجئه فى الآخرة (إلى عذاب النار) فلا يجد عنها محيصاً فالاضطرار حمل الانسان على ما يضره الزالة اليه از المضطر لكفره وتضييعه ما متعه به من النعم فلا يمكن الامتناع منه (وبئس المصير) المرجع هو العذاب وقال مجاهد وجد عند المقام أنا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر وحرمتها يوم خلقت السماوات والارض وحففتها بسبعة أملاك حنفاء يأتيها رزقها مباركة لاهلها في اللحم والماء [قلت] فللمؤمن والكافر نصيب من الدنيا من غير ترفيع بها فالرفعة بالتقوى لا غير فمن شغلته النعمة عن المنعم اخذ فالمستدرج إن احدث خطيئة زادت عنده نعمة تطغيه فالعاقل لا يفرح إلا بالله لا بزخاريف الدنيا والآخرة فالاغترار بالزائل ليس من العقل فغير الله باطل وانما خلق لنا دائرة الدنيا والآخرة لنستروح بها فى بعض اللحظات لئلا نذوب بصواعق الجلال والجمال فإنه ما حمى وجودنا إلا شهود فعله تعالى وإلا وقع للكون مثل ما يقع لليل عند شروق الشمس فالضباب رحمة وانما لم يأخذ بغتة ليرى لنا أن العفو أفضل وشفقته وبره فالله يدعو على لسان نبيه إلى دار السلام فقال من أتى الى ضيافتى أكرمته بما لا عين رأت والا عذبته فهو تمام الاكرام فمن قال من أتى ضيافتي اكرمته وإلا فلا باس عليه فالاول اكرم وهو تحضيض والاخر ليس بتمام الكرم وانما عرض فقط كأنه قال كل إن شئت فالله قال كل والا عذبت فالله نحمد ونشكر حيث حتم علينا ضيافته بالرغم

على الانف «والله يدعو إلى دار السلام» فأعطى السيف لرسوله فقال له من لم يجب ضيافتي فاقتله فياله من رحمة وكرم تام. فأجب دعوة الله باختيارك فهو المقصود. فالكعبة الحقيقية والقوافل كلها سائرة إلى الله. فالبلد الجسد والكعبة القلب فالطواف الحقيقي طواف القلب بحضرة الربوبية فالذي يقدر على الطواف الحقيقي هو الذي تزوره الكعبة وتطوف به. من اقبل على الله بكليته اقبل الله عليه واقبل معه جميع خلقه. ومنه الكعبة وفي الخبر: إن لله عباداً تطوف بهم الكعبة. فظهر الفرق بين من يقصد صورة البيت وبين من يقصد رب البيت. تهيأ عارف للحج فقال له ولده أين تريد فقال إلى بيت الله فقال له احملني معك فقال لا تطيق فبكى فحمله فلما وصل البيت مات قال هاتف من زاوية البيت انت طلبت البيت وهو اراد رب البيت فرفع بينهم فقال هاتف انه ليس في حيز الامكان لا فى جنة ولا فى نار بل هو فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. فمن اعرض سره على الجهة فى توجهه الى الله صار الحق تعالى قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام قبلة الملائكة ووسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله اللهم اوصلنا الى العين وخلصنا من البين (و) اذكر (اذ يرفع إبراهيم القواعد) الانيس والجدر تصوير للمخاطب حالته مشاهدة وعيانا جمع قاعدة فالاصل فيها الصفة أي الثابتة فغلب اسميتها من البيت حال ومن ابتدائية لا بنيان والرفع البناء على الاساس واذكر وقت رفع ابراهيم اساس الكعبة. ولما نزل آدم الى

الارض استوحش لسعتها ولم ير فيها عامراً فقال يارب أليس لك في
الارض مسبح ومقدس غيري قال ساجعل من يسبحني من ذريتك
ويحمدني ويقدسني وساجعل فيها بيوتاً ترفع بذكري وسأبوئك منها بيتاً
اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض واسميه بيتي
انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واضعه فى البقعة التى اخترتها لنفسي اجعله
وحوله لك ولمن بعدك حرماً آمناً احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله
فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن احله فقد أباح حرمتي ومن امن
أهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شأنه عظم
في عيني ومن تهاون به صغر فى عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي
وزوارها أضيافي وهو أول بيت وضع للناس واعمره بأهل السماء والارض
ياتونه افواجاً شعثاً غبراً على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون
بالتكبير عجاً ويضجون بالتلبية ضجيجاً فمن اعتمره لا يريد غيري فقد
زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق على المزور أن يكرم زائره
تعمره يا آدام ما كنت حياً ثم يعمره من بعدك الامم فى القرون والانبياء
من ولدك امة بعد امة وقرناً بعد قرن ونبياً بعد نبي حتى ينتهى الامر
الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيئين فأجعله من عمارة
وسكانه وحماته وولايته يكون أمينى عليه ما دام حياً فإذا انقلب الي
وجدني وقد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة
عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته

لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابوه يقال له إبراهيم ارفع به قواعده واقضي على يده عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة واحدة قانتاً قائماً بأمري داعياً الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي استجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابراهيم امام ذلك البيت وأهل تلك الشريعه يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق والجن والانس . وروى أن الله انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرذ شرقي وغربي فتوجه اليه آدم من الهند ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا بر حجاً يا آدم حججناه قبلك بألفى عام وحج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه لكن خطوته ثلاثة ايام فرفعه الله زمن الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور فأمر الله ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وهو بحيال الكعبة اعني البيت المعمور لحرمته فى السماء لحرمة البيت يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك . عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم قط إلا ثلاث كذبات اثنين فى ذات الله «انى سقيم ، بل فعله كبيرهم هذا » وواحدة في شأن سارة قدم بها ارض جبار وكانت حسناء فقال لها انه ان يعلم انك امراتى يغلبني عليك فإن سألك فأخبره بأنك اختي يعني في الاسلام فلم اعلم فى الارض مسلماً غيرى وغيرك فلما اخبر بها واتى بها

قام ابراهيم يصلي فلما وضع يده عليها انقبضت يده فقال ادعى الله ان يطلق
يدي ولا أضرك حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال لصاحبه انما جئتني بشيطان
لا بانسان فأخرجها من ارضي واعطها هاجر فلما أقبلت على ابراهيم قال لها
مهيم قالت خير كف الله يد الفاجر واخدم خادماً فهي ام بني السماء لما ملكتها
سارة ابراهيم فتسرى بها فولدت اسماعيل قبل أن تلد سارة إسحاق
بأربعة عشرة سنة فهي اول من اتخذت منطقاً تخفي به اثرها لما هربت من
سارة فأتى بها ابراهيم مع اسماعيل ترضعه فوضعها بمكة وهي حينه خالية
من الانس وانزلها عند دوحة ولا ماء فيها فوضع عندها جراباً فيه تمر
وسقاءً فيه ماء فرجع فتبعته لمن تركتني آلله يامرك بهذا فقال نعم قالت اذاً
لا يضيعنا فلما غاب عنها عند الثنية قال رب « اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع الى يشكرون » فلما نفد ماعندها التوى ولدها عطشاً
فطلعت اقرب جبل اليها وهو الصفا فنظرت الى ولدها في الوادي فنزلت
الى الوادي فاشتدت للجري حتى وقفت على المروة فلم تر احداً ففعلته
سبع مرات قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو سعي الناس اليوم بينهما . فلما
اشرفت على المروة سمعت صوتا قالت لنفسها مه فسمعت فقالت قد اسمعت
ان كان عندك غياث فإذا هو ملك موضع زمزم فبحث بعقبه او بجناحه
حتى اظهر الماء فحاطته بيديها فتغرف وهو يفور قال صلى الله عليه وسلم :
يرحم الله ام اسماعيل لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً .
فشربت وارضعت فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيتاً يبنيه هذا

الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله فمرت بها جرهم فنزلوا اسفل مكة فرأوا طائراً يحوم على الماء فأرسلوا فرطهم فقالوا لها اتاذنين لنا في النزول قالت نعم بشرط الا حق لكم من الماء قالوا نعم فاما شب اسماعيل تعلم العربية منهم فزوجوه امرأة منهم الى آخر القضية حتى بني ابراهيم البيت فمر عليه دهر فانهدم فبناه العمالقة ومر عليه دهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاب فاختصموا فى شأن الحجر فحكموا اول قادم فأول قادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بأن يجعلوه في مرط فترفعه كل القبائل ففعلوا فأخذه رسول الله فوضعه في موضعه الآن . فالبيت اربعة اركان يمانيان وشاميان لاصقين بالارض وله بابان شرقي وغربي فهدمه السيل قبل المبعث بعشر سنين فبنته قريش فضاق عليهم المال الحلال من النذر والهدايا فاختصروا بترك بعض البيت بجانب الحجر وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم فضيقوا عرض الجدار من الاسود إلى الشامي الذى يليه فبقي من أساسه شبه الدكان مرتفعاً وهو الشاذروان فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة : لولا قومك حديثوا عهد بالاسلام لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابراهيم . فألصقته بالارض وجعلت لها بابين شرقياً وغربياً . فهدمه ابن الزبير ايام ولايته فبناه على قواعد ابرهيم فاما استولى الحجاج هدمه بإذن الملك وجعله على صورته اليوم على هيئة قريش فتقبل الله العمل كونه يرضاه أو يثيب عليه فالاخلاص لا يستلزم ثواباً فله طلبه « واجعلنا مسلمين » أدمنا على الاسلام فلم يزل من ذريتهما

من يعبد الله وهم ائمة فاختصاص الذرية بالاهتمام بالقرابة بعد النفس ولكونهم ائمة الاسلام فإن صلاح الائمة اصلاحت الرعية. فعبد المطلب بن هاشم على دين الحق كزيد بن عمرو بن نوفل وقس بن ساعدة يقولون بالابداء والاعادة والثواب والعقاب ويوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان (ربنا واجعلنا مسلمين لك) (128) انقادين لك فمعناه ان عدي باللام كذلك وهو الاستسلام والانقياد والرضى بالقضاء وإنما طلبا الادامة والزيادة فى الاخلاص وهو تعليم للناس الدعاء للتثبيت على الايمان فاستسلم ابراهيم للالقاء واسماعيل للذبح (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) واجعل بعض ذريتنا امة مخلصة لك بالعبادة والطاعة وفي الحديث: مامن رجل من المسلمين يخلف من بعده ذرية يعبدون الله تعالى إلا جعل الله له مثل اجورهم ماعبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة. واصلح عامة عبادك ببركة أولادنا الائمة فأتى عن التبعيضية لتعليم الله له ان منهم محسناً وظالماً وهو « لا ينال عهدي الظالمين » فحكمة الله تقتضي ألا يخلو العالم من أفاضل وأواسط واراذل فالمقبلون على ربهم الاقبال الكلي المخلصون اعمالهم لمولاهم هم الافاضل فأهل الآخرة الذين يجتنبون المنكرات ويواظبون على الطاعات رغبة فى نيل المثوبات هم الاواسط فأهل الدنيا العالمون بظاهرها وظاهر حياتها الغافلون عن الآخرة فضلا عن ربهم باهتمامهم بعمارة الدنيا وتهيئة أسبابها هم الاراذل الحمقى. وإنما تعمر الدنيا بثلاث زراعة وغرس الثانية حماية وحرب والثالثة جلب الاشياء من مصر

لآخر فمن انكب عنها ونسي الموت والبعث والحساب وسعى لها سعياً بليغاً ودقق في اعمال فكره تدقيقاً بليغاً فهو متوغل في الجهل والحماقة فلولا الحمقى لخربت الدنيا (وارنا) علمنا (مناسكنا) شرائعنا ديننا واعلام حجنا فالنسك في الاصل غاية العبادة وكثر اطلاقه على الحج للكلفة والبعد عن المعتاد كصيد وتمتع بلباس فأجابهما بارسال جبريل فاراهما المناسك فلما وصل عرفة قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات، وقرأ ابن كثير ارنا بسكون الراء والناسك العابد وهو جمع منسك بفتح السين وكسرها فارنا باعتبار طلب تعيين أفعال الحج بصرية او تعيين الاحكام قلبية ويحتمل قصدهما وهو المتعين فاللفظ المشترك يصح حمله على أفراد معناه كالوطىء « وارنا مناسكنا » كل ما نعبدك به اطلاقاً على معانيه قال صلى الله عليه وسلم: خذوا عني مناسككم لا ألقاكم بعد عامي هذا. (وتب) اقبل توبتنا هضماً لنفوسهما وان عصما وإرشاداً لغيرهما وطلبا لغيرهما فله جمعا اعلاما ان المناسك تدحض الذنوب فالعبد وان عصم يطلب قبول توبته ابقاءً للربوبية فتوبة المعصوم واستغفاره تعبد فقط فلا محل البحث عنه فإنه لا تتصور منهم صغيرة ولا خلاف الاولى قبل النبوة وبعدها البتة فلا عبرة بمن لا يعرف مناصبهم النورانية العلية فإياك ان تشير بلسان علمك الى لسان جهل الجاهلين بمقاماتهم فما يظهر منهم كما يظهر في قرص الشمس عند ارادة الانتقام في اهل الجهل والبطالة ثم تشفع اسماء جماله وتشفع بالتضرع الى رحيمنا فيزال ما نرى مع صفاء قرص

الشمس جاء الله ايها المفسرون في نقل الحكايات الباطلة فلم يفرط منهم
شيء نعقله قطعاً قال صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس توبوا الى الله فاني
اتوب في اليوم مائة مرة [قلت] تأسياً به (إنك انت التواب الرحيم) لمن
تاب فلفظ المبالغة في غير محله فصيغة المبالغة و التفضيل في حقه تعالى غير
مراد اي القابل من رجع اليك دائماً فالرحيم صفة مشبهة من رحم بضم
العين بعد التحويل من رحم لقصد مبالغة في الحمد لا صيغة مبالغة اعني
قبل النقل واما بعده فهو علم على كل نعمة الاختصاص بالايمان ونتيجة
فكل نعمة نتيجة الايمان وكل استدراج نتيجة الكفر وان كان الكافر
منعماً عليه بالايجاد والامداد فباعتباره تعالى انعام وباعتبارهم استدراج
فقط (ربنا وابعث فيهم) في المساهمين من اولادنا (رسولا منهم) من
أنفسهم يعنيان محمداً فإنه هو الرسول المطلق إلى كل ملك الله فقيل له قد
استجيب لك وهو محمد في آخر الزمان [قلت] ثم في آخرية الزمن [اتصال
العمل بشريعته إلى قيام الساعة تكليفاً وبأجزاء الدهر تشريفاً . فالانبياء في
الآخرة على اثره فآخر الامة اكثر شمراخاً لدخول الانبياء مع اممهم
في دائرة حيطته وحقية طريقته فما أحد يتمنى بعد ان علمت مرتبته
للانبياء بالشفاعة العظمى الا ان يتحلى بطراز شريعته تشريفاً وتكريماً لهم
به صلى الله عليه وسلم فإنهم رأوه كما قالت عائشة : كانك قد خلقت كما تشاء .
أرى المولى يسارع في رضاك . « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وفي
الحديث : إني عند الله مكتوب خاتم النبيئين وان آدم لمنجدل في طينته

وساخبركم بأول امري إني دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التى رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام . قال ابن عباس كل الانبياء من بني إسرائيل إلا عشر نوح وهود وشعيب وصالح ولوط وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم [قلت] يعني أراد ان يبينهم للناس حالته وإلا فاول الانبياء آدم ثم شيث الى آخر من قصه الله او من لم يقصه فالكلية غير مرادة فشرف الله الخليل حيث اجرى ذكره في السنة امة الرسول الذى طلبه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابرهيم وهو « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » يعني فى امة محمد فابراهيم أبو الملة « ملة ابيكم ابراهيم » فمحمد صلى الله عليه وسلم أبو الرحمة بالمومنين يعني من حيث هو رءوف رحيم « النبيُ أولى بالمومنين من انفسهم » فدخل الانبياء واممهم . إنما انا لكم مثل الوالد لولده . يعني فى الرحمة والشفقة فابراهيم منادى الشريعة « أذن فى الناس بالحج » ومحمد منادى الدين « سمعنا منادياً ينادى للايمان » فابراهيم برىء من الشرك « إني بريء مما تشركون » ومحمد بريء ومتنزه عن جميع الاكوان « ما زاغ البصر وما طغى » فذكر إبراهيم صفاته صلى الله عليه وسلم وهى (يتلوا عليهم آياتك) يقرءُ عليهم القرآن ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة قال صلى الله عليه وسلم اوتيت القرآن ومثله معه وثانيها (ويعلمهم الكتاب) القرآن معانيه وحقائقه فالتلاوة مطلوبة لبقاء لفظها على ألسنة

أهل التواتر فيبقى مصوناً من التحريف فإن لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولاسيما في الصلاة لكن الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام وثالثها (الحكمة) الاصابة فى القول والعمل جميعاً فلا يسمى حكيما إلا بالامرين فيضع كل شيء موضعه فالحكمة التخلق بأخلاق الله قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الله فهي معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وهو عين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فله ذكر الكتاب ثم تعليمه ثم الحكمة وهو شيء خارج عنهما بالاعتبار وإلا فهي مراعاة مقاصد القرآن فقط وهى الفصل بين الحق والباطل من الحكم او الكتاب والآيات المحكمات والسنة المتشابهات يقراها ويفهم معانيها الحكيم من النبي ومن امته فالحكمة كل ما تكمل به النفوس من المعارف الحقية والاحكام الشرعية فكل كلمة وعظتك ودعتك الى مكرمة ونهتك عن قبيح فهي حكمة والرابعة (ويزكيهم) يطهرهم من دنس الشرك وفنون المعاصي بحسب قوتهم العملية فإنما يتم الارشاد بأمرين التحلية والتخلية فيجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليحظى بها المتعلم كما يجب عليه التحذير عن النقصان ليحترز منها بما يفعله صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير والتسبب بأمور الدنيا لتتقوى بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح فله مدحه ربه « وإنك لعلى خلق عظيم » ومن التطهير احلال الطيبات وتحريم الخبائث فمقتضي تعليمهم احسنه إشهله

لهم بأنهم عدول لكمال تربيتهم بالقرآن يوم القيامة ويكون الرسول عليهم شهيداً . فالتزكية طاعة الله والاخلاص فختم بالثناء على الله المتفضل بالرسول (إنك أنت العزيز) القاهر الغالب على ما يريد أراد تشريف الرسول وامته وان حسدته السفلة من المستهزئين من كل نوع وهو المانع الذى لا مانع ولا تصل اليه الايدي ولا شيء فإنه لا مماثل له ولا ند ولا ضد (الحكيم) فلا تفعل إلا ما تقتضيه الحكمة وتدعوه المشيئة وهو ما علمه علماً قديماً أزلياً فلا يوجد إلا ما علم فالعلم ومعلومه قديم فلا تغيره القدرة فالمحبوب له هو عين ما علمه وهو انه كنز لم يعرف فأحب أن يعرف بوصفي كرمه وعزه وهما الاحسان إلى أحبابه ظاهراً وباطناً والانتقام في اعدائه ظاهراً فقط فبالاحسان يحبه خلقه فالنفس تميل الى من احسن اليها وهو الله فقط وبالانتقام يهاب ويخاف مقامه فلو انتفى احدهما انتفت الحكمة فهو مما لا يتصور فالاسم الجلالي المحض يطلب الكافرين فهم مظاهره فلا بد لكل اسم من مظهر والا تعطلت وهو محال لم يرد فالاسم الجمالي المحض يقتضي المومن المعصوم و الاسم الذي له وجهتان فالغالب الجمال يقتضي العصاة المغفور لهم بلا اتعاب بل بوضع كنف اسم الله وهو الستار عليهم فالغافر يغفر و يشفع عند الستار فيضع الستار كنفه فالاسم الجمالي الذى غلب عليه الجلال كالقهار بمعنى جابر الانكسار بعد نوع من اتعاب بزجر او بدخول نار يتجلى بطلب العصاة بالفواحش التي لم يتب منها فيسكره الاسم عن التوبة حتي يجري عليه

الوعيد ثم يشفع فيه الجمالي منه وهو شفاعة ارحم الراحمين وإياك أن تقول لم اوجع الصبيان والبهيمي فإنه الحكيم وغير الله مقتضى حكمته فلا تحاقق فإن العقل جسور جهول ضعيف فلا تاثير لغير الله البتة ولا حكم لغيره ولا حكمة تظهر الا منه فما عاينته هو عين حكمته فلا تعرف الحقائق الا بأضدادها فلولا الاغيار ما ظهرت الاسرار فأسرار الله في خلقه (ومن) لا (يرغب) يكره أحد ويزهد (عن ملة) دين فباعتبار الاملاء ملة وباعتبار إظهار الاحكام شريعة وباعتبار التدين دين (ابراهيم إلا من) بدل من احد موصول الذى او شخص نكرة (سفه) جهل (نفسه) حيث لم يعتبر حدوثه وأن له صانعاً غالباً فعبد غير ربه نزلت لما دعى عبد الله بن سلام رضي الله عنه ابني اخيه سلمة ومهاجراً قال لهما قد علمتم نسخة التوراة: انى باعث من ولد اسماعيل نبياً اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون. فأسلم سلمة وأبى مهاجر. من عرف نفسه فقد عرف ربه. أوحى الله لداوود اعرف نفسك واعرفني فقال كيف قال اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والبقاء. فسفه ان كان لازماً تضمن جهل وان تعدى امتهنها واستخفها فأصل السفه الخفة في الحديث فالكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس. فإن رغب عما لا يرغب عنه عاقل فقد بالغ فى تعجيز نفسه وبخسها بمخالفته كل نفس عاقلة فقد اهلك نفسه وأوبقها وأضلها. وفيه توبيخ لليهود وكل كتابي فإن أعظم ما يفتخرون به ابراهيم انتماء ثم انهم لا يومنون بدعوته

وهو في التوراة أعظم كتبهم «يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد» فهذا كلام عيسى الحاكم على الكتابيين فملة ابراهيم اصول التوحيد فنبوة محمد من جملة الاصول التي عليها ملة ابراهيم فهما حقيقتان متحدتان اصولا فلم يرغب محمد صلى الله عليه وسلم عن ملة ابراهيم بل رغب فيها واتبعها «أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً» مستقيماً معها بتشييد اركانها واظهار مناسكها وأيدها بما خصصت به. فاعلم أن اول موحد وحامد وشاكر ومتعين في عالم الظهور من حضرة الطمس والعمى الرباني فالعمى ضد البصر وضد العلم وهو الذات الغير المحاط به علماً وذوقاً هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو عليه إمام الانبياء والخلائق أجمعين فهو نبيهم باعتبار التوحيد ثم إنه امر بالاقتداء بالانبياء قبله لمقام السبقية الطينية العنصرية فسبقيته لهم روحاني ثم أتم الله فيه من الاخلاق ما لم يجتمع ولو في جميع الانبياء بعثت لاتمم مكارم الاخلاق. وهو الطريقة تخلقاً بأخلاق الله وإنما اجتمعت الاخلاق الالهية فيه. وفي خلفائه من بعده ثم إن لكل نبي شريعة تخصه فنسخ الله بهذه الشريعة جميع الشرائع فهو امامهم في حقيقة الاحسان والمقتدى بهم في حقيقة الطريقة والمستقل ناسخاً بشريعته فما اسفه من رغب عن ملته بينه تعالى تبييناً لسببه (و) بالله (لقد اصطفيناه في الدنيا) من بين سائر الخلق في زمان عالمه بالنبوة اخترناه للرسالة دون غيره زمنه وعرفناه الملة الجامعة لاشتات التوحيد إلى قيام الساعة فقال بما علمناه منزلة الجملة

(وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) المستثنين بسنة محمد عبدى الذى أسريته
إلى حظيرة قدسي فبشره بأنه يموت على حسن الخاتمة وانه لمن الصالحين
فى الدارين فلا يرغب عن ملته الا هالك فكم من صالح فى أول أمره هالك
فى آخره لفساد طويته باطناً كابليس وبلعم وبرصيص وقارون وثعلبة
اذكر يا أكرم خلقي (إذ) زمن اصطفيته وهو زمن (قال له ربه أسلم)
أخلص دينك واستقم على الاسلام حين خرج من الغار ونظر الى النجوم
فألهمه ربه الاخلاص قبل البلوغ عند استدلاله بالكواكب والقمر
والشمس والاستدلال بافولها على حدوثها وتغيرها وأن لها رباً يغيرها
(قال أسلمت لرب العالمين) مصالح كل ما عليه علامة الحدوث ومحدثهم
وهو كل ما سوى الله فسلم قلبه ونفسه بامتثال أمر ربه وسلم ولده وماله
فلما قال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما إليك فلا فقال الا تسئل
ربك فقال علمه بحالي يغني عن سؤالي [قلت] قاله في مقام انمحقت فيه
الاسباب والوسائط وهو مقام الحقيقة الصرفة معاينة لسيوف قيومية حكمة
ربه فلو كان حاله فى مقام الشريعة لسأل بلسانه اتباعاً للشرع لكن اصطلم
حينئذ في امواج بحور أقدار الحقيقة فأفناه الله عن نفسه وعن الكون
فصار الكون عنده هباء لا تاثير له البتة لمعاينته مخالب الاقدار فارتدت
النار إلى اصلها الماء الذي خلقت منه الاشياء وأصله نقطة عرقية روح
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاعتقه ربه لما انفنى بالله عنه ما سواه فآنسه
من احبني فليصبر على بلاءى فالايمان صفة قلب والاستسلام صفة الجوارح

فكان ابراهيم عارفاً بقلبه في مقام النبوة فكلفه في مقام الرسالة بعمل الجوارح فخصص الرب ككل قصة ابراهيم إشارة إلى ان طريق ادلته الى ربه المربوبات ثم وصل به إلى الرب فأما طريقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فابتداء نظره من الله « فاعلم أنه لا اله الا الله » فابراهيم طريق المحبين المريدين « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ومحمد طريق المجذوبين الجامعين بين الجذب والسلوك فلا تشغله شريعة عن حقيقة ولا حقيقة عن شريعة بل جمع ابتداءً بين الابحر كلها وهو احسن « أو لم يكف بربك أنه على كل شهيد » فهو مقام الاكملية

وانى وان كنت ابن آدم صورة » « فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

فابراهيم ابو الانبياء في الصورة وسيد الانبياء محمد ابوه في الحقائق رحمة فميم محمد اشارة الى تمام الدائرة به فلا نبي بعده ولا حاكم إلا بشرعه فبه تمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمة واندرجت الحقائق في ميمه. فولد ابراهيم في زمن نمروذ وهو اول من وضع التاج على رأسه ودعى الناس الى عبادته وله كهان ومنجمون فذكروا له انه يولد في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض فتهلك أنت وملكك على يديه فذبح أولاد سنته فلما تمخضت ام ابراهيم فرت فولدته في نهر يابس فوضعته ملفوفاً في خرقة في حلفاء فأخبرت أباه فحفر له سرباً بيتاً في الارض كالمغارة فسد بابه بحجرة مخافة السباع فتختلف اليه امه ترضعه فاليوم منه كشهر غيره فلما شب في المغارة بعد سبع سنين قال لامه من ربي قالت أنا قال من ربك قالت ابوك فمن رب أبي قالت اسكت فرجعت الى ابيه فقالت أرأيت

الغلام الذي تحدث أنه يغير دين اهل الأرض فهو ابنك فلما وصل الليل نظر فى خلال الصخرة السماء فتفكر فى خلق السماوات والارض فقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني هو ربي لا اله غيره ثم استدل بأفول الكواكب من باب تصوير المحال ليبطله بأسنة الحقائق حتى قال لا أحب الآفلين فلم يضره «وتلك حجتنا» وهى تصوير الباطل ليدمغه بصواعق الحق وهو مقام الفقهاء عن الله بالتثبت حتى تتميز الحقائق فهو عارف بقلبه ربه وحده لا شريك له فبمعرفته استدل لنفسه ثم لغيره فلو لم يوفق أصالة ما وجه فكره الى طلب الحق ووصوله ولاسيما وهو صغير فأذن الحق تعالى أن يتفكر كل عاقل موفق حتى تتجلى له الحقائق فكل نبي بعده إنما يقطع شبه الضالين بحجة ابراهيم «فبهت الذى كفر» فى الانفس والآفاق «وفى انفسكم أفلا تبصرون» فكل من عبد غير الله سفيه جاهل وانما نال ابراهيم ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه (أسلم) نفسك الى الله فلا تذكرها بقلبك وانسبها لمن خلقها فهو أولى بها واشتغل في كليات اعمارك بما طوقته من الأحكام الشرعية وفوض امرك الى الله ف (قال اسلمت) فوضت علمت بأن الامور كلها منك فلا منة لغيرك علي الا منة الوسائط والاسباب فقط وهى منة الشريعة فالخلة من التخلل بين الشيئين فلا جرم انه واسطة فى الطريقة «أن اتبع ملة ابراهيم» فهو الواسطة لرسولنا نسباً وطريقة لجده وآباؤه على طريقته وهو مامور باتباعه فهذا معني كونه خليلا واسطة بينه وبين عباده فالمحبة من الجمة

وهى خالص كل شيء حبة القلب خالصة فلا جرم كان سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم النبيئين خالص صفوة الرب تعالى وحبيب رب العالمين
وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر
آخر العمل قال صلى الله عليه وسلم : أول ما خلقه الله نورى ، أنا اول من
ينشق عنه قبر ، آدم ومن دونه تحت لواءي ، أنا سيد المرسلين ولا فخر
محمد صلى الله عليه وسلم ابو الحقيقة وإن كان ابراهيم ابا الطريقة
فالحقيقة لكونها مقصودة بالذات اقوى من الطريقة فوقعت الصلاة على
ابراهيم تبعاً للصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فلا تصح الصلاة الا
بالصلاة أي لا تكمل على سيدنا محمد بخلاف غيره ووصى قرئ (وأوصى (132)
بها) بالملة والكلمة اسلمت لله فهذه التوصية رسالة وتبليغ لغيره لما بين ربنا
بأنه كمل عنده بالله بين أنه مكمل لغيره فأوصى ووصى بمعنى وصاه يعني
وصل بينه وبين بنيه باتباع الحق فالوصية عند قرب الموت اهتماماً بشأنه
(ابراهيم بنيه) أولاده الذكور الثمانية اسماعيل وامه هاجر واسحاق وامه
سارة وستة امهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية بعد وفاة سارة وهم مدين
ومدائن وزمران ويقشان ويشيق ونوخ فنهاهم أن يموتوا غير مسلمين
وقيل اربعة وقيل أربعة عشر (ويعقوب) بنيه اثني عشر رجلا روبيل
وشمعون ولاوا ويهوذا ويشبوخور وزبويولن وودان ويفتوني وكودا
واوشير وبنيامن ويوسف (يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا
وأنتم مسلمون) نهاهم عن ترك الاسلام أي محسنون بربكم الظن قال صلى

الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام: لا يموتن احدكم إلا وهو يحسن الظن بربه. لما دخل يعقوب مصر وجدهم يعبدون الاصنام فقال لبنيه اثبتوا على الاسلام وخص بنيه لانهم الاحق بها اللهم ارشد الأمة. فلما نزل « وانذر عشيرتك الاقربين » جمعهم فقال يابني كعب بن لؤي أنقذوا انفسكم من النار يابني مرة بن كعب إنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد شمس أنقذوا انفسكم من النار يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً. يعني لا اقدر على دفع مكروه عنكم ان اراد الله إن يعذبكم وانما اشفع لمن اذن لى فيه الله ترغيباً في الايمان والعمل لئلا يتكلوا على النسب والقرابة فلا بد من الوصية والتحذير فى باب الدين فإن الانسان ان انس بأهل الشر يخاف عليه أن يتخلق بأخلاقهم ويعمل عملهم فيجره الى الهوى الى الهاوية فحسن الظن بالله انما يعتبر بعد إصلاح الحال بالاخلاق والاعمال فإن احسن الظن أحسن العمل والادب (أم كنتم شهداء) فأم إن لم يتقدم لها همزة صارت للاستفهام فالهمزة للانكار أكنتم شهداء جمع شهيد بمعنى حاضر أكنتم حاضرين (إذ) يعني لا (حضر يعقوب الموت) امارته وأسبابه نزلت حين قالت اليهود ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى ماكنتم حاضرين (إذ) بدل من إذ حضر (ما) أي شيء (تعبدون من بعدي) بعد موتى تقريراً لهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما معناه لا تقصدوا بعبادتكم إلا وجه الله ورضاه فلا

تشغلكم الاغراض مع الله والدنيا والرياسة فكل ما قطعك عن الله طاغوتك « واجنبني وبني ان نعبد الاصنام » ان نخدم ما دون الله فكل غرض شغلك عن حب ذات الله تعالى كالصنم فإنما يعتبر في الاعمال النيات وهي السبب الحامل على العمل فإن حمله عليه جنة فقط صارت صنمه وهو لايحب ان تكون رقاً لغيره فإذا اثرت فيهم الوصية اجابوا بأنهم محبوبه (قالوا نعبد) نتذلل غايته ونقصد كل ما يهمنا ونتواضع (إلهك) المعبود الحق المجمع عليه الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد وهو الكامل من كل وجه بتنزهه عن كل نقص فلا يتصور عقلا وشرعاً ان يكون إلا واحداً وهو الذي نخصه بالعبادة (وإله آبائك ابراهيم) فهو جده إسماعيل عمه عم الرجل صنو ابيه لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنو النخلة وإسحاق هو ابوه فإبراهيم عطف بيان قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بقية آباءى فى العباس قال الشافعى إطلاق الاب على الجد مجاز فله لا يسقط الاخوة والاخوات للاب والام وبه قال مالك وابو يوسف ومحمد وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة حقيقة يسقط ميراثهم تبعاً لابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاووس وعطاء (إلهاً واحداً) بدل تصريحاً بالتوحيد ودفعاً للتوهم الناشيء من المضافات نعني إلهاً واحداً فاخذ ان التوحيد إنما يكون بالتعليم فإنهم لم يقولوا انما نعبد الإله الذى دلت العقول عليه [قلت] فوجود الله بديهى لكل مخلوق الهمه الله وجوده تعالى « افي الله شك »

وطريقة التوحيد انما هي بالشرع ثم قال بالعقل يعني المنور بالشرع وهو الشرح والتوفيق فلا حكم لغير الله البتة في الاصول والفروع وطريقة العقائد طريقة شرع وعقل بعد الهداية وان لم يهتد بالعلم فهو رجس نجس «انما المشركون نجس» اعتقادهم الناشيء عن شبه عقولهم الفاسدة (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد يعني لم يحضر اليهود وقت موته فكيف يكذبون على الانبياء وانما اوصى بالاسلام وربما توجه الخطاب المؤمنين يعني ما حضرتم وقته وإنما قصصت لكم وبينت على يد رسولي فاحمدوني واتبعوا طريقة الانبياء بالعمل الصالح بالادب فلا يكن همكم تعلم القصص فقط فقولوا ما قال بنو يعقوب وتعاهدوا أولادكم في شان التوحيد كيعقوب فأنتم مكلفون بالوصايا والمواعظ الحسان وهو قوله (134) (تلك) للانبياء (امة) مهتدية احرزت رضى ربها بالادب في عملهم ونياتهم (قد خلت) مضت ولم يبق الا أثرهم فاتبعوهم (لها ما كسبت) ثواباً فاثبت الكسب لهم وهو مباشرة الفعل من غير تاثير الا باعانة الله بالاقدار لاحول ولاقوة استغراق نفي جنس الحول والقوة للعبد إلا لله بإعانته فالذى باشره بإعانة الله هو الكسب فالمنفي حول بغير إعانة وهو فعل الايجاد فإنما هو لله فقط وفي الآية وعيد لمن لم يعمل بعمل الانبياء: إيتوني يوم القيامة بأعمالكم لابأنسابكم فإني لاأغني عنكم من الله شيئاً. من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه فالمقدور والقدرة كلاهما واقعان بقدرة الله أي بذاته الموصوفة بصفة القدرة فالشيء المتحصل بخلق الله وهو

متعلق القدرة الحادثة هو الكسب فقدرة العبد صالحة للفعل لكن استقلت قدرة الله بالايجاد فلم يبق لها محل للنفوذ فالمقدور من حيث هو مقدور مشغول بقدرة الله إذ لا فعل لغيره تعالى وإنما نسب له الفعل شرعاً لا حقيقة بل مجازاً بسبب الارادة والتوجه له بنية اظهاره فالقاتل نوى القتل وليس على يديه روح المقتول فلو لم يرد الله قتله ما قتله فهو فاعل لاسباب القتل شرعاً فالفعل الشرعي ظاهراً هو الكسب وليس له في الحقيقة تأثير لانه لو منعه الله ماقدر فهو قاتل ظاهراً ونية مع علمه انه ان لم يقدره الله ما فعل وغير قاتل باطناً لانفراد الله بالفعل من حيث هو وهو مجبور باطناً فالاختيار عند الماتريدي عين ارادته الفعل وتوجيه الاعضاء له فيتكون بإقدار الله (ولكم) فقط (ما كسبتم) لاكسب غيركم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) لا تؤاخذون بسيئات الامة الماضية «ولا تسئلون عما اجرمنا» ولا تثابون بحسناتهم فلكل اجر عمله لما قالت اليهود اليس الانبياء آباءنا فرد القرآن عليهم وانما ينفعهم اتباعهم في الاعمال والايمان «فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم» الا بالتقوى فالافتخار بمثله كالافتخار بمتاع غيره وهو الجنون والحمق قال صلى الله عليه وسلم: من قال لا اله الا الله مخلصاً دخل الجنة. فالاخلاص أن تحجزه عن محارم الله فالخلاص بفضل الله لانه منوط بالاعمال الصالحة فالقرابة لا تغني شيئاً ان فسد العمل «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» فانظر الى آدم وقابيل وهابيل (وقالوا) يعني أهل الكتاب (كونوا هوداً أو

نصارى تهتدوا) نزلت في رؤساء اليهود ونصارى نجران فنصارى نجران
أسلموا عام العشر كل يقول نبينا أفضل وديننا اصح وكفروا بمحمد بعد
ان استيقنوا رسالته اليهم في كتبهم ان فهم تحيد والهداية من الضلال (قل)
لهم يا أكرم خلقي رداً وبيان ما هو عين الحق لا نكون ما تقولون (بل)
نكون نتبع (ملة ابرهيم حنيفاً) مائلا عن الاديان الباطلة التي زاغت
بها عقول الممتنعين من اتباع الحق محمد ودينه فكل ممتنع من اتباعه غير
حنيف بل مائل عن الحق الذي هو اتباع محمد (وما كان من المشركين) تعريض
لاهل الكتاب وغيرهم من كل من ادعى ملة ابراهيم وهو على الشرك
والكفر فاشراكهم قولهم عزير بن الله وعيسى ابن الله فدين ابراهيم ما
عليه محمد وأتباعه فقال اليهود بالتشبيه والنصارى بالتثليث فالكل غير
136 ملة ابراهيم (قولوا) ايها المومنون (آمنا بالله) وحده (وما انزل الينا)
من ربنا من القرآن والحديث الذى هو سنة الرسول (وما انزل الى
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب و) إلى (الاسباط) جمع اسبط اصله
شجرة لها اغصان وهم أولاد يعقوب فإنهم حفدة ابراهيم فالآية تفيد رسالة
الاسباط ونزول الصحف لهم اما حقيقة فالله أعلم به واما لانهم مامورون
باتباع صحف ابراهيم فهو مجاز (وما اوتي موسى) التوراة والصحف
والسنن (وعيسى) من الانجيل والسنن (وما اوتي النبيئون) جملة ذكروا
في الآية ام لا (من ربهم) حال (لا نفرق بين احد) من رسله (منهم)
(و) الحال (نحن له) لله فقط (مسلمون) مخلصون الفعل له وحده ارسال

الانبياء وانزل كتبهم فينسخ مايشاء بما يشاء عما يشاء لما يشاء بيد ان الذى توجهت الينا رسالته وامرنا باتباعه والاستمداد من سره خاتم النبيئين فلا نلتفت عنه لغيره وان آمنا بهم وبشرائعهم لنسخ سيدنا محمد جميع الشرائع فلا استمداد إلا من الشريعة الباقية ببقاء الابد : بعثت انا والساعة كهاتين. اشار إلى استمرار شريعته في الدنيا والآخرة وبشريعته يسجد اهل الآخرة من اهل الاعراف وغيرهم ككل نبي فهو الشفيع في الانبياء وغيرهم (137) (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) وهو الدين القويم فهو تعجيز وتبكيت والزام الخصم والجاؤه إلى الاعتراف بالحق بارخاء عنانه يعني فإن وجدتم ديناً اصح منه فاتبعوه يعني فلا وجود له وهذا ماخوذ من مثل وقرأ ابن عباس بما آمنتم به وعليها فإن آمنوا بعين هذا الدين (فقد اهتدوا) والا ضلوا كما اهتديتم وحصل بينكم الاتفاق (وإن تولوا) أعرضوا عنه جملة او آمنوا بالبعض دون البعض كما هو ديدنهم ودينهم (فإنما هم) مستقرون (في شقاق) خلاف بعيد من الحق فالشقاق ماخوذ من الشق وهو الجانب يعني في جانب الباطل وانتم في جانب فلا موافقة او من شاق مشاقة إذا خالف كأن كلاً يطلب مشقة صاحبه ثم ملأ الله احبابه المومنين وفرحهم بوعد النصرة قريباً فالقرب اتى بالسين الدالة على تحقيق الوقوع البتة (ف) بسبب عنادهم وجحودهم (يكفيكهم الله) وقد كفاه اياهم بقتل بني قريظة ونفي بني النضير وضرب الجزية عن الكتابيين ومجوس هجر كنصارى نجران حتى اسلموا (وهو) الله لا غيره (السميع)

لاقوالكم ولاقوال نبيه حيث يدعو الى التوحيد حرصاً على اسلامهم فيستجيب له ويوصله الى مراده (العليم) وهو العليم بإخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة ويعاقب المعاندين فيعاقبهم عليه وهي من معجزات القرآن اخبر بما سيقع فوقع (صبغة الله) 138 صبغنا الله بالايمان والاخلاص والتوحيد وهو مفعول بفعل محذوف أو بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء إلزموا صبغة الله لاكصبغة من يغسل المولود يوم سابعه بماء أصفر نيابة عن الختان وهي فعلة النوع من الاصباغ وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها شبهت الخلقة السليمة التي يستعد بها المؤمن للايمان بصبغ الثوب في الحلية والزينة يعني قولوا حمداً لربكم خلقنا الله على الاستعداد للحق وطهرنا الله تطهيره بالايمان من أوضار الكفر وسمي الدين صبغة لظهور هيئته عند صاحبه فماء المسلم ودمه ظاهر «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» فمن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ومن) لا (أحسن من الله صبغة) استفهام بمعنى الجحد ومن صبغته أحسن من صبغته فلا يوجد فإنه تعالى يصبغ بالايمان فدخل في الصبغة الختان وكل فطر إسلامية كمالية من وضوء وطهر وحسن خلق وعزم وحسن سمت وتمام نظافة وتعميم وتوفير لحية : تعمموا فإن العمائم تيجان العرب ، إن الله نظيف فتنظفوا حتى تكونوا كالشامة البيضاء في وسط البعير الاسود . فموت المومن على غير الايمان نادر كالكبريت الأحمر فلا وجود له لعصمة هذه الامة من الكفر بسريان قوة عصمة نبيهم كما عصم اجماع الامة عن الخطإ فمن صبغ الله قلبه

بالايمان لا يقبل غيره أبداً فالصبغة هي الأنوار القارة في الاعضاء والقلب والروح والاسرار والخفا والاخفى فلا يكمل الايمان إلا إذا صبغ كصبغ الثوب فالثوب ابتداءً يقبل الصبغ فقبوله هو عين الفطرة التي فطر عليها كل مولود فأبواه يعني أولياءه هم الذين يصبغونه زمن صغره على مقتضى صبغتهم من إيمان وكفر فإن الثوب يقبل الالوان ككل نفس تقبل ما طبعت عليه «يخرجهم من الظلمات الى النور» من مس صبغ الظلمات التي يقبلها المفطور ظاهراً يخرجهم من النور الى الظلمات. يخرجهم إبليس من مس النور الذى يقبله إلى مس الظلمات فإن المفطور يقبلهما فقبل البلوغ والتكليف بالبعثة يقبل المتضادات ثم لا حكم قبل التكليف «نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم» وفى الحديث: لو كشف عن نور المؤمن العاصي لاضاء ما بين المشرق والمغرب وانما انحجب عنه ليتم وعده ووعيده. قولوا (ونحن له) لا غير من سلك مسلكنا لله قدم اهتماماً (عابدون) شكراً له فى سائر نعمه وهى كل ما برز من ذاته تعالى فكل ما خلقه الله نعمة لنا فالايمان وذياره نعمة والمؤمنون نعمة وأعلاهم الانبياء والكفر ان ظهر فى غيرنا فنعرف به حقيقة الايمان والكفار نعتبر فيهم جلال ربنا فنحمد ربنا على مقامنا الذي اكرمنا به ربنا فهم مظاهر جلاله والمؤمنون مظاهر جماله وآلائه وإحسانه فكره لنا الكفر والفسوق والعصيان فنشاهد الفعل منه تعالى إيجاداً وامداداً واحسننا الصبغ اعز أنبيائه وبأبلغ كتبه وبأعز متانة امة نبيه فنحمده لذاته ولصفاته وأسمائه

وأفعاله ومظاهر وصفي كرمه الاحسان والانتقام فنعبده محبة ذاته واستحقاقاً لان يعبد وشكراً لنعمه وامتثالا لامره لاغير فلاجله قدم اللام لا لاشوق الجنة ولا لخوف نار وانما نحب الجنة لانها محل أحبابه وجماله لا لذاتها . فالحب في الله يعني جنس الحب لا يكون الا في ذات الله فالمحبوب واحد وهو ربنا فما أظهر حبه أحببناه لحبه ولامره لا بحبه فنحن له وما اظهر كراهيته كرهناه لذاته لا لذواتنا فنحن تبع لامره حباً وبغضاً فياعجباً لضعيف فالانسان اضعف الخلق عصى قوياً وهو الله لكن إن صحح الانقطاع إلى الله ارضى عنه الخصوم قال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة واجتمع الخصوم على ولي الله وكل لكل منهم ملكا يقول لا تروعوا ولي الله فإن حقكم اليوم على الله تعالى . فطريق المقتصدين الصيام والقيام وطريق الاولياء قطع العلائق واتصال بخدمة الخالق . فاما قالت اليهود نحن اهل الكتاب الاول وقبلتنا أقدم فلم تكن الانبياء من العرب ولو كان محمد نبياً لكان منا رد الله عليهم بقوله (قل) لهم (أتحاجوننا) أتخاصموننا (في) شأن (الله) ان اصطفى محمداً من العرب دونكم حيث تزعمون انكم أولى بالنبوة دوننا . فالمحاجة المجادلة ودعوى الحق واقامة الحجة على ذلك من كل واحد فالهمزة للانكار والتوبيخ لانهم يدعون ألا دين يقبل إلا دينهم « لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى » « كونوا هوداً او نصارى تهتدوا » (و) الحال (هو ربنا وربكم) اشتركنا في العبودية له وهو يصيب برحمته من يشاء فلا يختص بها عربي ولا عجمي إذا كان

أهلا لكرامة ربه فهو المالك لنا ولكم (ولنا أعمالنا) نجازى بها (ولكم أعمالكم) تجازون بها فالعمل هو أساس الامر وبه العبرة فإن كانت النبوة من جهة الاصطفاء فنحن عبيده او من العمل فلنا اعمال ولكم اعمال ونحن سواء فى العبودية فالله يختص برحمته من يشاء (ونحن له) دونكم (مخلصون) فى الدين والعمل فلا نبتغي بها إلا وجهه فالاخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين فإن لاحظ الخالق اشرك او راءا فقد فقناكم بالاخلاص

(١٤٠)

فنحن أولى بفضيلة الرب تعالى (أم يقولون) بالياء والتاء على وجه التقليد المذموم بالافتراء على الانبياء والتحكم على الله (إن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارى) فالاسباط حفدة يعقوب بمعنى القبائل فى اولاد اسماعيل فكيف تقولون بجهلكم الصميم إنهم كانوا هوداً او نصارى وقد انقضى زمنهم قبل نزول التوراة فاقتداء المتقدم بالمتأخر محال (قل) يا اكرم خلق الله أ(انتم اعلم ام الله) فالله اعلم وقد نفى الله عنهم ذلك «ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده» فأولاد ابراهيم تبع له (ومن اظلم) أي لا اظلم (ممن كتم شهادة) كتمها وسترها عن الناس ثابتة (عنده) كائنة (من الله) فهى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية فأكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة «ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» (وما الله بغافل عما تعملون) فما موصولة عامة لجميع ما صدر من الجوارح الظاهرة والقوى الباطنية فاحرى

(141)

شهادة الله فيعاقب الله الظالم أشد عقاب فهو تهديد لهم (تلك امة) الانبياء (قد خلت) مضت (لها ما كسبت) كرر تحذيراً مما طبعت عليه الطبائع من التفاخر بالآباء والاتكال عليهم ويحتمل الخطاب هذه الامة لئلا تقتدي بهم في مثله (ولكم ما كسبتم) منها (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) فلا يسئل احد عن عمل غيره « فإذا نفخ في الصور فلا انساب » الآية قال صلى الله عليه وسلم أخلصوا اعمالكم لله تعالى فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم وليس لله تعالى منه شيء فالذي يذبح لقدوم السلطان استبشاراً بقدومه حلال لله خلافاً لمن غلط كالعقيقة فالوحد مطمح نظره رضي الله فلا يغلط الجاهل بحرمة الامة (142) (سيقول السفهاء) الضعيف المعقول حال كونهم (من الناس) الكفرة المنكرين على ربهم أن يغير القبلة بحيث تحكموا عليه ألا يفعل فى ملكه ما يشاء بزعمهم الواهى من المنافقين واليهود والمشركين فسفههم الله فإنهم راغبون عن ملة ابراهيم « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » أذلها بالجهل والاعراض عن النظر السديد أخبر بأنه سيقع تمكيناً للمومنين لئلا يتزازل إيمانهم رحمة منه وتعليما للجواب وقبل الرمى يراش السهم مثل لتهيئة الآلة قبل الحاجة اليها فإنهم كرهوا التوجه للكعبة فإنهم لا يرون النسخ لما يلزم في زعمهم من البداء وهو لا يلزم وانما هو حكم الله يحكم على قوم مخصوصين الى زمن مخصوص ثم يرفعه الله بأسهل منه او بالمثل فالنبي يستقبل الكعبة وهو بمكة فلما هاجر امر باستقبال المقدس في ظاهر

الامر تاليفاً لليهود فلما ايس من اتباعهم له غالباً احب ان يحوله الله الى الكعبة قبلة ابيه فأخبره الله بالغيب وأنه يحوله الى قبلة يرضاها وأن السفهاء يسفهونه أبداً ولذا أتى السين الدالة على التأبيد والقرب لعدم رجوعهم عن سفههم فأنزل الآية تلاوة ونزولا قبل التحويل فكل كافر سفيه اجتنب المنافع واقتحم المضار فقالوا ان ادل دليل على أن محمداً ليس بنبي وانه عابث تحوله من جهة الى جهة والجهات متساويات فلو كان الحكم من الله لتأبد دائماً لاستحالة العبث فيه والجهل فحكم الله بأنهم سفهاء وانهم تفوهوا في غير ضرر وأن الله فعال لما يريد فالاعداء جبلت على الغيظ فإن وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا (ما ولاهم) فما استفهامية إنكارية مبتدأ وولاهم خبره والجملة محكية بالقول تولى انصرف وولاه صرفه فالقبلة لغة حالة المستقبل وشرعاً الجهة للاستقبال فإن المصلي يقابلها صلى في المدينة الى المقدس نحواً من سبعة عشر شهراً ثم حول الكعبة تأبيداً أي شيء صرفهم عن بيت المقدس يعنون لو كان على الحق لابد المقدس فأمر الاستقبال الى جهة مخصوصة تعبدي لا يعقل معناه فإنه لا يسئل عما يفعل فالجهات متساويات فلما احب الرسول اسلامهم امره بموافقتهم فلما ايس منهم رده الى وكذا .. ارى المولى يسارع في رضاك كأنه قال فماذا اقول لهم قال (قل لله) لا لغيره (المشرق والمغرب) يعني صور الاكوان كلها ملكاً وتصرفاً فلا يستحق شيء منها لذاته ان يكون قبلة وإنما يكون الشيء قبلة بأمر الله بالتوجه اليه لا غير فله ان يأمر في كل وقت بالتوجه الى كل

ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

جهة لربوبيته واستيلائه ونفوذ قدرته فإنه يحكم ما يريد فالواجب على المخلوق أن يطيع خالقه فلا يقول لمه والا كفر فاحكام الله غير معللة بالدواعي والاغراض. فقبلة ابراهيم وأولاده الكعبة إلى قيام الساعة وإنما استقبلت اليهود جهة المغرب لهوى نفوسهم زعماً أن موسى كان فى جهة المغرب فأكرمه الله بوحيه « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الامر » فالنصارى استقبلوا جهة المشرق لهوى نفوسهم زعماً أن مريم لما خرجت من بلدها مالت الى جهة المشرق « واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً » فالمؤمنون اتبعوا أمر الله طاعة له فلا اعتراض على الله (يهدي من يشاءُ إلى صراط) طريق (مستقيم) وهو ما تقتضيه الحكمة من كل ماحكم الله به أنه دين الحق من قبلة وغيرها فالسفهاءُ حجبوا عن حقيقة الدين الاسلامى فلو أدركوا الحق لاخلصوه كالمؤمنين وهو ان الله لم يهدهم له فلم يوصلهم الى تمام سره وحقيقته كصاحب المرة لم يدرك من السكر حلاوة وصاحب الرمد لم يدرك من الشمس الاضرراً بها وصاحب الدار البالية فلم يدرك من رحمة المطر الاخراب بيته فنعوذ بالله من كل ما يشغلنا عن الله فلو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وانما انكروا التحويل لاعتدائهم بالجهة فلم يعرفوا التوحيد الوافي بالجهات كلها وإن كانت أفعاله لا تعلل بالاغراض فلا تخلو عن حكمة وحكم فإنه حكيم فيدرك العقل ما هدا الله له فالحكمة ان الانسان له قوة عقلية يدرك المجردات والمعقولات

بها وله قوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام نقلها تنزلك العقلية عن الخيالية استعانة بها كالمهندس يضع صورة فى ادراك المقادير احكاماً ويضع شكلا معيناً ليصير الحس والخيال معينين له على إدراك تلك الاحكام الكلية وكالذى يريد أن يثنى على ملك مجازي فإنه يستقبله بوجهه ثم يثنى عليه ويخدمه فاستقباله في الصلاة كاستقباله الملك فالقراءة كالثناء عليه فالركوع كالخدمة له وايضاً فلا يحصل خشوع إلا بسكون وترك التفات لغيره فلا يتأتى إلا باستقبال جهة واحدة معينة وايضاً إن الله يحب الائتلاف بموافقة الخلائق كلهم على جهة واحدة معينة «فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً» ومنها القبلة فلو توجه كل الى أي جهة لأدى الى الاختلاف وايضاً فكأنه قال ياعبدي انت المومن انت عبدي والكعبة بيتي والصلاة خدمتي وقلبك عرشي والجنة داركرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الي ابوئك دار كرامتي وايضاً فاليهود استقبلوا مغرب الانوار والنصارى استقبلوا مطلع الانوار فالمومنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد فمنه خلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضاً فالكعبة سرة الارض ووسطها (وكذلك جعلناكم امة وسطاً) فالوسط بالوسط اولى «الطيبات للطيبين» وايضاً العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المومنين فالحق قبلة المتحيرين «فأينما تولوا فثم وجه الله» حقيقته. فالعرش مخلوق من النور والكرسي من الدر والبيت المعمور من الياقوت

والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودى ولبنان وحراء فمن كان عليه مثل هذه الجبال ذنوباً فأتى الكعبة حاجاً أو معتمراً او مستقبلا فى صلاته غفرتها له وايضاً فالبيت سبب لظهور دولة العرب فاشتدت رغبتنا توجههم لها وايضاً فاليهود يغيرون قلوب المسلمين بقولهم إنا ارشدنا كم للقبلة فأزال الله تشويشهم وأيضاً فالكعبة منشأ محمد صلى الله عليه وسلم فتعظيمها يقتضي تعظيمه فتعظيمه مما يعين على قبول أوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون قبول قوله فأقوى اوجه الحكم ما ذكره الله تعالى « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » (وكذلك) كما اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم و(جعلناكم) مهتدين الى صراط مستقيم وجعلنا قبلتكم وسطاً كما جعلنا القبلة معينة بفضلنا واخترناها من الجهات تفضلا وحكما وحكما جعلناكم مختصين بالعدالة براً منا وامتناناً مع تساوى الخلق في المخلوقية فاقدروا قدري تعالى فنحن القادرون على اعزاز من نشاء فلا يقدر على هذا الجعل احد غيرنا (امة وسطاً) خياراً عدولا « قال اوسطهم أي خيرهم فخير الاشياء اوسطها وهو المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط فاليهود فرطوا وقصروا في تعظيم أنبيائهم وكأين من نبيء قتل على أيديهم لشدة عداوتهم للانبياء قتلوا صبيحة واحدة سبعين نبياً وأقاموا في العشي سوق بقلهم فما أكفرهم تمالئوا على قتل عيسى نبي الله فعصمه الله منهم ورفعه اليه بل « رفعه الله اليه » وانما اتفقوا على الكفر فهل تنفعهم بعده التوراة

إن لم يجددوا الاسلام والتوبة من عداوة الله في أنبيائه فاستحسن خلفهم فعل ورأي سلفهم فالرضى بالعداوة كفر تمالئوا على قتل محمد فعصمه منهم ومن غيرهم « والله يعصمك من الناس » فهذا نهاية التفريط والكفر وافرطت نصارى نجران ومن تبعهم ومن تبعوه وجاوزوا الحد في محبة أنبيائهم حتى ادعت طائفة منهم ربوبيته وطائفة بنوته للرب تعالى عما كفروا به وادعت طائفة التثليث فهذا حب مفرط فالتفريط والافراط شؤم وكفر وضلال فتوسطت المومنون من حيث هم فأحبوا الله فقط وعبدوه فقط وأحبوا جميع الانبياء لذات الله تعالى واحبوا المومنين لمحبة نبيهم فالمحبوب عليه واحد فما امرنا بحبه احببناه وما أمرنا ببغضه بغضناه لذاته لا لشيء يعود علينا من الاغيار فخير الامور الوسط : فلا تركب ذلولا ولا صعباً . فالمركوب عينية الحق بالامر من الله لا غير فالجود مثلاً متوسط بين الاسراف والبخل فالشجاعة بين تهور وجبن فالاوساط محمية محفوظة والاطراف يتسارع اليها الخلل فهذه الامة وسط عباد الله ووسط الكون الذي هو محل نظر الله فهي الاولى باعتبار نبيها وأنها هي المقصودة بالذات والآخرة باعتبار وجودها ووسط باعتبار انضمام الانبياء اليها في الآخرة فبهذه الشريعة والناس عليها يكون العمل في الآخرة فله أحيا الله الانبياء ليلة الاسراء حتى آمنوا به وصلوا من ورائه واحوج الانبياء الى شفاعته عند كشف الساق وعلق كراسيهم بكرسيه في الجنة فالوسط بالسكون مصدر وهو كل موضع يصلح فيه بين وما لا يصلح فيه فوسط بالتحريك

اسم ويطلق على المفرد والفرع (لـ) حكمة ان (تكونوا) يوم القيامة (شهداء) لما علمتم من ادلة القرآن والعقل استحالة عدم التبليغ لما يؤدي اليه من المعصية لربهم ان الرسل كلهم بلغوا لاممهم كل فرد من افراد الاحكام التي امروا بتبليغه (على الناس) الكفار الذين انكروا يوم القيامة بين يدي الله تعالى تبليغ الرسل فشهدت هذه الامة للانبياء بما جاءوا من القرآن المحيط بعلوم الاولين والآخرين وهو عين الشهادة على كفار الناس وعليه فلا يشهد الا العدول ولا تقطع الحقوق الا بهم فعلماء هذه الامة كلها عدول مختارون فالخطاب لاول الامة وآخرها « كنتم خير امة » كذلك فلا يحل قصر الخطاب على الصحابة فقط ففضل الله هذه الامة بتولية خطة الشهادة للانبياء فكل واحد من هذه الامة شاهد بأن الانبياء بلغوا وأنهم معصومون صادقون قطعاً فأكرمهم الله بأن جعل النبي مزكياً لصحة شهادتهم وقوة متانة إيمانهم بالقرآن فكفاها فخراً أن زكاها نبيها فإياك أيها المسكين فى تضليل هذه الامة فإنها مستقيمة الى انقراض يوم الدنيا فلا تغلط . من قال هلكت الناس فهو اهلكهم . فقط وهم متبرئون من الهلاك وفى الحديث : لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك [قلت] فهم طائفة الموجهين وجهة الخلق الى ربهم النائبون عن الرسل في كل زمان فما دام القرآن موجوداً فهم موجودون « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » فلولا وجودهم ما ثبت القرآن فنزول البلايا ليس دليلا على عدم

وجود الخيار فالانبياء موجودون مع حصول المسخ والخسف في امهم فليسوا اعظم من الانبياء. انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث. فاللام للصيرورة لتصيروا (ويكون الرسول عليكم شهيداً) يزكيكم ويشهد بعدالتكم فإنكم علمتم بأن الله اوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وانما حمل الشقاء الكافرين على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فعليكم شهيداً يعني على صحة شهادتكم فإنكم علمتم من القرآن التبليغ فالرسول مراقب عليكم فلا تغلطون ولا تخطئون ولا تحرفون فهي شهادة تزكية كقاض زكى عدوله فهي شهادة للانبياء فإنه صحح شهادة امته فشكركم بصحتها واعمالها الحق وحكم بها للانبياء وعلى الجاحدين.

روى أن الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صف واحد ثم يقول للكفار ألم يأتكم نذير فينكرون فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيطالب الله تعالى الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وعلى امته وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين علموا أنهم قد بلغوا وانما اتوا بعدنا فتسئل هذه الامة فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وهو قوله تعالى «فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» فيؤمر بالكفار الى النار. فهذه الامة اطلعت على حقيقة الاديان فالرسول يعرف بنور الله اخلاص امته وذنوبهم واعمالهم من الحسنات والسيئات

فالامة يعرفون مثله من الامم بنور نبيها فبه ينظرون وهو قوة ابصارهم وبصائرهم فبصرهم بنوره حديد محيط فأخبر الله هذه الامة بعدالتها تشريفاً وفي ضمن الآية التحذير من متابعة هوى النفوس مجرداً من الشريعة فمن كان هواه الا مع الشريعة والطريقة والحقيقة فهو شاهد لغير لاشهيد يشهد له نبيه فإتيانه بعليكم تحذيراً من الغفلة فإن النبي مراقب ومعاين حياً وميتاً فهو يفحص حقائق امته فيجب على الامة كمال التأسي به بحيث لاتحكم بعقلها إلا إن جاء بضمنه القرآن فهذه الآية ادل دليل على صحة حجية الاجماع القولي وصحة نقل هذه الامة عن نبيها من وجهين أن وصفها الله تعالى بالعدالة فالله أصدق القائلين فلا ينعقد اجماع الامة إلا عن دليل البتة فمن ادركه وإلا طلبه وسلم الاجماع والحكم بصحة قولها والوجه الثاني لتكونوا شهداء يعني حجة على الناس فالرسول وحده حجة عليهم فحكم الله لهم بالعدالة وقبول قولهم فينبني عليه أن كل مجتهد مصيب لقبول طائفته كلامه ومذهبه كالمالكية فهم مجمعون على صحة قول امامهم مثلاً وقس الاية فإن علماء كل امة حجة على صحة علم ودين الامام فهو عليه مصيب من كل وجه وإلا خطأنا جماعة المقتدين به وهو الحق ففز به فكل أهل عصر من أول الامة وآخرها ان اجمعوا على أمر صح ووجب اتباعه فمن خرج عنه خرق الاجماع فلا يتصور أن تتفق هذه الامة على الخطإ أبداً بنص كتاب الله فيهم بخلاف الامم الماضية فغير معصومين أفراداً وجماعات فله اتفقوا على الكفر فلا يكفر الله أحداً من هذه الامة

البتة فضلا عن اجماعهم فلا يجمعون على ذنب صغير أو كبير البتة فالهيئة الاجتماعية تقتضى كونهم محقين فالدنيا وقت التحمل والاداء فى الآخرة بأن الانبياء بلغوا وأن الكافرين من كل من لم يدخل تحت طاعة الرسول فسقوا عن أنبيائهم فلا تنفعهم اي ملة فحال الشخص منفرداً غير حالته مع غيره « كتب عليكم الصيام ، كنتم خير امة » سواء فى توجه الخطاب إلى الامة كلها اولها وآخرها فالموجودين بالذات وللباقين بالتبعية فالامة جماعة تؤم وجهة واحدة فمن ظهر فسقه لا يعد من اهل الاجماع لكن طوائف الاسلام تعمها الخيرة ما اجابت لربها واتفقت على مضمون قل هو الله احد وخاتم النبيئين ولم يحرفوا القرآن بترهات شبه العقول. صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميت وقال الناس نعم الرجل فقال صلى الله عليه وسلم : وجبت . فلما صلى الناس على ميت آخر قالوا بئس الرجل فقال صلى الله عليه وسلم : وجبت . فقال ابي بن كعب ما قولك وجبت قال قول الله « لتكونوا شهداء على الناس » [قلت] فشملت عليه الآية الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم : الملائكة شهداءُ الله في السماء وأنتم شهداءُ الله في الارض فما شهدتم عليه وجبت : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » قال صلى الله عليه وسلم : إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل فيقول له ربه ما فعلته في عهدي هل بلغت عهدي فيقول نعم ياربي قد بلغته جبريل فيدعى جبرائيل هل بلغك إسرافيل فيقول نعم رب قد بلغني فيخلي عن إسرافيل ويقال لجبريل

هل بلغت عهدي فيقول نعم قد بلغت الرسل فتدعى الرسل فيقال لهم

هل بلغكم جبريل عهدي فيقولون نعم يا ربنا فيخلى عن جبريل ثم يقال

للرسل ما فعلتم بعهدي فيقولون بلغنا اممنا فتدعى الامم فيقال لهم هل

بلغكم الرسل عهدي فمنهم المكذب ومنهم المصدق فتقول لهم الرسل إن

لنا عليهم شهوداً يشهدون ان بلغنا مع شهادتك وهم امة محمد فتدعى امة

أحمد صلى الله عليه وسلم فيقول أتشهدون ان رسلي هؤلاء قد بلغوا

عهدي إلى من ارسلوا اليه فتقول نعم يا ربنا شهدنا ان قد بلغوا فتقول

تلك الامم كيف يشهد علينا من لم يدركنا فيقول لهم الرب تبارك

وتعالى كيف تشهدون على من لم تدركوا فيقولون ربنا بعثت الينا رسولا

وأنزلت الينا عهدك وكتابك وقصصت علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما

عهدت الينا فيقول الرب صدقوا. فذلك قوله «وكذلك جعلناكم امة وسطاً»

فيشهد كل فرد من أفراد الامة إلا من كان في قلبه حقد على أخيه «ربنا

لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا» فالشهداء الذين استقاموا على الهدى

فيشهدون على القرون فشهادة الرسول بإيمانهم بما انزل عليه «كل آمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر» فهذه الكلية تقتضي

شهادة كل فرد منها فإن المطلوب فى الحقيقة هو الايمان وغيره تبع

فالاشهاد أربعة الملائكة الحفظة «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد»

والنبيئون «ويكون الرسول عليكم شهيداً» وهذه الامة خاصة «لتكونوا

شهداء على الناس» والجوارح «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم

عما كانوا يعملون » (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) صيرنا القبلة التي كنت عليها الآن وهي الكعبة فالقبلة مفعول أول فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي للصخرة في أول الهجرة سبعة عشر شهراً فاها ثم من اليهود الكبر وأنهم لا يتبعه غالبهم وسمع منهم ان محمداً يخالفنا ويوافقنا في القبلة أضره ذلك فقال ياجبريل أود أن الله يحولني لقبلة أبي ابراهيم فسل ربك فقال له أنت أكرم عليه مني فصعد فانتظر رسول الله الاذن بجهتها فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر في رجب بالامر بالتحويل للكعبة فتحول وتحول الناس معه وكان يوماً مشهوداً فافتتن اليهود وأهل النفاق (إلا لنعلم من يتبع الرسول) في التوجه إلى ما أمرنا به (ممن ينقلب) ينصرف إلى هواه الباطل شكاً في الدين فالنسخ فائدته وحكمته معيار للقلوب فبه صح إيمان من صح باتباع أمر ربه ونبيه وبطل إيمان الظانين الشاكين المتوهمين إن الظن الذي هو أضعف أنواع الجهل في الاصول والفروع لا ينفع شيئاً فظن المجتهد قبل تركيب الادلة والا فعلم بعده فأراد بالعلم يعلم ظهوراً للغير الذي يقع به الاشهاد يعني يختبرهم حتى يتبين للخلق أنهم مومنون أو كافرون « وقل رب احكم بالحق » بالشريعة التي مبناها على الظواهر فالحاكم لا يستند الى علمه إلا في التجريح والتعديل وأما في الاعمال فلابد من الشهادة فلا تتيسر الشهادة للاربعة الشهود الا ان أظهر الله لهم إما باقرار أو شهادة عليه فبالظهور يتعلق الثواب والعقاب شرعاً وأما العلم

فى حد نفسه فلا يستحق شيئاً ايا كان أو لنعلم بالنون ادخل معه خواصه
من الرسل والمومنين فيميز التابع حقيقة من الناكص « ليميز الله الخبيث
من الطيب » فبالعلم يقع التمييز فاطلق السبب العلم على المسبب التميز
وحذف مفعول لنعلم وهو مميزاً ممن ينقلب فالعلم والمعرفة بمعنى الادراك
سواء . وقد ورد اطلاق المعرفة على الله في كلام الرسول والصحابة
فتحمل على الادراك الغير المسبوق بالعدم فمثاله جاهل يظن أن الحطب
هو الذى يحرق النار فيقول العالم سنجمعهما لنعلم أيهما يحرق يعني أي
الجاهلين منا « وإنا أو إياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين » فرجع ناس
ممن اسلم قالوا مرة ههنا ومرة ههنا فمن تيقن امره لم يتغير يقينه فله يحتاج
الامر الى دليل يقيني . وقال المشركون تحير في دينه فالكريم اذا صبغ القلب
بالايمان فلا يرجع فمن ارتد دل على أنه ليس قلبه مصبوغاً بالايمان بل
ارتاب اول وهلة وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب فلا
يرتد احد من هذه الامة فالحقائق لا تتبدل وانما يرتد المجرب هل هو
دين ام لا فيبتليه الله بسوء الظنون فمن احسن الظن بولي لا يريه الله فيه
الا مايسره ومن ساء ظنه فيه فلا يرى منه الا مايسوءه نعوذ بوجه الله
من سوء انفسنا ومن سوء الاقدار (وان) إنها مخففة من الثقيلة (كانت) التولية
(لكبيرة) شاقة على الناس الكافرين واما المومن فهو مع امر الله وارادته
ومع نبيه وكتابه (إلا على الذين هدى الله) وهم المومنون حقيقة عن دليل
قطعي من الضرورة التي هي الجاء الله المومن الى الايمان فلا يقبل غيره

لانه صبغة الله صبغ عليها فالانسان ألوف لما يتعوده فلا عادة مع الله بل نحن عند امره فقط فمن تبع العوائد صارت له أصناماً فهدى الله من اختصه بشجرة الايمان بأن أفعال الله كلها حكمة وان لم نطلع عليها فالسعيد من اطاع ربه والشقي من عصى ربه فالله يثيبهم عن الثبات إستسلاماً لامر الله وهو (وما كان الله ليضيع ايمانكم) ثباتكم وصلاتكم التي صليتم المقدس فإنه بأمر الله فالصلاة التي وقع منها التحويل صحيحة فعدم الاضاعة هو عين هدايته اياكم فلم تزلزلوا ولم ترتابوا بل شكر الله سعيكم واعد لكم الثواب العظيم. شككك حيي بن اخطب فقال أخبروني عن صلاتكم الى بيت المقدس فإن كانت حقاً فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم بها الله فقال المسلمون ان الهدى ما أمر الله به والضلالة ما نهى الله عنه فقال لهم فما شهادتكم على من مات قبل التحويل كاسعد ابن زرارة النجاري والبراء بن المعرور من بني سلمة وهما من النقباء وغيرهم فانطلق عشائرهم الى رسول الله صلى الله عليه وعلى امته وسلم قالوا فكيف باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فأنزل الآية فاطلاق الايمان على الصلاة مجاز. فالمرجئة إن الصلاة ليست عين الايمان وانما هي أركان الاسلام فالايمان ينجي من الخلود في النار فلهذا قال مالك وغيره فمن ترك الصلاة تكاسلا لا جحوداً ولا امتناعاً للابد ليس بكافر فاطلاق الكافر على تاركها مجاز. من ترك الصلاة فقد كفر. يعني قاربه فإن جحدها كفر حقاً فالفرق بين المرجئة والاصوليين ان المرجئة يقولون ليست من

الايمان يعنون من أفراده بل من ثمراته وغلاته فتاركها في الجنة يعنون «جنات عدن يدخلونها» مقتصداً و سابقاً وظالماً يحتمل ولو بعد التطهير فقطعوا له بالجنة يعنون ان ترك الصلاة لا يخلد فى النار فالاصوليون يقولون ليست من أفراد الايمان فالايمان التصديق لا العمل الظاهر وتاركها غير جاحد في المشيئة يعنون ان شاء رحمه أول وهلة من غير تطهير بالنار وان شاء طهره بها فلا يخلد ولا يكفر يعنون حقيقة فلا يكفر احد من أهل القبلة بذنب «ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» وبه قضى القرآن فالصلاة من الاعمال فالعمل ليس ركناً ولا شرطاً ولا شطراً للايمان قال صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات كتبهن الله على عباده فى اليوم والليلة من جاء بهن لم يضيع شيئاً منهن استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له. فالآية وهذا الحديث قضيا على كل متشابه جاء معارضاً فى الظاهر لهما فيحمل من ترك الصلاة فقد كفر ومثله على الزجر والتغليظ على ساحة الشريعة او انه فعل فعل الكافر او انه قد اباح دمه يعني لمن لم يعرفه كما أباحه الكافر. فكان يصلي الكعبة فلما هاجر حوله الله للصخرة اختباراً لمن هاجر هل ثبتوا مع الله أم لا ثم حوله للكعبة اختباراً أيضاً للجميع فمن ثبت صح إيمانه ومن لا كفر ثلم يعبأ الله به فأصل الامر الكعبة وانما ابتلاهم لا غير ولا يلزم ولا يتصور أن يحدث له علم فإنه قديم وانما يتنوع باعتبار المعتبرين ضرورة الحوادث فإذا نسبت العلم إلى وقته

أزلا قلت يعلم الله والى زمان سابق قلت قد علم والى زمان لاحق قلت سيعلم فالتغيرات انما انبعثت من اعتباراتك فعلم الله واحد (إن الله بالناس لرءوف) ذو مرحمة عظيمة (رحيم) يغفر ذنوبهم بالايمان وايصال الرزق. ياداوود إني أرحم من آمن بي ودعاني فإن لم إفعل فأى فرق بيني وبين الاصنام. فمن ارتد بتحويل القبلة لم يصله الايمان واليقين فالمومن العارف مع امر ربه فلم يتعلق بمقدس ولا بكعبة فانهما مفعولان لله لاغير وانما تعلق بخالقهما وعظمهما لوجه ربهما ففنى عن ارادته بارادة الله لهما معها فاستعلى ارادة ربه كالشهد وسعد بأمره تعالى من إحبني فليصبر على بلاءى. فالبلاء عنده عاما منه أنه فعل ربه اشد حلاوة فالبلايا أعياد العارفين اكتساء حلل التسليم والاصطبار غائين فى لجج المكاشفات والمشاهدات مشتغلين مع الجنان واللسان بالتوحيد ذاكرين الملك المنان عادين الالتفات منه الى غيره ولو بأكل لقمة من اكبر الدواهى والموانع مرتقين فى الفناء والبقاء الى غاية المبتغى. لما قال موسى رب ارني انظر اليك قال ياموسى لن تراني فى البساط الفانى حتى اجعله باقياً حتى ترانى ياموسى برعيت غنم شعيب عشر سنين إتريد أن تراني بعبادة اربعين يوماً ثم اصطفاه فأعطاه ما أعطاه فلما رجع الى قومه رآ فى الطريق الجبل الاعلى فسأل عنه متعجباً فقال الجبل ياموسى كنت ترعى الغنم في وعلى رأسك قلنسوة وفى يدك عصى فالله الذى اصطفاك برسالته وبكلامه هو الذى جعلني الاعلى بفضله وانعامه اللهم اجعلنا على صراطك المستقيم واتباع رسولك الكريم.

واهدنا التوجه الى كعبة ذاتك والانجذاب اليك والوصول الى مشاهدتك
آمين بجاه عين رحمتك صلى الله عليه وسلم (قد) حرف تحقيق (نرى
تقلب) تردد (وجهك فى السماء) تطلعاً للوحي ومتشوقاً الى تحويل القبلة
منا على يد جبريل فهي أول ما نسخ في الشرع (فلنولينك) فوالله
لنعطينك ولنمكننك من استقبالها فلنصيرنك والياً لها (قبلة) وهى الكعبة
(ترضاها) وليته ادنيته وإنما احبها ورضيها لمقاصد دينية كاشفه الحق بها
تماما بمشيئته فقالت العرب لما تحول المقدس فلا نتبعه ابداً وهو يحب
اسلامهم (ف) بسببه (ول) اصرف وجهك اجعل وجهك بحيث يلي
شطره فالوجه حقيقته المركبة من روح وجسد فهو الانسان (شطر
المسجد الحرام) الكعبة لمن بمكة وجهة الكعبة وهى المسجد المعظم المحيط
بالكعبة لمن بعد الحرام المحترم من الله لحرمه من الظلمة والقتال الحرام
وفي ذكر المسجد إيذان بالاكتفاء بالجهة لمن بعد وهو متفق عليه عند
الحنفية والشافعية لتعذر السمت إلا بتوقيف فلا تكليف إلا بالمطاق فكلما
بعدت اتسعت فالشطر لغة النصف شطرته قسمته نصفين والنحو والتلقاء
فالمتعين هنا النحو قاله ابن عباس رضي الله عنهما (وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره) من بر أو بحر شرق او غرب فى الصلاة وجوبا وندبا
فى اي عبادة غيرها فلا تنسخ قبلة الكعبة الى قيام الساعة «وما بعضهم
بتابع قبلة بعض» اخبر ان كل واحد تصلب على قبلته محقاً او مبطلا
«وما انت بتابع قبلتهم، ولئن اتبعت اهواءهم» على التقدير والفرض

بدليل «وما انت بتابع» فالمعصية تفحش وتقبح بحسب الزمان والمكان والفاعل فالحسنة كذلك فالمعصية فى العلماء اسمج «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم» يعني فلا ركون لمقام التثبيت بالعصمة والتاييد فتجب قبلة المسامتة لمن أمكن له والجهة لمن أمكن لها وجهة سفر قدمر لمتنفل على راحلة وقبلة قلب لعاجز عن التوجه ببدنه من كل وجه فإن تحير صلى لأربع جهات معتقداً في كل جهة قبلة فإن امكن التخير يخير (وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون) من كتبهم (انه) التولي إلى الكعبة (الحق من ربهم) فإن فى كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يحول إلى الكعبة بعد ان يصلي إلى المقدس فهو واضح في كتبهم أن قبلة الكعبة هى التي اوجبها الله على ابراهيم وبنيه إلى قيام الساعة (وما الله بغافل عما تعملون) بالتاء ايها المومنون فيجازيكم او بالياء وهم اليهود من الكفر فيجازيهم على عتوهم فبالتاء وعد بالخيرات وبالياء وعيد بالشرور (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك) فالآية الحجة والبرهان على ان الكعبة هى الحق فلا شبهة لهم حتى تزيلها بالحجة وإنما هو مكابرة وعناد وكفر لما في كتبهم من نعتك انك على الحق فأتى بالماضي لتحقق الوقوع وهو خطاب لطائفة علم الله عدم إيمانهم وإلا فقد آمن بعض الكتابيين وهو تسلية للنبي وإياس من ايمانهم فإنهم ضلوا عن علم لا عن جهل فلا تنفع فيهم موعظة (وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض) قطعاً لاطماع في اتباع محمد دينهم فإنهم طمعوا فقالوا لو ثبت على قبلتنا لرجوا ان

يكون صاحبنا الذى ننتظره نفرتهم الاماني الباطلة فقبلة الكتابيين باطلة مشرقاً وصخرة وهى مخالفة لقبلة الحق قبلة ابراهيم (وائن اتبعت أهواءهم) جمع هوى وهو الارادة والمحبة على الفرض او خطاب لامته (من بعد ماجاءك من العلم) بأن القبلة الكعبة (إنك إذاً) حرف جواب (لمن الظالمين) المرتكبين الفواحش وانت كنت معصوماً من مثله لكن انهك واعلمك ماأعمله عن خالف امري فالكل عندى شريف ومشروف في قبضتي فلا عز إلا باتباع امرى لا بالصور والانساب فهذا الخطاب تهييج للثبات على الحق « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » اياً كان فال فى الظالمين للاستغراق فاكدت الآية من سبعة اوجه التأكيد باللام جواباً للقسم والقسم المضمر وحرف التحقيق إن والجملة الاسمية واللام في الخبر وجعله من الظالمين وأوهم بالاندراج فيهم بحصول أنواع الظلم والتقييد بمجيء العلم تحذيراً وانقطاعاً لظهور الذنب من الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) علماءهم (يعرفونه) محمداً صلى الله عليه وسلم قد سبق ذكره بلفظ الرسول وهو « ممن يتبع الرسول » (كما يعرفون ابناءهم) من بين الصبيان فقال عمر لعبد الله بن سلام كيف هذه المعرفة فقال اما الرسول عرفناه بكتاب الله فهو حق لاشك واما الولد فلم ينزل وحي بأنه ولدي لاحتمال الفراش غيرى فقبل عمر رأسه وقال وفقك الله يابن سلام فقد صدقت ولم يقل كما تعرفون أنفسكم لان النفس لا يعرفها الانسان إلا بعد حين ورياضة على يد الشيوخ والولد ينسبه لنفسه من ولادته (وإن لك

فريقاً منهم) وهو المعاندون (ليكتمون الحق وهم يعلمون) صفته والكعبة
فلا يظهرونه عناداً والفريق الآخر آمنوا والفريق الثالث الجهلة أهل
التقليد فليسوا بصدد الاظهار ولا الكتم وانما كفروا على وجه التقليد
فالذي ثبت أنه من الله وهو ما كنت عليه لا ما عليه أهل الكتاب هو (147)
(الحق) مبتدء (من ربك) خبر او الحق خبر لمبتدء محذوف ومن ربك
حال . فزعم بولس القسيس انه لقي عيسى بعد رفعه فقال له إن الشمس
كوكب احبه يبلغ سلامي في كل يوم فمر قومي ليتوجهوا اليها في صلاتهم
ففعلوا (ف) بسبب ما بينته لك (لا تكونن من الممترين) الشاكين في أنه
من ربك وفي كتمانهم معناه فلا ينبغي ان يشك فيه فإنه حق أو المقصود
امته فهو امر بضده الذي هو اليقين وطمانينة القلب فكل من خدم نفسه
وأحبها فلابد أن يحسد غيره ويعجب ويعادي غيره كاليهود فينزعوا
جلباب الحياء عليه فلا ينجع فيه ملام ولا يردده كلام . فالمراتب ثلاثة
مرتبة التقليد لعامة الناس ومرتبة التحقيق والايقان للمجتهدين كالائمة
الاربعة ومن حاذاهم والثالثة مرتبة المشاهدة والعيان للكمال فلا تحصل
الاخلاق والمعارف الالهية إلا بتخلية عن النقائص من كبر وعجب وحسد
ورياسة وغيرها وإن كان كاملا في العقل والعلوم فإبليس مع عقله وعلمه
استكبر وعصى لما امتلأ بها من الحسد والعجب « يوم لا ينفع مال ولا
بنون إلا من اتى الله بقلب سليم » . فاعتبر هيئة ما طلب من الحج من ترك
راحة وبذل مال الى أن يصل الى مشاهدته فقاصد رب البيت يفنى عن

جميع ماسواه فالصلاة إلى الكعبة عين التوجه الى الذات الاحدية فالكعبة مثالي صوري لحضرته تعالى فالمراد كمال الاقبال الى الله تعالى وانما شرع الاستقبال الصوري رعاية للادب ودوراً مع الامر الالهى فإن لله في كل شيء حكمة فإن تخلصت من القيود وانجذبت الى الرب المعبود تجلى لك قوله « فاينما تولوا فثم وجه الله » وظهر لك سر الظاهر والمظهر فطوبى لمن دار مع الامر الالهى وسلم من الاعتراض وتخلص من الانقباض وفني عن اضافة الوجود الى نفسه وبقي بربه وبكمالاته اللهم اجعلنا من المهتدين (ولكل) امة من الامم (وجهة) قبلة (هو) اي الفريق الذى ناب عنه التنوين (موليها) وجهه اسم فاعل فوجهه مفعول ثان وفى رواية مولاها اسم المفعول اي موجه اليها او الضمير راجع الى الله يعني ولكل ملة قبلة اما من تشريع قبل النسخ فهي عليه حق واما بهوى كبعد النسخ ممن عاند (هو) الله (موليها) إياهم يعني بتشريع او هو أي الفريق الباطل موليها نفسه على باطل من غير اذن شرعى وتحتمل وهو الظاهر ولكل واحد من المومنين وجهة هيئة من التوجه الى الله خاصة به باعتبار اسمه العالي عليه مع اتحاد القبلة وانما اختلفت الهيآت والحالات « ولذلك خلقهم » مع اتفاق الامة على رب واحد وعلى قبلته الواحدة الكعبة (ف) بسببه (استبقوا الخيرات) على مقتضى هممكم من الاقبال على ربكم فالخير ما ثبت انه من الله قبلة وغيرها وهو كل طاعة فاخذ منه ان اول الاوقات افضل وعليه فالامر على الفور وهو يقتضي

الوجوب موقتاً وغيره وهو مجمع عليه في الجملة فاختلفوا في التفضيل فالشافعي الافضل اول اوقات الصلاة للاية وفضل ابو حنيفة آخره لانه عنده موضع الوجوب واما مالك فأول الصبح والمغرب افضل فأول الظهر والعصر افضل عنده لفذ فتوخر الجماعة فتاخير العشاء افضل لمن قدر عليه فتاخير لطلب الجماعة افضل في كل صلاة فالصبح يغلس فيها مجتمعين ومتفرقين كالمغرب في اول وقتها فأول الوقت رضى الله وآخره عفو الله فالرضى للمحسنين والعفو للمقصرين فالاستباق الى الخير من انواع الطاعات بنيل سعادة الدارين (اين ما تكونوا) يعني جميع الخلائق (يات بكم الله جميعاً) يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم وعداً لاهل الطاعات ووعيداً لاهل الجنايات (إن الله على كل شيء قدير) على الاحياء والاماتة والجمع وغيره (١٤٩) (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) إذا صليت (وانه للحق من ربك) لا لطلب رضاك فقط وهو الثابت الموافق للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) بالياء والتاء (١٥٠) (ومن حيث خرجت) اليه في أسفارك قريباً او بعيداً (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم) مقيمين او مسافرين وصليتم (فولوا وجوهكم شطره) وانما كرر الشطر والتولية تبييناً لعظم امرها وامر النسخ فالنسخ موضع الفتنة وتسويل الشيطان على انه ذكر في كل مرة حكمة مستقلة فالآية الاولى لمن بالمسجد والثانية ان خرج من المسجد وهو بالبلد والثالثة ان خرج عن البلد (لئلا يكون للناس) اليهود والمشركين (عليكم حجة) وجدال فالتولية

عن الصخرة للكعبة تدفع حجة شبهة اليهود بأن محمداً يجحد ديننا ويتبعنا
فى قبلتنا ويدفع حجة المشركين بأنه يدعى ملة ابراهيم وهو مخالف قبلته
(إلا الذين ظلموا منهم) فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة الا ميلا الى دين
قومه وحباً لبلده فالاستثناء متصل لئلا يكون لاحد من الناس فاو كان على
الحق للزم قبلة الانبياء. فالحجج اربع ثنتان لليهود وثنتان للمشركين فكلها
باطلة. يصلي لقبلتنا ولا يتبع ديننا وحجية المشركين يدعى ملة ابراهيم
وانحرف عن قبلته فهما منقطعتان وبقيت حجة لكل منهما قول اليهود ما
تحول لها الا ميلا لدينه وحباً لوطنه وقول المشركين تحير محمد فى دينه
(فلا تخشوهم) فلا يؤثر فيكم جدالهم في التولي اليها فلا يضرونكم شيئاً
(واخشوني) باتباع امري فلا تخالفوا امري وهو ما رأيته مصلحة لكم
فإني ناصركم فالحجة كل ما يتمسك به حقا او باطلا « حجتهم داحضة »
(ولاتم نعمتي) امرتكم لاتمام نعمتي بقبلة ابيكم ابراهيم وهى أتم النعم
فالنعمة امران موهوب ومكتسب فالموهوب نحو صحة بدن والمكتسب
الايمان بالله والعمل الصالح بامتثال الاوامر واجتناب المناهى (ولعلكم
تهتدون) ولارادتى ان اهديكم الى الشعائر الحنيفية وشرائع الدين القويم
وفى الحديث: تمام النعمة الجنة. يعني رؤية الله فيها بالموت على الاسلام
(كما أرسلنا) كاتمامها بارسالنا رسولا (فيكم) وهو محمد صلى الله عليه 151
وسلم فإرسال الرسول لاسيما المجانس نعمة لا تكافئها نعمة فالله نحمد
ونشكر (يتلوا عليكم آياتنا) القرآن (ويزكيكم) يطهركم حتى يصيركم

عدولا ويشهد بتزكيتكم يوم القيامة الأنبياء على اممهم (ويعلمكم الكتاب) ما فيه من المعاني والاسرار والشرائع والاحكام لتحفظوا نظمه ولفظه فيبقى على ألسنة اهل التواتر مصوناً من التحريف والتصحيف معجزة باقية إلى يوم القيامة فيتلى فى الصلاة وخارجها نوعاً من العبادة والقربة ويعلم ما فيه من الحقائق والاسرار ليهتدوا بهداه وأنواره (والحكمة) الاصابة في الرأي في القول والعمل فالحكيم من اجمع له الامران من احكمت الشيء رددته عما لا يعنيه فالحكمة ترد عن الجهل والخطإ فالعمل بالقرآن فرع عن العلم بمعناه فالتزكية غاية أخيرة لتفرعها عن العمل وإنما قدمها نظراً إلى تقدمها تصوراً فقدم يزكيكم على يعلمكم باعتبار القصة وأخر في دعوة ابراهيم يزكيكم على يعلمكم باعتبار الفعل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) ما لا يمكن تعلمه الا من الوحي فالحكمة والكتاب ما كان العقل فيه مجال فى معرفة شيء منه (152) (فاذكروني) بالطاعة قال صلى الله عليه وسلم من أطاع فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وقراءته القرآن ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وقراءته القرآن (اذكركم) بالثواب واللطف والاحسان وإفاضة الخيرات وفتح الابواب للسعادات فأطلق الذكر على نفسه المستلزم تقدم النسيان للمشاكلة فاذكروني فى الرخاء اذكركم في الشدة «فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون» أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملائه

وإن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعا وإن أتاني يمشى أتيته هرولة . وفى الحديث وإن سألتني أعطيتك وان لم تسألني غضبت عليك أنا مع عبدي ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه . سأله اعرابى أى الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله . فالامر يدل على الوجوب فدخل فى الذكر جميع انواع القربات فبذكر القلب تطمئن القلوب فكلما ازددت فكراً في عظمة الله ازددت طمانينة وهو افضل الذكر قال صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفى . يعني ذكر القلب وخير الرزق ما يكفى . « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر » بقلوبكم فى جلال الله اكبر من الصلاة (واشكروا) على ما انعمت عليكم من التعليم والتوفيق والارسال وانزال الكتب (لي) اتى باللام لعلمه ان شكر ذاته متعذر إلا للمقربين يقال شكرت له إن استحضرت احسانه فتذكر احسانه وشكرته ان اضربت عن الاحسان لهجا بذاته وهو حوم المقربين « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر فمن اطاع شكر ومن عصى كفر فأتى بهما إزالة لما قد يتوهم ان من شكره مرة كفي فأتى باللام فاشكروا نعما لي وقال ولا تكفرون إشارة الى أن الكفر بذاته تعالى افظع من الكفر بنعمه وأيضاً فالامر بالشكر للنعم يفيد نهياً عن الكفر بنعمه شكرت الدابة العلف ظهر اثره عليها فشكر العبد رضاه بما قدر له ربه والفرح بالقسم الازلي بحيث لايحب غيره فوسط الشكر أن تعلم

ان الامور من الله ونهايته الفرح بالله دائما لما عليه من الكمال والوحدانية وباضافته إياك اليه وبملكه وبالانعام بالايمان حتى ينسيك احسانه نفسك بحيث لا تذكرها ولا تهتم بها علما بأنه مالكك فهو أولى بك . خل نفسك وتعال . واعلق بربك بكليتك وافرح به حيث كنت له ملكيا واستحل افعاله ومظاهره واشرب زلال برد الرضى واكرع صفاء ماء حبه تعالى اقتناعا به عن غيره والهج بذكره بماهيتك كلها فى انفاس الابد فهو حظ العبودية فلتهنأ دائما بمعاينته بعيون اسرار خفاك وأخفاك فتشاهد الناسوت والملك بقوة عيون جسدك وتشاهد بقوة عيون نفسك وقلبك عجائب الملكوت وتشاهد بقوة عيون الروح الجبروت وعجائب لطائف حكمة ربك وتعاين بقوة عيون اسرارك العمى الربانى ذاته تعالى فتكون مع الناسوت والملك بجسدك دائما عابداً به معه ربك وتكون بقلبك ونفسك دائما مع الملكوت عابداً بهما معه ربك وتكون بروحك دائما مع الجبروت عابداً به معه ربك ابداً وتكون بأسرارك دائما مع اللاهوت والكنه الربانى والعمى الصمدانى عابداً به معه بتاييده ربك «وان الى ربك المنتهى» في كل نفس ابد الآبدين دنيا وبرزخا وآخرة فلا تغفل بقوة ربك الرحيم عن عبادته نفساً واحداً عن عبادته ومشاهدة فعله بما دون الاسرار ومعاينة ذاته من غير احاطة بأسرارك فإن ابدت عبادة ربك بكليات حقائقك وانصبغت بحب ذات وفعل ربك تمت عليك نعمة الشكر التي يترتب عليه المزيد دائما فيفيض عليك فى كل نفس مثل ما أفاضه مدة الابد وزيادة

ما يعلمه ربك من مرتبتك عنده «والله يضاعف لمن يشاء» ثم انك حسنة وكسب سيد المرسلين فهو السبب فى وجودك فلا تغفل عن الواسطة والوسائط ابداً فلا تتق ابداً فإنك ان غفلت عنه عصيت ربك في أي حضرة كنت والسلام. اذكرونى بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكرونى فى الدنيا اذكركم بالآخرة اذكرونى فى الخلوات اذكركم فى الجلوات اذكرونى فى الرخاء اذكركم في البلاء اذكرونى بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكرونى بالصلاة والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكرونى بالفناء اذكركم بالبقاء (153) (ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على الطاعات والبلاء وعلى المعاصي وحظوظ النفس. فأقسام الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة وعلى المعصية وعلى البلاء فأعظمها الصبر على المعصية ثم على الطاعة ثم على البلاء. ورد: الصابر على البلاء يرفعه الله ثلاثمائة درجة بين كل درجة كمابين السماء والارض مرة [قلت] وهو خمسمائة سنة. والصابر على الطاعة يرفعه الله ستمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض مرتين [قلت] وهو الف سنة. والصابر عن المعصية يرفعه الله تسعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض ثلاث مرات (والصلاة) لانها ام العبادات لاشتمالها على فعل القلب وغيره ومناجاة رب العالمين فهي معراج المومنين ومثاب رب العالمين. كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه امر فزع إلى الصلاة وتلا هذه الآية. فالصبر أشد الاعمال الباطنة على البدن

والصلاة اشد الاعمال الظاهرة على البدن فإنها تجمع أنواع العبادات من
الاركان والسنن والآداب والخضوع والتوجه والسكون وغيره مما لا
يتيسر حفظه الا بتوفيق الله فالصبر تخلية وهى مقدمة والصلاة تحلية فانه
قدم النفي فى كلمة التوحيد باعتبارنا وأما باعتباره تعالى فالتحلية مقدمة الله
الصمد والتخلية لم يلد والفرق ان الاصل فى الخلق النقصان فيفرغ موضع
الكمالات من النقائص الاصلية ابتداء ثم يحلى بالكمالات الالهية التي اعزنا
الله بها وهو نهاية الافتقار والتذلل له تعالى فهى الكمالات للعبيد لا غير
فالحق تعالى كامل ذاتاً واجب الوجود فلا نقص فتعالى عنه وانما يدرك العقل
ويحكم بمدده من افضال الله عليه بأن الله تعالى متقدس ومتباعد من النقائص
وأخشها الحدوث ومتصف بكل كمال ذاتي له وهو الصمد فالصلاة توجهت
لكل مكلف مومن فقيراً اوغنياً فالزكاة كافة الاغنياء فقط فالحج اختص
بالمستطعين فقط فالصوم صبر عن معصية الاكل والشرب وغيرها (ان
الله مع الصابرين) بالنصر وإجابة الدعوة فالمعية هنا الولاية الدائمة
المستتبعة لها فأفادت المعية تهديداً وتحذيراً لمن يدعى صبراً وهو ليس
بصابر فإن الله مراقب لظاهره وباطنه فإن الصابر لا يغفل عن ذكر
ربه فغير الصابر لاه عن ربه فالقلب اللاهى ممتلىء من هموم الدنيا
والآخرة وان كانت بأسرها له فإذا كان مع الصابرين فأولى مع
المصلين فهى اشرف من الصبر (وانها لكبيرة) فالصبر الذى هو
تحمل المشاق من غير جزع واضطراب ذريعة إلى نيل كل خير

فالصبر أول كل فضل والتوبة الصبر عن المعاصي . فأول الزهد الصبر عن المباحات . فأول الارادة الصبر على ترك ماسوى الله فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، الصبر خير كله «ان الصلاة» الصبر عليها «تنهى عن» ارادة وفعل الخصلة «الفحشاء والمنكر» من الشرع وهو غير معروف منها فمدة الصبر عن إدامة الصلاة انتهى عن الفحشاء وتلبس بأعز طاعة فإن تمكن نور الصبر عليها فى القلب انتهى عمره كله وفي الحديث : إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل قال فيقوم ناس وهم يسيرون سراعاً الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعاً الى الجنة فمن أنتم قالوا نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم قالوا كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة « فنعم أجر العاملين » ثم ينادى مناد أين أهل الصبر فيقوم ناس يسيرون سراعاً الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعاً الى الجنة فمن أنتم فيقولون نحن أهل الصبر فيقولون ما كان صبركم قالوا كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصى الله فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى مناد اين المتحابون فى الله فيقوم ناس يسيرون سراعاً الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون من أنتم فيقولون نحن المتحابون فى الله فيقولون وماكان تحابكم في الله قالوا كنا نتحابوا فى الله والجنة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم (اموات بل) قولواهم (أحياء) نزلت في شهداء بدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار نهي لما يقوله الناس ماتوا وذهب

154

عنهم نعيم الدنيا ولذاتها فالقتل نقض البنية الحيوانية وهو الجهاد فإنه طريق
الى ثواب الله فهم فى حكم الاحياء فلا ينقطع ثواب أعمالهم فإنهم قتلوا
لنصرة دين الله مادام الدين ظاهراً فى الدنيا وأحد يقاتل فى سبيل الله فإنهم
استنوا سنة الجهاد فمن قتله محبة فديته رؤيته « استعينوا بالصبر والصلاة»
فى سلوك سبيلي فإن احتجتم الى الجهاد فى أعدائي فإن قتلا كم أحياء
عندي خذ مثلاً من جمع الله اجزاء الشهيد فيحييها ويوصل اليها النعيم
فإنه فعال لما يريد فى ملكه فنحن نراه فى ظاهر الامر ميتاً وهو حي
في باطن الامر حقيقة كجمرة عليها رماد فباعتبار ما رأيته منطفئة وان
وصلتها عامت بقائها فوصول الحقائق انما هو بالشرع وهو قوله تعالى
(ولكن لا تشعرون) لا تحسون بالمشاعر حياتهم ولا تدركونها الا بالوحي
آمنا بالله وكذبنا اعيننا | قلت | فإنسانيتهم المركبة من الروح والجسد التي
هى النتيجة من المقدمتين فالجسد مقدمة كبرى والروح مقدمة صغرى
فالانسان هو مجموع المقدمتين فهو النتيجة والمكلف والعبد والمطلوب وهو
الباقي بقوته بعد مفارقة الروح إلى البرزخ للجسد الترابى فجسدهم لا يبلى
وهو باق وإن رأيته على حالة الرؤية فالروح باقية فى برزخها والانسان
راكب عليهما رابط بينهما وهو الذى أخبر الله انه حى تمامها فإن نظرت
إلى الجسد فهو ميت باعتبار الاحكام فتعتد امرأته عدة وفاة باعتبار
الجسد وعدة طلاق باعتبار قوة حياة الانسانية الرابطة بين الروح والجسد
فالروح ملك لا يأكل ولا يشرب ولا ينكح والجسد تراب كذلك والمجموع

من قوتها هو الذى شهد له تعالى بكمال حياته فاعلق به فالروح من
امر الله فهى عند الجمهور جوهر قائم بنفسه مغاير لما يحس به من البدن
دراك يبقى بعد الموت فهم قربهم مولاهم فأحياهم ومتعهم بما يعامه الله فقط
فحياة غير الشهيد كأنها غير معتد بها فابليس بعدم صرف ولا بوجود صرف
فهو منزلة بين المنزلتين قال في اهل النار «لا يموت فيها ولا يحيي»
فالانسان جسمانى لطيف سار فى هذا البدن سريان النار فى الفحم وهو
النتيجة السارية فى مقدمتها وهو في صلب آدم حين سجدت له الملائكة
وهو المكلف والمخاطب بـ «ألست بربكم قالوا بلى» فالمجيبون حينه حقائق
الانسانية فهى الانسان في كل إنسان فلهذا الانسان روح يحرم افشاؤه
وان ادركناه بالكشف الربانى فللجسد روح الحيوانية فاروحها روح
القدس فالروح القدس روح قوة اسماء الله وأنوار صفاته فالانسان هو الذى
يقول أنا أنت فهو الناطق بآلات الجوارح والروح الحيواني وهو «تشهد
عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» فالشاهدون غير المشهود عليه وانما
شهدوا لقوة مشاهدتها وامتزاجها بهم وهو الذي ياخذه الله في المنام فيرى
فمحل تعينه القلب الصنوبرى ومحل تعيين الروح الحيواني الدماغ فالدماغ
أقوى مظاهره وإن كان ساريا في البدن كله وإنما اتخذت الحيوانى بعد إشراق
الروح السلطاني بالهيكل فهو من انعكاس أنوار الروح السلطانى الذى هو
الانسان ليكون مبدأ الافعال فالحياة غيب مستور في الحى لا يعلم إلا
بآثارها كالحس والحركة والعلم والارادة فهذا إنما يدور على الحيوانى

فإن بقي هذا البخار علاقة بينهما فهو حي وان زالت صلاحيته علاقة بينهما فهو ميت فإن خرج من البدن اضطرارياً فهو الموت الحقيقي فربما يخرج إختيارياً كاحوال أهل التصريف يخرجون روحهم يتصرفون بها فتعود متى شاء فهو الانسلاخ عند الصوفية فمذهب أهل السنة ان الروح جسم لطيف مغاير للبدن فانكشف لك به حال الروح فوقفت على أسرار البرزخ واحوال القبر وما فيه من الالم واللذة الجسمانيين فانحل عندك وجه كونه روضة او حفرة. فالشهداء أحياء بالحياة البرزخية متنعمون فإنهم أجسام لطيفة كالملائكة فإنهم موجودون أحياء فنعيم الصديقين والشهداء والصالحين في البرزخ خيالي كالعذاب فيه فإذا بعثت الخلائق نسي كل أحوال البرزخ كالمستيقظ فالحياة الدنيا عندهم كالمنام فيعتقد اهل الآخرة ان الدنيا منام في منام فاليقظة ما عليه في الآخرة كاعتبار كل مرتبة فمن ارتقى عد مادونه مناماً الى مالا نهاية لازمنة الابد فأهل الجنة يعدون ما قبلها كالمنام فعند الرؤية يعدون ماقبلها كالمنام فلا يكمل التيقظ ابداً إلا ان عرفت ربك تمامها. فنعيم أهل البرزخ وعذابهم معنويان لا محسوسان حتى يبعثوا فروح السعيد تتنعم بنصف الجنة والنصف الآخر حتى يتنعم به الجسد بعد البعث فأكل الاموات كأكل النائم في نومه كنكاح سواء بسواء فالله جعل لاثر نكاح النائم امراً محسوساً وهو خروج مني بلذة معتادة له فترتب عليه الحكم وهو الغسل فإن لم يترتب عليه محسوس فلا حكم: إني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني. فكل الاجد كذلك

إلا ان الفرق بأن الرسول لقوة روحه يأكل ويشبع ويشرب ويشبع ويظهر عليه اثر الشبع والري في اليقظة وغيره ممن لم يلبس بعض حلته يفيق جائعاً مثلا وقس فاكرم الرسول بأن لا يظهر عليه اثر النكاح فى النوم ان تيقظ ويظهر اثره فى من لم يلبس حلته . فالحكمة التفرقة بين من يتصور فيه لعب الشيطان به وبين من لم يتصور فيه وان كان لا يلزم ان يكون منه فربما يكون معونة لمن لا يجد طولا او وجد وغاب عن زوجه مثلا فمن اثر النبوة أن يرى الوارث اثر الشبع والري وان يمنع من المني وان نكح دحاماً كأهل الجنة فلا مني فالرؤيا جزء من خمسة واربعين جزءاً من النبوة فقد وقع لكثير من الاولياء فأصبحوا وعليهم رائحة الطعام وراثة نبوية : اني لست كاحدكم . يعني ممن لا يرثه فللوارث ما للموروث فتنعم الشهيد في البرزخ كتنعم الولي الوارث في المنام فهذا المقام ينبغي أن يعلم فالجسم هنا هو الجسم اللطيف المسمى بالانسان فتنعم بما يليق بمرتبته في البرزخ فعبر عنه بالخيالي والمعنوي والجسماني يعني منسوباً الى جسم لطيف لا كثيف فقط فلذة الجسم الكثيف محلها فى الدنيا فقط .

قيل يارسول الله هل يحشر احد مع الشهداء قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين . يعني مرة فكل من مات في طاعة الله من أي باب من ابوابها فهو فى سبيل الله بيد أنه ان اطلق صرفه العرف إلى الجهاد القتال لا غير فالطاعة سبيل الله وعليه فلا يموت المومن إلا شهيداً ما دام موقناً بربه فالجهاد الاكبر هو جهاد النفس فمن أفناه الله في طاعته ليس

حيث فمن فني في الله بقي بالله فالفناء بسطوة التجلي فالبقاء بصفة الجمال فالعارف عالم انه بين جلاله فيفنى له وبين جماله فيحيى له وغيره وإن كان بينهما لا يشعر إلا بالانهماك في هوى نفسه . أجوع يوماً جلال وأشبع يوماً جمال . فالمطلوب منك دائماً الاستغفار والانحياش لله عند بدو جلاله من خلقه كصلاة الاستسقاء والحمد لله عند بدو جماله من خلقه كعرس وعقيقة وكقدوم غائب فللجمال شرعت صلاة الشكر وللجلال شرعت صلاة الاستسقاء فلا يظهران إلا من خلقه لعمر الابد فالجنة أثر جمال والنار أثر جلال والموت منها من حيي لنفسه مات لذهاب روحه ومن حيي بربه انتقل من حياة الطبع إلى حياة الاصل الحقيقي من تعزز بالباقي باقي وبالفاني فاني : فالشهداء احياء في الحال ياكلون ويشربون وينكحون ويثابون كما ان الكفار يعذبون في القبر بأنواع العذاب كذلك يتنعمون بأنواع النعيم فالآيات دالة على إثبات عذاب القبر « يعرضون عليها غدواً وعشياً ، اغرقوا فادخلوا ناراً » فالفاء للتعقيب قال صلى الله عليه وسلم : القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار . [قلت] فالمومن المطمئن بالايمان لا يكون قبره إلا روضة والمشرك لا يكون قبره إلا حفرة فبه يحسن الظن بجميع المومنين فالمومن ولي الله فنور الايمان لا يبقى معه ظلام فلم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها فسموهم الشهداء الاحياء في الدين فهم على هدى ونور من ربهم رداً للمشركين القائلين ليسوا من أهل الدين فلا يقولوا مثل مايقول منكروا البعث بأنهم لا

يبعثون ولا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم فهم يحيون ويثابون وينعمون
في الجنة فهذا لعامة المومنين باعتبار اطلاق السبيل على طاعة الله: ان
ارواح الشهداء في حواصل طيور في الجنة خضر تعلق من ثمار الجنة
[قلت] فهي صور البرزخ ثم تاوي الى قناديل تحت العرش فتحصل ان
الله اكرم الشهيد بمزيد القرب والفرح والابتهاج وكمال السرور.
فالرسول سيد الشهداء مات بسبب سم بخيبر فهو حي ثم حمزة وجعفر
كعمر وعثمان وابو بكر مات بسبب سم افعى لدغته في الغار بسبب
الهجرة فهو شهيد فأفضل ماعند الشهداء الدم فمداد العلماء اعظم من دم
الشهداء فالشهداء ومن فوقهم أحياء بأجسادهم وارواحهم حياة اخروية
بالجسم والروح ليست كحياة اهل الدنيا فلا يشاهدها إلا أهل الآخرة
ومن خصه الله باطلاع عليها فهذا هو عين التحقيق خلافاً ان يزعم أنهم
احياء بالروح فقط فهو مرغوب عنه ووجه بطلانه ان كل انسان حي
الروح مومناً وكافراً فلا مزية عليه للشهيد فخروج روحه انتقال من دار
الى اخرى وهي مزية من مزايا الانبياء فلا يقال انهم سووهم وإنما لم
يغسلوا ليبقى دمهم شاهداً على ايمانهم وموتهم في مرضاة ربهم يوم القيامة
فإنهم يبعثون على ماماتوا عليه من سيلان دمائهم في جراحاتهم فاللون لون
الدم والريح ريح المسك قال صلى الله عليه وسلم: زملوهم في ثيابهم فاللون
لون الدم والريح ريح المسك، وإنما تغسل الانبياء تعبداً وتشريعاً فلا تاكل
الارض أجساد الشهداء فلا يصلى عليهم لمكان حياتهم وانما يصلى على الميت

قال به مالك والشافعي . وقال ابو حنيفة يصلي عليه لما ورد ان النبي صلى على شهداء احد فلم يثبت وانما دعي لهم من غير كيفية الصلاة (ولنبلونكم) والله لنختبرنكم يا امة محمد اظهاراً للخلق المطيع منكم من العاصي مع احاطة علمنا بحقائقكم اجمالا وتفصيلا قبل نفوذ قدرتنا بخوارق سياسة لملكنا وهي انما تجري الاحكام مصرف الظاهر بحيث لا نحكم عليكم في الآخرة الا بالشريعة من الحكم بالظواهر فلا أحكم بعلمي لانكم لم تكلفوا بالغيب وإنما احكم بما يحكم به خليفتي محمد من اجراء الاحكام على الظواهر بالشهود والشكايات ثم طلب البينات ثم الاعذار ثم الحكم بعد انقطاع وجه ما طلب منه كقاض في الدنيا [قلت] فكل ما ورد مثله فاسلك به مسلكه فإنه تعالى لو كان يحكم بمقتضى علمه فلا نحتاج الى الكنانيش والشهادات والفصل والميزان وغيره فاعلم به . فالدنيا سجن المومن ولو كان ملكاً وجنة الكافر ولو كان في اشد ضيق فيها . (بشيء) قليل (من الخوف) من العدو فإن ما وقاهم من خوف العدو أكثر بألف مرة مثلا بالنسبة لما اصابهم (و) شيء قليل من (الجوع) القحط وهو تخلف المطر وهو سبب الجوع وعلى كل فرحمة الله لا تفارق المومن فاخبر قبل الوقوع لتطمئن النفوس بخطابه على الوقوع فهو من تمام الرحمة فإن اصابة المكروه فجأة اشد من ترقبه (ونقص من الاموال) بالخسران والهلاك (والانفس) بالقتل والهلاك والمرض والشيب والسرقة والاغارة واخذ السلطان (والثمرات) فذهابها بالجوائح كالبرد والسموم والريح والجراد . قال

الشافعي فالخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والثمرات موت

الاولاد قال صلى الله عليه وسلم : إذا مات ولد العبد قال الله تعالى

لملائكته أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه

فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول

الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد . فمطالبات الغيب اما

بالمال او بالنفس او بالاقارب او بالقلب او بالروح فمن اجاب بالمال نجى

وبالنفس فله الدرجات او بالاقارب فله الخالف والقربات ومن لم يوخر

عنه الروح فله دوام المواصلات وانما وقع البلاء « لنعلم من يتبع الرسول

ممن ينقلب على عقبيه » كما امتحن بتحويل القبلة وكما امتحن الاصفياء

قبل هذه الامة لما قصه فى حق الانبياء « ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما

يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساءُ والضراءُ وزلزلوا حتى يقول

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » فاعلم حقائق

ما يلاقيك من محبوب ومكروه فإن خطر ببالك وهو قد مضى سمى ذكراً

وتذكراً وإن كان في الحال سمي ذوقاً ووجداً لانها حالة تجدها في نفسك

وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره سمى انتظاراً وتوقعاً فإن كان المنتظر

مكروهاً تألم به القلب سمى خوفاً وإشفاقاً وان كان محبوباً سمى ذلك

الارتياح رجاءً فالخطاب لكل امة خصوصاً الصحابة الاجلة (وبشر) أيها

الرسول وكل داع الى الله بالثواب والرضى (الصابرين) على ما يصيبهم

مما لا يلائم نفوسهم البشرية وان اطمأنت عليه نفوس المقربين عطف على

لنبلو كم عطف المضمون على المضمون يعني الابتلاءُ والبشارة حاصلان لكم ان صبرتم . اعلم انه لاثواب للبلايا وإنما يترتب على الصبر عليها فالتبشير بسبب الصبر فقط وأنه لا ثواب للنعم وانما رتب على الشكر فالنعم جمال الله فاحمد واشكر معها وبعدها وبها فالبلايا جلال الله فقط فاستغفر واصبر فإنه ربك ارحم بك فكيف يرحمك بما يرحمك به فسبق علمه انه يرحمك بالبلايا ليكثر ثوابك الذى لا تصله اعمالك فالنفس الغافلة تكره ما لا يلائم طبعها مطلقاً فإن بشرها الشارع بما اعطيت فيه اطمأنت بالله (156) (الذين إذا أصابتهم مصيبة) ما يصيب من مكروه كل شيء يؤذى المومن فهو مصيبة من صاب السهم المرمى وصل اليه (قالوا إنا لله) يعني اعترف بأنه ملك الله يتصرف فيه كيف احب فنحن عبيد الله فالعبد وما فى يده لمولاه فإن شاء ابقاه فى ايدينا وإن شاء استرده منا فلا نجزع مما هو ملكه بل نصبر فإن عشنا فعليه فضلا رزقنا وان متنا فإنا اليه راجعون واليه مردنا وثوابنا الذي تفضل به علينا فنحن راضون بحكمه فما أعطانا ربنا إنما هو فضل منه فلا يرتجع فضلا منه ما أعطانا من الايمان والصراط المستقيم فهو الكريم فلا يرتجع ولا يعتصر ما وهب وانما اخذه ليكون ذخيرة لنا عنده فقولنا (إنا لله) اقرار له منا بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على انفسنا بالهلاك قال صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول إنا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف عليه خيراً منها . فإن اعطيت امة ما

اعطيتـه هذه الامة من الاسترجاع قال يعقوب « يا أسفى على يوسف » [قلت] وانما قاله تستراً لحال يوسف إظهاراً انه لم يعرف قصته وموضعه والغرض ان الله اعلمه بتفاصيله فلم تغب صورته فالاسترجاع إنمـا فائدتها باللسان عن القلب المطمئن بربه فيستسلم لربه فحذف المبشر به ودلت عليه الآية بعده فالرجوع إلى الله بحيث لا يملك فى ظاهر الامر شيئاً ولا حاكم يحكم عليه ولا ناصر ينصره ظاهراً وهو الآخرة فالدنيـا وان كانت ملك الله تجلى فيها بالاسباب والوسائط ففوائد الكلمة كثيرة شغـل نفسه بهـا عن كلام قبيح وتسلية قلبه وتقال حزنه وقطع طمع الشيطان فى الموافقة بكلام قبيح واقتداء غيره به وتذكر قلبه معانى ما نطق به لسانه من الاعتقاد الحسن والتسليم لقضائه وقدره فإنه لربمـا يدهش ذكرته الكلمة الطيبة فالصبر من خواص الانسان فلا يتصور فى البهائم لعدم العقل في شهواتها فليس الملائـكة شهوة تشغلهم عن الاشتغـال بخـدمة الله وتمنعهم عن الاستغراق في حضرة ذى الجلال فالانسان فى صغره كالبهائم له شهـوة غالبة غالباً بغذاء ولعب فإذا بلغ انضم مع الشهوة عقل يرده إلى الاقبـال إلى السعادات فتكون شهواته أذوية لبقاء بنيته التي يركب عليها لحضرة الله تعالى فنور عقله قاهر لسكرة الشهوات فيكون بين داعية العقـل والشهوة فداعية العقل المضادة لداعية الشهـوة هى المسماة بالصبر وهو ضربان صبر بدني فعلا كالافعال الشاقة أو انفعالا كالثبات على الالم ونفسانى وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فإن حبس عن شهوتي البطن والفرج

سمى عفة وإن كان احتمال مكروه فإن من مصيبة خص بالصبر وضده الجزع وهو اطلاق داعى الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوه وان كان في حال الغنى سمى ضبط النفس وضده البطر وان كان فى مبارزة الاقران سمى شجاعة وضدها الجبن وان فى كظم الغيظ سمى حلماً وضده التبرم وان كان في نائبة من النوائب سمي سعة الصدر وضده الضجر وضيق الصدر وإن كان فى اخفاء كلام سمي كتمان النفس وان كان فضول العيش سمي زهداً وضده الحرص وان على قدر يسير مال سمي قناعة وضده الشره وليس الصبر ألا يجد ألم المكروه ولا يكرهه فإنه غير ممكن فالصبر على المصيبة حمل النفس على ترك إظهار الجزع فلا باس إن دمع أو تغير لونه فقد بكى الرسول صلى الله عليه وسلم على إبراهيم ابنه فقيل له فيه قال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا فالصبر عند الصدمة الاولى والا سمي سلواً وهو مما لا بد منه فلو كلف الناس ادامة الجزع لم يقدروا عليه. وصف الله الصبر في القرآن فى نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الخيرات اليه « وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، فإن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » أولئك عليهم

صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) الايمان هو الصبر من أفضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر يوتى بأشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى بأصبر أهل الارض فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الرب لقد انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى أضعاف الشاكرين الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر. فالمشبه به أقوى. شارب الخمر كعابد الوثن. روي أن سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء بأربعين خريفاً لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمان بن عوف لمكان غناه. ابواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد فأول من يدخله أهل البلاء إمامهم أيوب (اولئك عليهم صلوات) مغفرة (من ربهم ورحمة) لطف واحسان فأصل الصلاة من الانس والجن تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار ومن الله رحمة مقرونة بتعظيم وجمع بينهما ايذاناً بأن رحمته غير منقطعة (واولئك هم المهتدون) الى الصواب باسترجاعهم واستسلامهم لقضاء الله فنعم العدلان ونعمت العلاوة قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يصب منه ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه. قال لامرأة إن شئت دعوت الله أن يشفيك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل اصبر ولا حساب علي. سئل عن أشد الناس بلاءً فقال الانبياء والامثل فالامثل. يبتلي الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه

صلباً ابتلي على قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الارض ما له ذنب. ان اعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط. لا يزال البلاء بالمومن والمومنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة. مثل المومن كمثل الزرع لا يزال الريح يثنيه ولا يزال المومن يصيبه البلاء ومثل المنافق كشجرة الارزة لا تهتز حتى تستحصد عجب للمومن ان أصابه خير حمد الله وشكر وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمومن يوجر في كل أمره قال علي كرم الله وجهه من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط اجره. يعني لم يصبر فالاجر على الصبر واعلم أن البلاء سبب للتصفية قال عليه السلام ما اوذي نبي مثل ما اوذيت يعني ما صفي أحد مثل ما صفيت فالوفاء والجفاء سيان عند العشاق. قال الحسن قال جدي صلى الله عليه وسلم يابني عليك بالقنوع تكن من أغنى الناس وأداء الفرائض تكن من أعبد الناس يابني ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يوتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الاجر صباً ثم قرأ « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ». فالمرء ما لم يمت باختياره قبل اضطراره لا يصل الى الحياة الحقيقية فمقام يقال له وادي الحيرة عليه قنطرة فمن ركبها نظر الى المراتب وراءه فيرى مطلوبه ويظن الوصول فلا سبيل اليه انفاس الدهر فيتحير بين المراتب وراءه وبين مطلوبه فيرى نفسه عاجزاً الى مقصوده فيضطرب

في الوادى عمر أنفاس الابد . رب زدني فيك تحيراً . بين دليل شرعى يقتضي التشبيه فتحير في التشبيه ظاناً تشبيهاً عقلياً فيطمع في الوصول وصولا حسياً وهو محال أبداً فلم يدر ان التشبيه انما هو أمر شرعى والوصول وصول طاعته ومعانقتها بالرضى والفرح والشكر آناء الابد دنيا وبرزخا وجنة أو غيرها وبين دليل عقلي يقتضى التنزيه ظاناً تنزيهاً عقلياً وهو التعطيل ولم يدر أن التنزيه انما هو شرعى بحيث لا يصفه الا بما يصف به نفسه فأنت بالشرع عارف لا بنفسك فتقيد به وألجم نفسك بليس كمثله شيء ولم يكن له كفؤاً احد فالتحير هو ضلال الانبياء « لفي ضلالك القديم ، ووجدك ضالا » متحيراً فهداك بكمال التحير حيث طلبته وعرفت بربك لا بعقلك كما ان للعالم وادى التحير وهو عدم التوفيق لمرادات العليم فيفسر الالفاظ التي انزلها الله كالامثال لمن عرف اصولها وهى حكم لا تتغير وهو العلم بالرعاية لا بالرواية فكونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة فقط فالمطلوب الاهتداء بالعلم والاقتفاء اثر الرسول صلى الله عليه وسلم في العلم والتوفيق والاكتحال بإثمد التوفيق والتحقيق فلا تقنع أيها العالم بسرد المتون من غير أكل وشرب للب الحقائق فالله حق وما ادلاه حق والدال عليه حق والاهتداء بالعلم حق فهذه المرتبة لا تتيسر لكثير والعبور انما يكون على يد نائب عن الرسول وهو الشيخ الكامل الفارغ من نفسه المشتغل بإيصال الغير الى ربه بنور نفع السنة الربانية (ان الصفا والمروة من شعائر الله) فسمي الصفى لجلوس الصفي آدم عليه السلام وهو

بمكة وعليه الآن بناء فالمروة جبل بمكة سمي مروة لجلوس امرأة آدم عليه فالسعي بينهما (من شعائر الله) جمع شعيرة من العلامة من اعلام طاعة الله من مناسكه ومتعبداته وهي المواضع التي نصبها الله علامة تعرف بها العبادة المختصة به جعل عليه المشركون صنما في صور رجل يقال له إساف وعلى المروة صنم على صورة امرأة نزوى انهما زنيا بالكعبة فمسخا فوضعا عليهما نكالا فلما طالت المدة عبدا من دون الله فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون من أن يروهما استقذاراً لما كانوا عليه فأذن الله في الطواف بينهما. اعلم ان حقائق الحج أعظمها متعبد به فلم تطلع العلماء غالباً على حكمته فما روى أن هاجر كثيره من القضايا ليس مقصود الله ذلك فقط فمقصود الله ان نأتمر بأوامره فالحقائق الشرعية إنما نعبد بها ربنا لا غير فما أدركته العقول حمدنا ربنا من اسرارها وما لا فنكل امره إلى الحكيم الخبير تعالى فلا يمكن استيفاء حكمة حقيقة واحدة أبداً إلا بفيض إلهي وذوق صمداني فمثال المتعبد به عند الاجلة مثال ملك قال لبعض عبيده احفر هذه الصخرة فلم يبين له قصده وحكمته فيحفر لامر سيده لا غير فهذا إنما خدم لامر سيده لا غير فإنه طمست عنه حقيقته فهذا هو العارف العابد ربه تبعاً لامره تاركا للاغراض مع ربه ومضرباً عن التطلع الى أسرار الحفر فإنه عبد له ان يعمله بلا فائدة تعود عليه بزعمه وإلا فلا بد من حكمة فالمعلل: مثال ملك قال لعبده احفر هذه الصخرة فتجد تحتها كنزاً فتمولّه لنفسك فإن قصد امتثال سيده بالحفر والكنز اذا

هو إنعام اتحف به حالته فهو وكنزه لربه اصاب فهو كالاول مع ملاحظة فضل سيده وإن اضرب عن الامتثال حريصاً على نهمته فقط قاصداً عينية الكنز ناسياً امتثال الامر وان امتثل فهو عبد نفسه لا غير وعلى كل فلا يعدل عن المعالي ما أمكن لكن او جدنا الله بلاء وكلفنا بلاء وارسل الينا بلاء بالاعمال المتقنات بالحضور مع الرب والآداب فيها بالافراد إلى ربنا لا غير فنحن فضل والعمل فضل والثواب فضل فالكل من الله وبه وعليه فلا نرى الايجاد والوجود والاحسان الا منه فهو الذى اوجد وأرسل الرسل وأنزل الكتب لمعرفته وقوى الاجساد بالارواح ووفق فلا منة لمخلوق علينا فهو الذى خلق الوسائط والاسباب وأمرنا بمراعاتها ومعانقتها فامتثالنا بربنا لا بأنفسنا فلا حول ولا قوة للعبد من حيث هو مخلوق ومقدور إلا بالله باعانته واقداره. وفي الخبر الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان من مواضع الاجابة ما بينهما قبر سبعين الف نبي وسعيهما يعدل سبعين رقبة فرتبت هذه الآية على ما قبلها لاشتراكهما في البلوى ومن مناسك ابراهيم وهاجر ام العرب فتذكر العارف ما جرى لهما ليعرف ما يفعل الله بأحبابه ثم تكون الدولة لهم. فأقسام التكليف ثلاثة: ما يهتدى العقل الموفق بأنوار الشرع الى حكمته وحسنه كشكر المنعم وذكره فاذكرونى أذكركم. والثاني ما ركز في العقول قبحه والنفور منه كالالم والفقر والمحن فإن الله لا ينتفع به ويتألم به العبد لكن لما ورد الشرع به وبين حكمته وهو الابتلاء «ليبلوكم أيكم أحسن عملا» ليقع الحكم على

مقتضى الشريعة في الآخرة بأداء الحقائق بالشهادة للعبد وعناية ليترتب نسبة الفعل اليه ظاهراً والثواب عليه آخراً ففعله وأجره كملكه في المجازية في سوق الحقائق فالفاعل والمالك هو الله فقط لكن سلك مسلك الحقائق اعتباراً أسواق الشرائع والاسباب والوسائط استحسنه العقل واستحلاه واستسهله اللهم وجع مرة ثم ينقطع ويترتب عليه الشفاء المستمر خير من استصحاب الفشل الدائم المانع من حضرة الملك الحق « ولنبلونكم بشيء من الخوف » الخ . والثالث ما لا يهتدي العقل إلى حسنه ولا الى قبحه بل يراه في زعمه وانحجابه عن الحقائق عبثاً او كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة فلما امر به تعبد به فلم يطلع على حكمته فالامر به هو عين الحكمة الا أن العقل يبحث عن ازالة الالباس لكن امتثل ففعل مسنداً امر الحكمة الى الامر به وهو اكثر افعال الحج فإنه وضع لمحض التعبد فالحج لغة القصد المكرر رجل محجوج مقصود تقصده الناس مراراً ويزيد قصد المريدين كل يوم لكرمه مثلا فالصفاة صخرة ملساء جمعها اصفا وصفى « كصفوان عليه تراب » صفات صفواء وإن ذكروا اصفى صفوان فالمروة الحجارة البيضاء البراقة وجمعها مرو (فمن حج البيت) فالحج عبادة مركبة من إحرام به ووقوف بعرفة وطواف بالبيت سبعاً والسعي بين الصفا والمروة سبعاً بنية التقرب نزلت الآية لما كره الناس النظر اليهما وتركوهما فالشعيرة ما أعلم به ابراهيم (أو اعتمر) فالعمرة لغة الزيارة فصارت حقيقة شرعية في زيارة البيت مركبة من احرام والطواف

والسعي بسننها (فلا جناح) لاذنب من جنح عن الخير إلى الشر مال (أن يطوف) يتطوف أي يسعى (بينهما) سبعاً إبدءوا بما بدأ الله فازال الجناح باعتبار ما توهموه منه لاجل فعل الجاهلية فأوجبه بقوله « من شعائر الله » وهو ركن وبين أن ما فعلوه قبل الرسالة معفو عنه فلا يضرهم بعد الاسلام فإن الله امرهم بالسعي امتثالا لربهم تائبين بالاسلام من أفعال الجاهلية فيجب عليك أن تعرف في ما يقابل به الحق خلقه حيث كانوا مشركين ثم أسعدهم وكانت الصفا صنماً مدة طويلة ثم صيرها مشعراً فلا حظ لاحد في ملك الله فإنه يمكن أعداءه من احبابه بلاء وعبرة فلا تقل لم وكيف فإنه تستوى عنده الحقائق كلها فلا منفعة له في الخلق وإنما تفضل بحكم واحكم فلا تحاقق فإنه فعال لما يريد وعليه فإن رأيت كافراً فاحمد ربك الذي صيرك مومناً واعتبر في صنعه وحكمه فإنه لايبالي وان رأيت فاسقاً فاحمد ربك على مرتبتك فلا تقطع لهما بسعادة ولا بشقاوة فإن العلم القديم مغيب على كل أحد: إنما الامور بخواتمها. وهي على سوابقها وهي على مقتضى حكمة وعلم منشئها فلم يكره احد أن يكون سعيداً في الدارين لكن القبضة أصحت البعض واسكرت البعض « كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا » فقد تبصرنا بك يارينا وانتهينا واستسلمنا ورضينا بحكمنا بأمرك فلك الحمد على ما أوليت وبينت وأوصلت فاذن التطوف وهو التفعل بتكلف الطائف جهده مشياً وذكراً واعتباراً ومشاهدة من يعبد بينهما ومعاينة الحقائق بأسرار اخفاه الذي يعلمه الله « يعلم السر وأخفى » منه

تحذير من ذنوب الاسرار وهن ذنوب المقربين من خائنة اعين بصائر المقربين وهو الالتفات إلى بعض طرق هواه في حضرة مراد ربه . فالعبادة من حيث هي مراد الله فلا يومن احدكم حتى يكون هواه مع ما جئت به . فهوى المقرب الشريعة والطريقة والحقيقة ابداً فلا يحل له هوى نفسه من الركون إلى المباحات من غير نية تقربها من الواجبات فالمباح عنده أكبر من الواجب فإنه عنده لا يؤثر بطرفيه لمقام التخيير والتخير (ومن تطوع خيراً) تكلف حتى يصير له حالا ان يأتي بطاعة ربه من حيث هي فإن الطاعة لربه من حيث هي واجبة عليه بقدر الوسع فإنه لم يجوز له ربه أن يغفل عنه نفساً واحداً « مازاغ البصر وماطغى » فإنه خلق لربه لا لنفسه فما يعانقه من المآكل والمناكح وغيرها إنما يعمله لربه لا لنفسه لا لكرها فإننا أقلام يكتب بنا وفينا ومنا ومعنا ما يريده يسبح به ويقدس فالكون كله تقديس وتسبيح لله تعالى فإن الكون كشبكة معلقة في الهواء بيد الرب أمسكها بحبل الافضال والفضل متدلة لربها به في حضرة قدسه فعلم الكون بأن الامر والسبب من ربه فقد سبح واستراح (فإن الله شاكر) مجاز بالثواب فضلا شكر الله صنعه أثابه ورضي عنه فالاثابة لازم الرضى ملزوم الشكر فالشكر مجاز في الرضى والرضى مجاز في الشكر واطلاق الشكر على الاثابة مجاز ثان ألزمنا أنفسنا أثابته فالجواب شكرناه على جميع انواع الطاعات فرضاً او نفلا فالسعي عند الشافعية ركن كما حققته عائشة لعروة لما سألها عن احتمال افادة اللفظ جواز الترك قالت

له فلو كانت الآية على ما تأولتها لقال « فلا جناح عليه » ألا « يطوف »

[قلت] « فلا جناح » ان تفعل اباحة للفعل فأيد الحديث ركنيته : إن

الله كتب عليكم السعى فاسعوا له . فلا جناح ألا تفعل إباحة لترك الفعل

فلا عبرة بمذهب الفراء مع فصاحة عائشة وعلمها بمقاصد الشرع واللغة

فأبو حنيفة ليس بركن تمسكا باحتمال عروة ومذهب الفراء والمشهور

عند المالكية الوجوب ركناً وما في العتبية ضعيف يجزئ تاركه الدم (ومن

تطوع) بالزائد على الواجب لركن (فإن الله شاكر عليم) بطاعة المتطوع

ونيته فيها . ففائدة الصوم قهر النفس فالزكاة تزكيها فالصلاة المعراج

الروحاني فالحج الوصول فبناء الرباط ينتفع به الناس افضل من الحجة الثانية

والحج تطوعاً أفضل من الصدقة النافلة وحج الفرض اولى من طاعة

الوالدين بخلاف النفل وحج الغني افضل من حج الفقير فالفقير يؤدي

الفرض من مكة ويتطوع فى ذهابه وفضيلة الفرض افضل من فضيلة

التطوع فعلى العاقل ان يقصد بيت الله فإن لم يساعده المال فلتساعده الهمة

والحال فالمعتبر توجه القلب إلى جانب الغيب لا مجرد توجه القالب

فالشكر من الله ان يعطى اكثر ما يستحقه فإنه يشكر اليسير ويعطى

الكثير . ونزل في علماء اليهود وعم فى غيرهم (إن الذين يكتمون ما أنزلنا

من البينات) كآية الرجم ونعت الرسول صلى الله عليه وسلم فعموم

الحكم لا يابى خصوص السبب فالكتم قصد عدم تبيين شىء مع الحاجة

اليه وحصول الداعى الى اظهاره بستره او ازالته ووضع شىء آخر في

موضعه (والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) التوراة من غير شبهة وهو ما انزل من الوحى دون أدلة العقل فدخلت الدلائل العقلية في « والهدى » والنقلية فظهر به تغاير المتعاطفين (اولئك يلعنهم الله) يطردهم ويبعدهم من رحمته بكتمهم الحق (ويلعنهم اللاعنون) يخبر عنهم بأن الله لعنهم تلعنهم الدواب معناه تسبهم بطردهم عن رحمة الله وأما الدعاء باللعنة فلا ينبغى فإن من اراد الكفر لاحد فقد رضي به فلا ينبغى ان يرضى احد بالكفر فالملعون هو الكافر فمن قصد الدعاء حجر فإن الخلق عيال الله فيجب عليك ان تحب لاخيك في المفعولية ماتحبه لنفسك وهو الايمان والوصول بالله لعن الله ابليس إخبار لادعاء فاو وجدنا له رحمة لرحمناه ولكن لم تسبق له فلزم الاخبار بأنه كافر فى علم الله مامون عانص به القرآن . ما تلاعن اثنان الا ارتفعت اللعنة بينهما فإن استحقها احدهما والا رجعت على اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام فاللاعنون جميع الخلائق يسبونهم به لأنهم يقولون اللهم زدهم فهو مما لاينبغى وان تتالأت عليه المفسرون فمن طلب لغيره زيادة الكفر كمن طلب زيادة البغاة على السلطان فهو عليه من البغاة فإنما أظهر الله الكافر ترتيباً لحكمته لأنهم تغلبوا عليه فإذا امسك المطر تقول البهائم هذا من شؤم بني آدم فهو لعنتهم لا الطالب فقول الملك اللهم أرزق لممسك تلفاً معناه اللهم وفقه لاتلاف ماله فى مرضاتك حتى يثاب كالمنفق لا أن الملك يريد افساد الانسان واتلاف ماله بلاعوض فقول الناس اللهم العن فلاناً لا يقصدون

دعاء من باب تربت يداه كلمة تجرى بلا قصد ولو من الشارع فهو اللغو الذى لا يؤاخذ به ولا يستجاب له فإنه لم يقصده وإن نطق به حالة الغضب تاب منه فلا يحل اخذ الاجرة على التبيين . قال ابو هريرة اولا آية من كتاب الله ما حدثت احداً بشيء ابداً وتلا « إن الذين يكتمون » [قلت] قاله لما قيل فيه انه أكثر من الرواية ولم يكن اسبق الناس إسلاماً فإنه آخرهم وقصد إزالة ما قالوا لا أنه إنما يعلم خوفاً فقط بل يرشد ويبلغ لوجه الله العظيم فلو لم يخف ما وسعه السكوت عن الحديث فافهم فانه يجب على كل عالم ان يبلغ فإن قصد الكتمان حرم وان قصد أنه كان من يكفيه فلا فأبو بكر وعمر لا تحدثان بكل ما سمعا إلا عند الحاجة فإنه يكفيهما من احترف التبليغ فالزبير اقلهم حديثاً فلا يلزم التبليغ إلا من سئل قال صلى الله عليه وسلم : من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار . فإن لم يسئل لم يلزم إلا فى القرآن وحده وكره عمر كثرة التبليغ فسجن من أكثر [قلت] يعني ان لم يتحقق معاني الاصول والرعايات واما من كان اهلا فقد قال صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها . (إلا الذين تابوا) من جميع ما يتاب منه من كتمان وغيره (وأصلحوا) ما افسدوا وتداركوا ما امكن مما فرطوا منه فمن أفسد غيره بشبهة فلابد ان تاب ان يبينها له ويزيلها (وبينوا) ما كتموا مما بينه الله وامر باظهاره فدلت الآية على ان التوبة لا تكمل الا ان تاب من كل مالا ينبغى ويفعل كل ما ينبغى . (فاولئك اتوب عليهم) قبل توبتهم

والتجاوز عنهم بالقبول وإفاضة الرحمة فإن قبلت زال عقاب من تاب (وانا التواب الرحيم) بالمؤمنين فالتواب القابل للتوبة ابداً والرجاع لقلوب عبادي المنصرفة عني فاما ذكر لعنته إياهم احياء أردفه بأنهم ملعونون امواتاً (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) من لم يتب من الكاتمين حتى مات فالكتم يستلزم الكفر (اولئك عليهم لعنة الله) المخصوصون بها (و) لعنة (الملائكة (و) لعنة (الناس أجمعين) طردهم الله عن حضرة رحمة الاختصاص بالمحبة والقرب فى الدنيا والآخرة؛ فلعنة الملائكة والناس السب بالكفر والتعيير به فالناس كل آدمى ومنهم نفسه والكافرون فإنه يسب نفسه حيث عاين العطب السرمدي قال تعالى يلعن بعضهم بعضاً « كلما دخلت امة لعنت اختها » اي سبتها؛ فلعنة الله عليهم طردهم وعدم رحمتهم والنكال لهم وفيه أن الامور بالخواتم فمن كفر وكتم ثم أسلم سعد وعليه فلا يجوز سب كافر معين لعدم تحقق كفره ولا من مات منهم ولم يبين الشرع موته واما من عينه الشرع كابليس وأبى جهل فيباح سبه باللعنة من غير قصد الزيادة والاغراق فى الكفر؛ وانما يسب به إظهاراً لعداوته واما من اختلف فيه كأبي طالب فالورع التجنب بكيف وقد قيل ولاسيما من قرابته صلى الله عليه وسلم حماه الله فى أعراض الناس : اذكروا موتاكم بخير . فقط شرط فى هذه الآية الموت على الكفر فلا يقين إلا بالشرع فلم ينزل شرع بتبيين الحقائق بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لعن المومن كقتله . فمن ثبت انه ملعون على يد النبي فمحمول على انه علم انه يموت

على الكفر واما لعن الله الكافرين فجائز فإن اللعنة إنما سقطت على من كفر حقيقة بالموت عليه (خالدين فيها) 162 في اللعنة المستلزمة للنار (لا يخفف) لا يهون عليهم (العذاب) طرفة عين (ولا هم ينظرون) يمهلون ولا يؤجلون ليعتذروا « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » ولا ينظر اليهم نظر رحمة فالنية هي التي تخلد في جنة أو نار فإن الكافر نوى الكفر أبداً والمومن نوى الايمان ابداً فيخلد بها في الجنة فالعاصي إن نوى اقامة على معصية سنة او اقل أو اكثر مثلا ولم يتب ولم تدركه عناية ربانية خلد في النار على قدر نيته ثم يخرج إلى الجنة وكر إيمانه فاما أساءوا بسوء الاعتقاد بربهم احرمهم من لطفه ورحمته وغمسهم في بحر سخطه وإنما حمل رؤساء اليهود على ما فعلوا من الكتمان خوف زوال رياسة العلم منهم فتبطل رشاهم فذلك قليل باعتبار سخط الله عليهم . روى أنه اصطاد مومن وكافر فالمومن يذكر ربه ولم يصطد شيئاً والكافر يذكر صنمه وملا مكتله حوتاً فتعجب ملاك المومن فأراه الله جنته ونار الكافر فقال وعليه ماضر المومن ان يصير اليها وما انتفع الكافر ان يصير الى النار فسبحانك يالله فلو تيقن المومن كماله انه يحترق بالنار ما ارتكب معصية كمن تيقن في غار وجود حية فإنه لا يدخل يده فيه فإن الله جعل المومن الاطماع بأنه يتوب بعد انتهاز هذه المعصية ثم يتوب فربما يتوب وربما يسترسل وهو غرور لا ينفعه ولا يعذر به في الجملة « ما غرك بربك الكريم » فمغفرة الله هي التي غرت المجرمين فلا عذر فالرسول بمنزلة النذير العريان يعلم بالعدو

وراءنا فيجب علينا الاحتراز مما حذرنا منه فينزل المؤمن المشفق على نفسه مخالفة أوامر الله منزلة سفود نار فإن الطبيعة لا تنشط لكية بل تنقبض وتنفر وعليه فلا ينتشر عضو للزنى فإنه سفود نار وكية فلو شاهد النار ما امكن أن ترتاح وتبتهج بها نفسه بل تنفر فما اخبر به الشرع أشد يقيناً او عاماً مما نشاهده بمدركات احساسنا فالمرأة الاجنبية ينزلها المشفق بمنزلة حية فالنظر اليها يضر بالبصر والبصيرة وبالدين ويسقط مرتبته عند ربه فالشريعة نور كنور الشمس ومخالفتها ظلام كليل فالظلام هو إبليس وعساكره فإذا اختلى الانسان مثلا مع أجنبية زاعماً انه صالح عالم كبير يتبرك به فلا تضره الخلوة معها فإن هذا الفعل إزالة قشر الشريعة فبقي معه إبليس فقد أطفأ المسكين عليه نور الشريعة وأغرق نفسه في بحر الظلمة فلا تمر عليه دقيقة حتى يصير هو عين الشيطان ويفعل فعله ويبتلى بما ابتلي به ابليس من الطرد واللعن بمفارقة الشريعة فلا صلاح الا بالشرع (وإلهكم إله واحد) 163 فالواحد من لا نظير له ولا شريك فالخطاب لكل ما سبق في علم الله انه يوجده من كل مخلوق وهو ما سواه وهو تعالى الفرد في الالهية فلا يصح أن يسمى غيره إلهاً فالاله كل معبود بحق فلا يعبد بالحق إلا الكامل من كل وجه واعتبار وهن صفات الكمال «الله الصمد» فلا يكمل من كل وجه الا المتقدس من كل عيب ونقص وهن صفات السلوب «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد» فلا يكون كذلك الا الواحد في ذاته الاحد في صفاته وهو الله تعالى وغيره خيمته خلقها وخلق

فيها عبيده وأضافهم الي نفسه يفعل فيهم ما يشاء وعلمهم اجمالا وتفصيلا قبل وجودهم فنصب الانبياء في وسطهم لتدلهم على سيادة سيدهم الواحد الاحد لا غير فتظهر اسماؤه فيهم فيظربهم للغير ومنه كاله لتقوم شهادة لكل احد وعليه بأنفسهم «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» لما وجدتا أصالة (لا إله) لا معبود بحق يستغني عن غيره من كل وجه واعتبار ويفتقر اليه غيره من كل وجه واعتبار يقبله الشرع والعقل المهتدي بالشرع المشروح صدره للايمان (إلا هو) وهو المعبود بالحق من كل وجه واعتبار فهذا التفسير هو مقصود الشرع مع موافقة النظم العربي وقولهم لا مستغنى عن كل ما سواه تفسير باللازم فقط فقرر الوحدانية وأبطل ما يفيده لفظ الاله من إيهام التعدد فإنه وضع لكل معبود بحق فبين أنه لا وجود للتعدد أصالة فإنه لا يقبله العقل فإنه ان فرض محالا فإما ان يتفقوا او يختلفوا فإن اتفقوا لزم تأثير القدر المتعددة في الجوهر الفرد وهو لا يتصور في كل حقيقة وهو غير معقول وان اختلفوا لزم ألا يؤثر الا واحد فمن اثر فهو الرب مثلا ومن لم يؤثر فهو العاجز فليس برب لنقصه فالمؤثر ان ماثله عجز ايضاً فماثل العاجز عاجز وان لم يماثله فهو الله الحقيقي فهو دليل يقيني قطعي انه لا يتصور في العقل تعدد الآلهة والشرع فاستدل على الوحدانية بقوله (الرحمان) الموجد لكل موجود مخلوق (الرحيم) المختص بفضله المومنين بالتعلق بالشجرة الايمانية المستلزمة لنتائجها من نبوة وولاية وإيمان وكل خير فما سوى الله تعالي اما نعمة او منعم عليه فالكل نعمة عليه

قال صلى الله عليه وسلم ان في هاتين الآيتين اسم الله العظيم الاعظم والهكم اله واحد لخ والله لا اله الا هو الحي القيوم. فكان المشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فتعجبوا فقالوا ان كنت صادقاً فات بآية تدل على صدقك فنزل (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار) لخ فجمع السماوات فإن كل سماء تخالف الاخرى ذاتاً وأفلاكا وأفرد الارض فإنها وان انقسمت الى سبع قرص بعضها فوق بعض لكن خلقت من جنس واحد وهو التراب فهي طبقات كالسماوات فالآية في الارض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والاجبال والدواب والجواهر فالآية في السماء ارتفاعها بلا عمد وما يرى فيها من المصابيح الالهية وهي النجوم فلا تعتقد في النجوم الا ما سماه الحق تعالى « وزينا السماء الدنيا بمصابيح » وفائدتها الاستضاءة بها والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر والرجم بشعل انفصلت من القناديل للشياطين من كل صنف فالجن يضرب بها فتخيله الملائكة وعقول الكافرين تحرقها الشعل وتزيغها عن سنن الاعتدال تظهر فائدتها في المستقبل و« مواقيت للناس » فمن سماها بغيره ضل ومن تعلق بشيء من غيره ضل ان لم يعتقد التاثير والا كفر فلا علم متعلق بالنجوم فلم نكلف به ولم يات به الشرع وان ذكر في القرآن فنقتصر على ما بينه الشرع فلا علم لاحد في حقائق النجوم أياً كان وكل ما الف فيه انما هو تخمين والتخمين ظن والظن لا يغني في سوق الحقائق شيئاً فليتب كل واحد الى الشرع يهتد به ثم انه لا ينتفع بعلم التنجيم غاية

وفائدة لما رام من غير الفوائد الثلاثة الا ان اعتقد التاثير فإن اعتقده كفر
وتسخرت الشياطين بأنواع السحر وتنفعل له شبه السحر يخالها حقائق
وهو كافر بالله فما سوى الله مفعول لا يفعل أبداً فالايمان الوقوف عند
الامر الالهي فكل من عاق باستخراج الحقائق الغيبية بالنجوم حساباً
وغيره لزمه ما لزم المشركين فصار واحداً منهم فالارض انما هى بيت
خلقه الله لآدم واولاده وأسمكه بسبع سقوف وأدلى لنا في السقف الموالي
مائة الف واربعة وعشرين الفاً من المصابيح فمنها مجتمعة ومفترقة وعلقها
في سلك انتظم به امرها فالسلك هو الافلاك فلم نكلف بحقيقتها
وانما كلفنا بالاعتبار فى صنع ربنا وأجرى لنا في البيت الاودية
والبحار للانتفاع والاعتبار فلم نكلف بقرص الارض تحتنا ولا بحقائق
السماوات فوقنا غير أننا نعتبر ملك ربنا وقدرته ونقتصر على الشرع
فالشمس من السماء الرابعة والنجوم الثوابت مركوزة في المكوكب وهو
فلك العرش (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما فى المجىء والذهاب ان
جاء أحدهما غاب الآخر «وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة» اختلافاً في
النور والظلمة والزيادة والنقصان فالليل جمع ليلة. والنهار جمع نهر فالليل
اقدم قبل خلق الشمس «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، والليل سابق
النهار» فعجائب الليل كونه مقمراً ومظلماً وكونه طويلا عند ناس وقصيراً
عند آخرين فعجائب النهار طوله على اناس فقد يكون الفجر عند قوم
هو العصر عند آخرين فالليلة تابعة لليوم بعدها فليلة عرفة تابعة لما بعدها

كغيرها على الاصح (والفلك) والسفن (التي تجري في البحر) لا ترسب في الماء وهى ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف وتقبل وتدبر بريح واحدة (بما ينفع الناس) حال كون السفن تجري مصحوبة بالاعيان التي تنفع الناس ركوباً وحملا فينتفع الحامل بالربح والمحمول له بالانتفاع به فالسفن تذكر وتؤنث «اذ ابق الى الفلك المشحون» فالفلك سبب الخوض فى البحار فقدمه على المطر والسحاب فإن منشأهما من البحر غالباً يعني بحر المحيط الذي خلقت منه هذه الدنيا وهو الماء الذي تموج فاجتمع فيه كومة الدنيا وهو الذى فرشت وبسطت الدنيا عليه بعد الدحو كحصيرة فاضطربت فارسيت بالجبال لا من بحار الارض فهذه البحار التي يخاض فيها بالسفن انما هى كالاواني والخوابي في وسط البيت فالاشاعرة على أن الامطار لا تستمد من البحار نعم باعتبار بحار الدنيا فالبحر الذى قلنا يمد السحاب هو البحر الاصلي الذى خلق منه العرش وما في جوفه وهو مخلوق من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذى تضربه الرياح الربانية من الملائكة وغيرها فيرتفع ويتموج بين كل سماء وأرضها حتى يصير بحراً مكفوفا مشتبكا فوق قرص الارض كاشتباك الاصابع فتستف منه السحاب بقدرة الله فتمشي الى موضع امرت به بزجر الملك فربما تمتص السحاب طرفاً من البحر الارض والاودية وهو الذى يصير برداً وثلجاً في بعض الاحوال فصح وجود الماء بين السماء والارض وفيه الحوت وكلف به الملك المسمى بالروح وهو ملك عظيم فالعرش وما في جوفه

كذلك على سطح البحر المحيط فإذا علمت ما أشرت له يتضح لك ما انبهم
من كل ما ورد في وجود البحار وما نقل فلا تعتبر إلا الشرع فأهل علم
الهيئات ممن يقوم تخميناً في المكونات يخالفون مذاهب الفقهاء أهل
الشرع فيقولون مثلا الارض كرة صح باعتبار الاصل قبل الدحو
ويقولون ان السحاب تستمد من البحر صح لكن من المحيط لا ما يزعمونه
ويقولون ان الشمس تغيب تحت الارضين صح باعتبار رأي العين
كالرحى تدور وتخيل خيالات فلا ينفع في سوق الحقائق التخييل والتخمين
فما من واحد إلا وله شبهة يبطلها العارف ويبقى المذهب سالماً فقد سخر الله
السفن في البحر والتجار المخاطرين لاجتلاب السلع لتتصل الاقطار
كالمراكب البرية المحدثة بفضل الله من الجمال والسيارة الارضية والطيارة
الهوائية فالكل فضل من الله يجب الشكر عليه فما لا يوجد في قطر يجلب
بسرعة من قطر آخر فصارت الدنيا حالتنا كمدينة واحدة ودار واحدة
فتوشك الفلات تجميع قرص الارض غالباً عند جميع الناس فيصبح في موضع
ويبيت في مسافة شهر « غدوها شهر ورواحها شهر » فالسفن أصل
لكل سيارة في البحر وهو بتعليم جبريل لنوح عليه السلام وكل سيارة
في الارض من غير فرق فبساط سليمان أصل لكل سيارة في الهواء على
يد الارياح والارواح فالكل على المؤمن نعمة وله عبرة . استنبط سيدنا
آدم سبعة عشر ألف حرفة فإلى الآن لم تستتم حرفه واستنبط من حروف
المعجم ألف لغة فإلى الآن لم تستتم لغته ولا تقوم الساعة حتى يقع العمل

بجميع لغاته وحرفه فالكل بالوحي من الله فالغالب على ما ظهر من الحرف إنما هو ما استعمله إدريس عليه السلام وهو أربعة آلاف حرفة « ويخلق ما لا تعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون » وإنما المذموم الغفلة عن الآخرة والاوامر الشرعية وأما العلم بالظواهر مع تمام الاقبال به إلى الله والاعتبار لنعمة العلم والعقل فممدوح والشكر أبداً فكل ما أحدثه بارادة الله وقدرته أهل الحرف الدنيوية مسلمين او مشركين فمن تعليم الله الدال على كمال خالق العالم واحكام صنعه حيث اظهر حرفاً عجيبة كالكهرباء والخاطف للكلام بسرعة من غير رؤية اثره ظاهراً على يد المشركين من كافر الجن زمن سليمان فإن سليمان عليه السلام لم يرسل اليهم وانما سلط عليهم عذاباً ونكالا فاستخرجوا له حرفاً وداوه على خواص النباتات وأعملهم فيما يشق على الانس تعذيباً لهم فاتصلت كمان الانس بالاستنباطات من حرفهم حتى ظهر ما ظهر مما لا يعرفه قوام الأولين فلا تزال الحرف تتسع حتى يعمل بجميع ما أراد الله فلا يستغرب ما ظهر وسيظهر فإنه يدل على قدرة الله خالق الافعال والانفعالات « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » فالكل ما ظهر او سيظهر من ظاهر الحياة الدنيا إما مع الآخرة علماً وعملا من اولياء الله المومنين وأما العلم المذموم وهو المتجمد عن الدنيا فقط فالعلوم الملحقات بالحرف ليست مذمومة الا إذا شغلت عن الرب فكل ما شغل فهو شيطان رجيم فإذا علمت ان العلم المتعلق بالتنجيم حرام لانه ليس على دليل شرعي وإنما هو

تخمين فالظن حرام فى الحقائق ولا سيما ان اعتقد التأثير الذى هو تعدد الفواعل وأنه لا ينتفع بحرفته العمل بما ورد الا ان اعتقدت التأثير وهو الكفر بردت همتك وثبت ورجعت الى ما أنزله الله فتجمع بين علم ظاهر الحياة الدنيا وباطنها الذى هو المراقبة لربك أبداً والعلم بالآخرة بالشريعة المدلاة فتتعلق بها وتدرك متمناك فى الآخرة من اللذات الدائمة والعلم بباطن الآخرة الذى هو اعطاء لانوار اسرارك حقها من العكوف على معاينة الفاعل المختار ابداً فكلما أظهره الله على يد الصناع فاحمد ربك عليه فإنه تسخير لخالقه اليك خاق لك الانبياء لتهتدى بهم والملوك لتامن بهم والعلماء لتقتدى بهم والصناع أهل البطالة لتبتهج بنعمة الله التي خلقها على أيديهم إعانة لك على الوقوف على متن السنة ببابه تعالى فلا يجوز لك الحق أن تغفل عنه وعن امره نفساً واحداً فنحن معشر المعاينين سر خلق ربهم لا نتحرك الا بامتثال الشريعة فعند الأكل نستحضر « وكلوا » وعند الشرب « واشربوا » وعند النكاح « فانكحوا ما طاب » حل لكم وعند الانتشار « فانتشروا في الارض » فلا نرمش ولا نحك ولا ننام ولا نفيق ولا نصلي حتى نستحضر حضرة الامر الالهى مخلصين له الحركات والسكنات فلا حظ لنا البتة مع ربنا عمر الابد فحظنا الاضافة له عبيداً متمتعين بأوامره فإن امر بالصوم صمنا وان بالفطر افطرنا وان بالسجود سجدنا وان منع امسكنا فالكل منه وبه ولا نرى في الكون الا فعله فلا نرى شيئاً ايا كان الا رأينا الله قبله ومعه وبعده فإنه مطمح نظرنا وامره

شهادتنا وغيره غيبا فالكون من حيث هو نعمة فكل حقيقة تبرجت علمنا أنها من يد ربنا برزت فإن امرنا بها عانتمناها له لا لنا « واصطنعتك لنفسي » يعني لا لنفسك وما حذرنا منه أضربنا عنه لله لا لنفوسنا فالله يرحمنا باحكام وجهة العبودية له تعالى فأهل البطالة يعملون لاهل المراقبة فكل لقمة أكلها المراقب والعامل اعتق به رقبة البطال ان صالح للشفاعة من المومنين وأما الكافر فلا شفاعة فيه البتة (وما أنزل الله من السماء) من جهة العلو ابتداؤه من علو حال كونه من مطر فكل ما علاك سماؤك سماء البيت سقفه فنكر ماء ليدل على النافع وغيره وفي الحديث ليس السنة التي لا تمطر وانما السنة التي تمطر ولا تنبت . (فـ) بسببه (أحيا) نضر بالماء النازل (الارض) بأنواع النبات والازهار (بعد موتها) بعد ذهاب زرعها وتناثر أوراقها باستيلاء اليبوسة عليها على مقتضى طبعها فالحيوان عبرة كالارض ان حيي ابتهج وان مات رجع الى طبيعته الاصلية فكما ان الارض تنبت بالماء الى أجل معلوم ثم تيبس ثم تحيي ايضاً بالماء عادة لله كذلك الحيوان نبت من الماء فازدهر ثم ييبس ثم يحيي بالماء أيضاً على صورة مني الرجال فكل شيء انما يحيي ويبقى بالماء المبارك من روح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (وبث فيها) الارض (من كل دابة) يعيش على وجهها عاقلا وغيره فالدواب تبتهج بالمطر « وجعلنا من الماء كل شيء حي » وهو المخلوق كله (وتصريف الرياح) الى قبول ودبور وجنوب وشمال فالقبول الصبا من مطالع الشمس يعني ان كان عكسه عند الاستواء والدبور تقابلها

والشمال من جهة القطب والجنوب ما قابلها فالريح التي جاءت بين ريحين نكباء لعدولها عن مهب الاربع فالرياح ثمانية أربعة للرحمة وأربعة للعذاب فالرحمة الناشرات وهى الريح الطيبة والمبشرات بالمطر ولواقح الاشجار « والذاريات » التي تذروا التراب وغيره فللعذاب الصرصر والعقيم وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر فالعقيم التى لم تلقح شجراً ولا سحاباً والعاصف الشديدة الهجوم التى تقلع الخيام (والسحاب المسخر) الغيم المذلل المنقاد مفرده سحابة لا نسحابه في الجو كانه يسحب ويجر بين السماء والارض بلا علاقة ولا نزول ولا طاوع بل مسخر بقدرة الله سحاباً ثقالا ينزل ولا ينكشف الا باالله فلو كان كثيفاً يقتضى بطبعه النزول ولو كان خفيفاً لاقتضى العلو (لآيات) دلالات واضحات على وحدانية الله (لقوم يعقلون) ينظرون بعقولهم وبعيون قلوبهم ويتأملون فهى دلائل على قدرة الله التامة فيستدلون بها على وجود فاعلها فيعبدونه ويوحدونه وفيه تعريض لجهال المشركين المقترحين على نبيه فلم يوخذ من هذه الاية شرف علم الكلام بل شرف النظر والتأمل فى مصنوعات الله فالنظر الذى خاطب به القرآن الناس النظر العقلي من غير تركيب الأدلة فإن التركيب لم يات به شرع وانما النظر الاعتبار في المصنوعات فحرم التوغل فى علم الكلام فإنه يشغل عن القرآن وربما يعتقد الاستبداد بادراك العلم من مقدمات اليونان وأما التبصر والتأمل والتعقل والنظر الفكري من غير مبالغة فيه فجائز فمن بالغ فيه يسم فلسفياً جاحداً

مطروداً من حضرات الشرع فالفلسفي هو الذي يريد ان يعرف الله وطرق السعادة والشقاوة من غير واسطة الشرع فيدعى انه يركب الادلة العقلية في كل حقيقة من غير افتقار الى النبي وأما من يسند الاحكام إلى القرآن فى مثل الحجة التي آتاها الله ابراهيم «فبهت الذى كفر» يعلم ان الله لا يعرف إلا بالشرع وانه لا حكم لغير الله وان العقل انما هو نور تبصر به النفس مدلولات القرآن كما ينظر صاحب العين بالقنديل المبصرات ثم يحكم بما ادركه من الشرع فهو عارف رباني فالذى حرمه الشافعى وغيره التوغل فيه لا النظر العقلى فالعقل ينظر بلا افتقار الى علم يونانى منسوب الى الكفر ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها ولم يعتبر بها فأول آية نزلت في التوحيد «والهكم اله واحد» بحسب الرتبة اقدم توحيد من جهة الحق وأول توحيد من جهتها توحيد الافعال فهذا توحيد الذات فلما بعد عن الافهام نزل إلى توحيد الصفات «الرحمن الرحيم» ثم الى توحيد الافعال ليستدل به عليه بقوله «إن فى خلق السماوات والأرض» فحكمة الله في خلق هذه الاشياء ان تكون آية يعتبر بها العاقل الانسان «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» فالعالم كله إنما خلق تبعاً للانسان فإن العالم مظهر آيات الحق والآيات المرئيات الانسان والانسان مظهر معرفة الحق «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» ليعرفون فلو لم يكن لاجل معرفة الله ما خلق الانسان ولو لم يكن لاجل الانسان ما خلق العالم بما فيه كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لولاك ما خلقت الكون.

وكأن العالم مرآة يظهر فيها آيات الحق كمال الحق وجلاله فالانسان هو المشاهد لآيات الجمال والجلال في مرآة العالم وهو مرآة يظهر فيه مرآة العالم وما يظهر فيه « سنريهم آياتنا » فاعرف قدرك لتعرف قدر ربك يامسكين من عرف نفسه عرف ربه فنفسه مرآة جمال ربه وليس أحد غير الانسان يشاهد حال ربه في مرآة العالم ومرآة نفسه بإرادة الحق « سنريهم آياتنا » فأدل دليل على أن العالم تبع للانسان قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله فإذا مات قامت القيامة فإن وجود السماوات والارض تابع للانسان فالتوحيد ينفي الباطل وينفي الاغيار اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ففيه ثمانية أشياء كل شيء فيه اعتبارات وعجائب (ومن الناس) وهم المشركون (من يتخذ من دون الله أنداداً) أصناماً بعضها ند لبعضها أمثالاً لله في زعمهم الباطل حيث يرجون منها نفعاً ويخافون منها ضراً فقصدوها بالمسائل وقربوا لها القرابين (يحبونهم) بالتعظيم والخضوع أو الرؤساء الذين يطيعونهم فكل ما شغلت به نفسك عن الله فقد جعلته نداً في قلبك له تعالى «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه» (يحبونهم كحب الله) فأشركوا الاصنام مع الله في الحب فإنهم يعتقدون آلهة متعددة ثم يعتقدون خالق السماوات والارض إلهاً كبيراً عليهم فيقصدون الارباب الصغار لصغار المهمات فإنهم في زعمهم الباطل يقدرون بذواتهم على قضاء الحوائج الصغار وأما الحوائج الكبار فلا طاقة لهم بها وإنما يقدر عليها الاله الكبير

خالقهم « ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله ، ما نعبدهم ـ الارباب الصغار ـ إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فأشركوهم فى الحب فى الجملة فسووا بينهم وبينه تعالى فى التعظيم وإن كانوا يقرون بربوبيته تعالى فمحبة العبد لله تعالى إرادة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمحبة الله للعبد إرادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه من المعاصي او يحبون الاصنام كحب المومنين الله (والذين آمنوا أشد حباً لله) أثبت وأدوم على حبه فلا يختارون على الله غيره فغير الله مفعول من حيث هو انما يحب لوجه الله فالمحبوب فى الوجود واحد وهو الله لاغير فيحب الكون لكونه فعله ثم يبقى المومن عند انظار الامر الالهى فيحب ما امر بحبه لذاته تعالى لا لذات المفعول من حيث هو ويبغض ما امر ببغضه لذات الله فقط فالمشركون لاغراض باطلة موهومة تزول بأدنى شيء فلذا ان وجدوا صنماً أحسن منه أهملوه وأبطلوه واتخذوا الاحسن مثلا « ان يتبعون الا الظن ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » فباهلة اتخذوا إلهاً من حيس فجاعت فأكلوه فيدبرون عن الاصنام عند البلاء ويقبلون على الله « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » فالمومن لا يعرض عن الله أبداً فى السراء والضراء فإن الله أحبهم فأحبوه « يحبهم ويحبونه » فمن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم فمحبة العبد لربه طاعته ومحبة الرب للعبد إرادة الاحسان اليه وهدايته فالمشركون يقرون لله بالربوبية لكن أشركوا معه الاصنام في المحبة والعبودية لها

فالمومن لا يجعل واسطة بينه وبين ربه فالمشرك يقول « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » فيعبدون صنماً ثم يرفضونه إلى غيره قال الشاعر في باهلة لما أكلت ربها في زعمها

أكلت حنيفة ربها ❀ زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم ❀ سوء العواقب والتباعة

قال ابراهيم الخليل لملك الموت هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال له الآن فاقبض. المرء مع من أحب فنحن نحب الله فالله يثيبه قال جمهور المتكلمين حب الله طاعته وثوابه فالحب إرادة فلا يتعلق الا بالجائز ويستحيل تعلق الحب لذات الله وصفاته يحب الله يحب طاعته وخدمته فالعارف يحب الله لذاته لا لغرض فهو المحبوب وحده وغيره يحب لذاته ويبغض لذاته فلو كان الشيء لا يحب الا لشيء آخر دار وتسلسل فإذا كنا نحب الشجاع لشجاعته والكريم لكرمه والزاهد لبراءة ساحته من المثالب فالله أحق بالمحبة اذ كل كمال بالنسبة الى كماله نقص فالكمال مطلوب ومحبوب لذاته فكلما كان الاطلاع على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه أكثر كان حبه أتم فبحسب الترقي في درجات العرفان تزداد المحبة حتى يستولى سلطان الحب على قلب المومن وهو العشق فيشغله عن الالتفات لغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يتكلم بلسان الحال والقال فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل بهوى نفسه لمحة

لو كان حبك صادقاً لأطعته ﴿﴾ إن المحب لمن يحب مطيع

فنحب الله لذاته ونحب أولياءه المومنين عامة لذاته لا لذواتنا ونبغض أعداءه لذاته الحب في الله في ذاته والبغض في الله لا لذواتنا من الاغراض من تمام الايمان « أذلة على المومنين أعزة على الكافرين » (ولو ترى) بالياء والتاء (الذين ظلموا) باتخاذهم الانداد يعلم أنفسهم هؤلاء المشركون (إذ يرون) يبصرون بالجارحة على سبيل المعاينة الحقيقية (العذاب) المعد لهم يوم القيامة (أن) بالفتح والكسر (القوة) والقدرة الالهية والغلبة إنما كانت وثبتت (لله) فقط (جميعاً) حال (وأن الله) فقط (شديد العذاب) لحذف جواب لو تهويلا لحصل لهم مالا يدخل تحت الحصر من الندم وتمام العلم بظلمهم أو ولو ترى يا من يرى المشركين الظالمين وقت معاينتهم العذاب بمعاينتهم ان القدرة كلها لله لرأيت أمراً عظيماً فرواية نافع وحده بالتاء ورواية ابي عامر بالياء مبنياً للمفعول والباقي بفتحها

(166) (إذ) زمن كل من اذ ترى (تبرأ الذين اتبعوا) تخلص وتنصل وتفصى مما تكرهه مجاورته الرؤساء المتبرعون كابليس ومن ضاهاه (من) الناس أو الجن (الذين اتبعوا) من التابعين لهم في الكفر الذى سنوه لهم باعترافهم ان ما كانوا يدعون اليه باطل فاعتزلوا من مخالطتهم فتلاغن كل غيره (و) الحال (رأوا العذاب) وقد رأوا العذاب (وتقطعت بهم الاسباب) عطف على تبرأ عنهم الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الاتفاق على دين والتحاب والانتساب والاتباع والاستتباع

(167) (وقال الذين) حين عاينوا تبرء

رؤسائهم وندموا عن اتباعهم فى الدنيا (لو أن لنا كرة) ليت لنا رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا) اليوم مجازاة الظاهم [تانت] مجرد التمني فلو ردهم الله الى الدنيا لتبعوهم أيضاً لمقام العلم الالهى عادهم كفاراً تابعين ومتبوعين فلا يبدل عادة البتة (كذلك) مثل ذلك الايراء الفظيع من نزول العذاب والتبري (يريهم الله أعمالهم) السيء (حسرات) ندمات (عليهم) فالحسرة شدة الندم تألم القلب وانحساره عما يؤلمه فيكون كحسير الدواب الذى انقطعت قوته فلا ينتفع به من فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلازمه الندم فأعمالهم تنقلب حسرات بدنية وقلبية فما عمله الكافر من الخير أحبطه الكفر فلا خير للكافر ترفع لهم الجنة حتى ينظروا إلى مساكنهم لو آمنوا بالله وانبيائه وكتبه فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم ربكم ثم تقسم بين المومنين فتحسروا (وما هم بخارجين من النار) عدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع إلى الدنيا فإنهم خلقوا للنار فلا يبقى منهم عضو إلا ولزمته النار اما حية تنهشه او ملك يضربه فإن ضربه الملك هوى في النار مقدار اربعين يوماً فيرفعه اللهب ويضربه الملك فإذا بدى رأسه ضربه « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » فإن عطش طلب الشراب فيوتى له بالحميم فإذا دنى من وجهه سقط وجهه ثم يدخل في فيه فتسقط اضراسه ثم يدخل بطنه فيقطع امعاءه وينضج جلده فهذا دأب عذابهم لا يموتون ولا يحيون ولا يخرجون فمن لم يكن أزلاً اهلاً

لمحبة الله طردته العزة إلى محبة الانداد وهي غير الله من كل محبوب لذاته سواه فمن وكل إلى محبة هوى النفس انجر بها الى محبة الاصنام فالكفار يعبدون اللات محبة فيها وبعضهم يحب الاولاد ويعبدهم فمحبة الاموال والاولاد والازواج لذاتها من غير اتباع امر الله فيهم تمنع عن محبة الله ومن الله يرى ماسواه بنظر العداوة « فإنهم عدو لي إلا رب العالمين » فمن اهله الله أزلاً لمحبة ذاته جذبته العناية الى طاعته فتجلى له تعالى فانعكست المحبة الى استيلاء على حبة قلبه فيكون حب الله هو عين حبة قلبه فلا يتعلق بعده بغير الله فإنها عالم الوحدة لاتقبل الشركة فأحب المومن الله بمحبة باقية ربانية بجميع أجزائهم الفانية والباقية فالكل من الله ربنا فمنه رأينا إيجاداً ووجوداً ورسولا وشيخاً وشريعة وايماناً واسلاماً واحسانا فالكل منه وبه وعليه فنحن عند أمره لاغير راضين لما عليه منا ولنا وعلينا فهو تعالى يوصلنا الى نهاية المحبة ويثبتنا في مقام التمكين واليقين فيانفسي ويإخواني المغرورين بالسلامة والنجاة مااعددنا ليوم القيامة « يوماً يجعل الولدان شيباً » يوم يدع المسرور كئيباً فالدنيا انما هي دار تجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة فاستدل الاشاعرة أن الكفار لا يخرجون منها البتة بدليل تقديم منها وان المومن العاصي ان دخلها يخرج بالشفاعة فالآية في خصوص الكافرين (168) (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً) نزلت فيمن حرم السوائب والبحائر والوصائل والحام فالبحيرة المنذورة اللبن للاصنام والوصيلة هي التي تبكر بالانثى وتتبع بها فقد اعتقت نفسها

للاصنام فلايحمل عليها ولا يوكل لبنها ولا لحمها والحام فحل الابل يضرب مدة معلومة ثم ان استوفاها صار عتيقاً للاصنام فمن للتبعيض فما في الارض لا يوكل كله كالاحجار والمحرم حال كونه حلالا انحل فيه عقد الحظر طيباً طاهراً من جميع الشبه وهو ما استلذه الشرع فلا عبرة بالطبع فإن أضر فهو حرام للضرر فإن استقذرته تركه والا ضره لمن لا يستقذره فالصبر وان حر فهو طيب فيركل للادوية فالآية مسوقة لتقرير جهالات المشركين العابدين للاصنام فالحلال ما انحلت فيه تبعات الحق والخالق والحرام اما الذاته كالميتة والدم واما لعارض وهو تعلق حق الغير به ملكاً ولم ياذن له حلال طيب حرام خبيث وقيل الطيب مايستلذه الطبع كالحلو دون المر (ولا تتبعوا خطوات) بسكون الطاء والظم طرقه ومنها محقرات الذنوب فإنها غير ماذون فيها فتوصل إلى الكبائر باظلام قلب صاحبها حتى يستحسنها فيدخل في حرام وشبهة وتحريم حلال وتحليل حرام فالذنوب بريد الكفر (انه لكم عدو مبين) مظهر للعداوة وبينها فيظهر الموالات لمن يغويه فتمام العداوة امتناعه من السجود لآدم المشتمل على كل انسانية بنيه اشتمال النواة على النخيل فالمنطمس بصيرته يتبعه ظاناً انه ينصره ويواليه حيث وافقهم على مشتهيات الهوى بغير الشرع المطاع فهو لهم كولي حميم فهو الذي أخرج آدم من الجنة بالوسوسة « قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين ، لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » (انما يامركم بالسوء والفحشاء) فالسوء القبيح شرعاً

والفحشاء نهاية القبح من الكبائر كالكفر والعقوق وقتل نفس والزنى يامر يوسوس شبه الوسوسة بأمر يطاع فشبههم حيث تركوا الله واتبعوه بالمطاع فرمز إلى تسفيههم باتباعه مع علمهم بأنه عدوهم وعدو أبيهم وعدو الله ورسوله فالسوء كل ما يحزن من أنواع المخالفات فإطلاقهما على المعصية المبالغة كرجل عدل فأفحش المعاصي سوء الاعتقادات فى الله وفي رسوله وفي المومنين من كل معصية قلبية سواءً فى التى يحد فيها أم لا فالشيطان يطلب السوء والفحشاء كما ان الشارع يطلب الخير شرعاً فالحسن ماحسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع فالعبد عند امر سيده لا غير (و) يامركم أيضاً (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون) كالتحليل والتحريم والانداد وهو أقبح ما أمر به الشيطان فإن وصفه تعالى بما لا ينبغى من أعظم الكبائر فالوسوسة كلام خفى يلائم النفوس يلقيه في قلوب اهل الاهواء وهو يدخل جسد ابن آدم ويوسوس له فإنه لطيف يحدثه بالافكار الرديئة «يوسوس في صدور الناس» قال صلى الله عليه وسلم اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان. فالمراتب التي يتجلى فيها إبليس ستة مرتبة الكفر والشرك ومعادات رسوله فإن ظفر به استراح منه فهو اول ما يريده من العبد ثم البدعة فهى أحب اليه من الفسوق فإن المبتدع لا يتوب والعاصي يتوب غالبا فإن صاحب البدعة يظنها حقاً ثم الكبائر بأنواعها ثم ان عجز انتقل إلى الرابعة وهى الصغائر فإن اجتمعت صارت كبيرة فربما أهلكت صاحبها قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات

الذنوب. فإن المحتطب إذا احتطب في كل مكان عوداً وجمع صار قتة
ثم اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب ولا عقاب على وجه البطالة فإن عجز
شغله بالعمل المفضول عن الفاضل فيجره من الافضل إلى فاضل ليتمكن
أن يجره من الفاضل إلى الشرور كجره من ركعتين الاسهل إلى الاشق
كمائة ركعة فيترتب عليه النفور من الطاعة بالكلية بسبب مال ومشقة
وانما خلق الله إبليس ليتميز به الخبيث من الطيب وخلق الانبياء لتهتدى
بهم السعداء في علمه فإمام الاشقياء في علمه تعالى إبليس وامام السعداء فى
علمه تعالى الانبياء ونوابهم فإبليس سمسار النار وغضب الرب ودلال عليهما
وبضاعته حب الدنيا فلما عرض غضب الله تعالى على الكافرين قالوا ما
ثمنه قال ترك الدين فاشتروه بترك الدين فلما علم الزاهدون ان حب الدنيا
يهلكهم زهدوا عنها وأعرضوا عنها والراغبون في الدنيا لم يجدوا في
قلوبهم ترك الدين ولا الدنيا فقالوا له اذقنا فقال لهم اعطوني اسماعكم
وأبصاركم رهناً فله احبوا استماع أخبارها والتنعم بلذاتها فلما كانت اسماعهم
وأبصارهم رهناً عنده لم يسمعوا من الزهاد ذمها ولا رأوا قبحها بل
استحسنوا زخارفها. حبك الشيء يعمي ويصم: فمن احب الدنيا اصمه
وأعماه عن سماع أخبار الآخرة ورؤية فعل الطاعات وعن مشاهدة محاسن
الحق تعالى فالآخرة شي، فمن احبها أعماه حبها عن الدنيا وعن الله وأصمه
عن سماع الدنيا وعن الله فمن احب الله فهو موجود شيء أعماه حبه عن غيره
وأصمه عن غيره «صم بكم عمي فهم لا يعقلون» أن حب غير الله يمنعه

من النهوض الى طاعة المولى جل وعلا فلا تقبل من الدنيا الا الحلال الطيب فالزهد هو ترك ما حرمه الله لا غير فالصوفى فقيه عمل بعلمه لا غير فالطيب ما لا عتاب فيه يوم القيامة وهو الضروريات قال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب لابن آدم مالا بد منه ثوب يواري به عورته وخبز يرد به جوعته وبيت كعش الطير . فالملح مما يحاسب به وما فوقه : إن الله طيب ولا يقبل الا الطيب . وهو ما لم يشب بشبهة فالعمل الصالح نتيجة اللقمة الطيبة فطلب الحلال بسبب مشروع طريقة الانبياء ففي الكسب فوائد كثيرة فما أكله الطير وما فوقه صدقة كزيادة مال واشتغال به عن البطالة واللهو وكسر النفس فيقل طغيانه فالكسب واسطة الامن من الفقر الذى هو اسوداد الوجه في الدارين فإن تحرك قال له حافظاه بارك الله لك في حركاتك وجعل نفقاتك ذخراً لك فى الجنة ويؤمن عليهما ملائكة السماوات والارض فأفضل الكسب الجهاد وهو حرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة فمالك يقدم الحراثة على التجارة باعتبار بلده والشافعي يقدم التجارة باعتبار بلده (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات وتحريم ما حرمه الله في كتابه « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » لما قاله لليهود قال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا وهو (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) وجدنا وعلمنا من عبادة الاصنام وتحريم البحائر فإنهم اقدم وأعلم منا فانظر أيها العاقل ما نتيجة التقليد الصميم (أولو كان) أيتبعونهم

ولو كان (آباؤهم لا يعقلون شيئاً) معتبراً وهو امر الدين وإن عقلوا امر الدنيا فعقل الدنيا فقط كأنه لا شيء «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون» فلا علم عندهم ولا عقل (ولا يهتدون) إلى الحق فاتباع من لا عقل له مستبعد فى نظر العقلاء فمن قلد غيره من غير دليل كمن اشترى ولم يدر الحساب وإنما حسب له غيره ممن يمكن خطأه وعداوه فإنه لا يطمئن بحسابه وهو على غير بصيرة في امره فإن حسب لنفسه اطمأن فمن قلد النبي اطمأن فإنه حق لا يتصور منه الخطا والعداء فيقال المقلد أعلمت ان المقلد محق أم لا فإن لم تعلم فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا فإن علمت فإما بتقليد آخر فاستلزم التسلسل او بالعقل فذلك كاف فى معرفة الحق والتقليد ضائع وأيضاً فعلم المقلد بالفتح إن حصل بالتقليد تسلسل بالدليل فإنما يتبعه المقلد اذا علم دليله والا كان مخالفاً له فقبول قول الغير بلا دليل وبال وضلال (ومثل الذين كفروا) واعظاً لهم وداعياً لهم الى الحق (كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً) نعق ينعق يصوت ونعق الغراب بالغين فسماعهم المواعظ إنما يكون بلا تدبر كالانعام تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ويحتمل مثل الذين كفروا في شأن عبادة الاصنام التي لا تفقه ولا تنفع ولا تضر كمثل الناعق بالغنم تسمع صوته ولا تعقل معناه غير أنه فى عناء من الدعاء فليس للكافر من دعاء الآلهة غير العناء «وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم» ثم صرح بأنهم هم (صم) عن سماع الحق تقول العرب أن يسمع ولا يعقل ما يقال

(مقاصد) ات

له أصم (بكم) عن الخير لا ينطقون بكلمة الشهادة و نتائجها (عمى) عن الهدى لا يبصرونه (فهم لا يعقلون) يكسبون الحق بما جبلوا عليه من العقل الغريزي فالاكتساب انما هو بالنظر والاستدلال فمن فقد حساً فقد علماً فلم ينف الله عنهم أصل العقل فإن من نفى عنه لا يذم وانما نفى عنهم الاستدلال بالنظر المؤدي الى الحقائق وانما آذانهم مسدودة عن الحق وأذهانهم مصدودة عن قبوله فطريقة الاكتساب بالاستعانة بالحواس فلما فقدوا فائدة الحواس صاروا كأنهم فقدوها فالعقل مطبوع ومسموع فلا ينتفع بواحد إلا مع صاحبه الآخر فأحدهما بمنزلة العين وهو المسموع والآخر بمنزلة الشمس قال صلى الله عليه وسلم : إن لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الله عز وجل « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير » ما اكتسب المرء مثل عقل يهديه الى هدى ويرده عن ردى . التاويل الذين كفروا لم يسمعوا إذ خاطبهم الحق بقوله « ألست بربكم ـ الا دعاءً ونداءً » لانهم كانوا فى الصف الآخر من الارواح المجندة في أربعة صفوف الاول للانبياء والثانى للاولياء والثالث للمومنين والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئاً من أنوار الحق وانما قالوا بلى على وجه التقليد فبقوا على التقليد « بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) « يأيها الرسل كلوا من الطيبات » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر يمد يده الى السماء يارب يارب اشعث اغبر مطعمه حرام

ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له. فالرزق يشمل الحلال والحرام فالطيب له ثلاثة معان المستلذ طبعاً والمباح شرعاً والظاهر وضعاً فيجوز التفكه بأنواع الفواكه فإنها طيبات فلما وسع الله على عباده وأباح لهم جميع ما على الارض التي هي بيت سكناهم إلا ما استثنى مما بين تحريمه بالقرآن أمرهم أن يتحروا طيبات ما رزقهم ويقوموا بحقوقها (واشكروا لله) على ما رزقكم واحله لكم وهو تصور النعمة واظهارها وضده الكفر نسيانها شكرت الدابة العلف ظهر عليها عين شكرى ممتلئة فهو امتلاء من ذكر المنعم فهو ثلاثة شكر القلب تصور النعمة وشكر اللسان الثناء على المنعم وشكر كل جارحة مكافأة النعمة بقدر استحقاقه « اعملوا آل داوود شكراً ـ لاجله ـ وقليل من عبادى الشكور » بالانواع الثلاثة وهو تنبيه على صعوبة مرتبة الشكر فشكر العارفين علمك بأن امورك كلها في يد مولاك وشكر المقربين الفرح دائماً بالمنعم حيث كان وحده واستغنى عنك فأوجدك فضلا وإنما اثنى بالشكر على اثنين من انبيائه فى ابراهيم « شاكراً لانعمه » وفي نوح « إنه كان عبداً شكوراً » فكون الله شكوراً « انه شكور حليم » إنعامه على عباده ناقة شكرة ممتلئة ضرعاً هو اشكر من البروق نبت ينضر بأدنى مطر شكرت الشجرة كثر غصنها وهو صرف العبد جميع ما أنعم عليه ربه ظاهراً وباطناً الى ما خلق لاجله فهو امر ايجاب وإباحة فإنه يجب على العاقل أن يعتقد بقلبه أن من اوجده وأنعم عليه بما لا يحصى من النعم

الجليلة مستحق لغاية التعظيم وأن يظهر ذلك بلسانه وبسائر جوارحه ،

فلما فرغ الله من اول السورة في دلائل التوحيد واستقصى المنافقين والكافرين وذيل كلاً بما يناسبه شرع هنا في بيان الاحكام الشرعية الاول اباحة ما حل وطاب على وجه الارض فربما اوجبه ان خاف تلفاً او اتلاف منفعة وربما ندب كموافقة الضيف وأباح التلذذ بأنواع النعم «وأما بنعمة ربك فحدث» باظهار نعم الله من حيث هي علماً ورتبة وعملاً وأدباً واخلاصاً

أوليتني نعماً أبوح بشكرها ❀ وكفيتني كل الامور بأسرها

فلاشكرنك ما حييت وان امت ❀ فلتشكرنك اعظمي في قبرها

قال صلى الله عليه وسلم : إني والجن والانس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري . (إن كنتم اياه تعبدون) إن صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولي النعم فالعبادة لاتتم إلا بالشكر .

وهذا آخر الجزء الثالث وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وامته اجمعين والحمد لله رب العالمين



المقاصد

فهرس الجزء الثالث

سورة البقرة